

الْيَاسِرُ أَبُو شَيْبَةَ

الْمَجْمُوعَةُ الْكَامِلَةُ

فِي الشُّعْرِ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

جُمُعَةٌ وَقَدَّمَ لَهُ  
وَلِيُّ زَيْنِ عَبِيدٍ

جميع الحقوق محفوظة  
لدار رواد النهضة

الطبعة الأولى  
١٩٨٥

من كتب الطالب  
محمد سالم نصوري

الياسر أبو مشبك

الجمعة الكافئة

في الشعر





## مقدمة

إختصار رجل في صفحات أمرٌ صعب ؛ فكيف بشاعر رأى في انعكاس صورته  
أمام المرآة روح إله ؟

ومع أن الشعراء في كلّ وادٍ يهيمنون ، ليتّخذوا من الهوامش اليومية عناوين كبيرة  
تعلّمهم باكتناه سرّ الحياة ، فإنّهم لا يقعون ، في الحقيقة ، إلّا على زبد البحر الكبير ،  
على رغبة تبدّل ، تظهر وتختفي دون أن تشكّل جوهر الماء . وهذا الوهم ليس حكرًا  
على الشعراء فحسب ، إنّما يشمل المجتمع الأكبر لأنّ كلّاً منا له وهمه وخلاصه .  
أولست الحياة كابوساً لا ينتهي إلّا بالموت ؟

\* \*

وُلد الياس أبو شبكة في العام ١٩٠٣ ، وتوفي بعد أربعة وأربعين عاماً من هذا  
التاريخ . ومع أن للولادة تاريخاً ، وللموت موعداً ، فإنّ أبا شبكة لم يُخلق ليموت  
كسواه ، بل ليقول شيئاً . ألم يقل جبران من قبل وهو الذي كتب مجلّدات مجلّدات :  
« لم أقل كلمتي بعد » ؟ وهل يمكن ترجمة الحياة بكلمة ؟ إذا كان الأمر كذلك ،  
فلماذا هذا المجلّد الذي يضمّ شعر أبي شبكة ؟ ولماذا نتعب ومألّ البحث كلمة مفقودة  
وسرّ مفقود ؟ وهل تستحقّ الكلمة — السرّ هذا المجهود الكبير ، هذا التعب  
والشقاء ، وهي بالنتيجة سرابٌ يومئُ إليك ولا يرويك ؟

\* \*

تاريخ الياس أبي شبكة يبدأ من الحزن والألم. صفقة الحياة الأولى له، كانت موت والده. وقد أثار فقدّه في نفسه الطرية السؤال التالي: ما الحياة؟ ما الموت، وما بعده؟ وهذا السؤال طرحته البشرية منذ بدء وعيها، ولم تُجب عنه حتى الآن. فكأنّ أبا شبكة في حياته، يختصر معاناة البشرية ومحاولتها تخطّي السؤال إلى جواب يكشف سرّ الخلق.

هذا السؤال الوجودي ألغى طفولة أبي شبكة، أو أخلّ بنموّها الطبيعيّ. فتفتّحت عيننا الشاعر على الوجود من نهايته، أي من الموت. فبدأت نزعتة الرومنظيقية، وعاشها قبل أن يقرأها في كتب الغرب وآثار شعرائه.

أوليس الفقراء، كلّ الفقراء، واليتامى والمحرومون، ورومنظيقيّ النزعة؟ أوليست الرومنظيقية مدرسة حاولت أن تهرب من السؤال الوجودي؟

وإذا كان هيدغر يعتبر الإنسان كائناً مخلوقاً للموت، فالنفس الرومنظيقية المرفهة الأحاسيس والشّعور ترى في الموت الحزن الذي يُفرح أحياناً، انطلاقاً من شكواها الدائمة، ومن خيبتها المستمرة، ومن سعيها المحموم لتحقيق المثل الذي تحلم به. فالرومنظيقيون يستمتعون بالألم. والموت هو الألم الأكبر لأنّه الإنسلاخ الكلّي عن الوعي والحياة. لذلك، نجد أبا شبكة الشاب يتمنّى الموت لنفسه، ويؤكد وهو في ربيع العمر أنّ البداية كالنهاية دائرة مغلقة تبدأ بالحزن وتنتهي به. لذا يعاتب الوالد الذي مات لأنه أفسح له في المجال ليعيش حياة لا يؤمن بها أصلاً، فهي من التراب وإلى التراب:

لو كنتَ تعلم يا أبي وأنا طفلٌ مصيري العادم السعد  
لسبكتَ عند ولادتي ندماً وخنقتني وأنا على مهدي

مشكلة أبي شبكة تبدأ إذن مع الموت. وقد رأى أن لا معنى للحياة بدونه. فالموت حتمي كالولادة، والموت يحرّر من زمن معيّن هو زمن الحياة. وبدونه تكون الحياة أبدية، أي يكون الألم أبدياً. فالحياة عنده تزامن والألم، إن لم نقل تتوحد معه. والإنسان يبقى عبداً للمحيط، للمجتمع، للسلطة الإلهية والأرضية، للذة، للشهوة، للقلق، طالما أنه على قيد الحياة.

هذا الوعي الكامل للموت عند أبي شبكة لا يعني أنه استأثر بتفكيره أو حَجَرَ أحاسيسه إذ عاد ورأى في الطبيعة، في المرأة، في الله هذه الحلولية المستمرة والمتشابهة، هذا التبدل الذي يقضي على مظهر جمالي معيّن ليولّد مظهراً آخر.

إن تتابع الفصول عند الشاعر هو موت مستمر لفصل يروح، فيحلّ محلّه فصل آخر يلتقي مع الأول في المظهر الخارجي، إلّا أن الذي حدث قد حدث. والشجرة التي أسقطت أوراقها الخضراء عادت بفعل فاعل لترتدي ثوب الحياة من جديد، تؤكد أن عودة الحياة إليها كانت على حساب ما مضى، ما اختفى، ومات... وهكذا اللذة، فلحظتها الحميمية تموت في حينها. تبقى، وتبقى في الذاكرة وهماً مضى، يتأجّج إلى أن تطوى الصفحة الأخيرة من حياة الفرد.

إنّ رؤية أبي شبكة لمحيطه في الذوق، للوز الذي يشهد فصولاً أربعة هي: العربي، تفتّق البراعم، الإخضرار والثمرة زادت من اهتمامه بمسألة الموت. فهو وإن احتمى بالطبيعة لينسى عقدته المزمّنة، فإنه عاد والتقاها في الطبيعة. ومع أنّ بلدته، مسرح طفولته، يكتنفها الصنوبر الدائم الاخضرار، فإنّه لم يرَ من هذا المحيط إلّا التبدلات الأربعة، كما لم يرَ في الطبيعة إلّا ما يمرّ ولا يعود:

والريح لصّ مرق على رؤوس الحبق  
كأنّه ما سرق  
كأنّه ما جنى

إنّ أبا شبكة لم يستطع كالإنسان البدائي أن يفسّر الحياة بدورة القمر، أو يقارن بين عودته والتجدّد الدائم للحياة. فالرجل أدرك أن الحياة حتّى في تجدّدّها لا تعيد نفسها بنفسها، بل تعود بعناصر أخرى.

إنّ الموت يعيدنا إلى الحياة، إلّا أن الحياة الجديدة هي قيامة للآخر ولو كان جزءاً منا، وليست للأنا بالذات. والعقلية الشرقيّة التي ترى في الولد استمرار العائلة تؤكد نظريّة الحياة هذه. وهذا ما كان يزيد من ألم أبي شبكة، ويوجّج أسباب معاناته، وهو الولد الذي فقد أباه، والأب الذي فقد ابنه وهو جنين، فازداد شعوره

بالموت ، وترسّخت عقده الشّرقيّة ، وازدادت بالتالي غربته في العالم لأنّه وحيد ومضطهد ومظلوم ، وهو لن يبقى أو يستمرّ :

هذا الوجود جنيّةٌ وعقوبةٌ قد غرّ فيها آدم التّفاحُ  
هذا الوجود مشانقُ نُصبت لنا والظلم في ساحاتها السّفاحُ

لقد عاش أبو شبكة القلق بكلّ أبعاده . فعصبيّته المتوتّرة ، وقلمه المتشجّع ، وبحته الدائم عن الخلاص ، وارتطامه بصعوبات الحياة اليوميّة وبالفقر الذي دقّ باب الحارة القرميد بعد جاه وعزّ ، كلّ ذلك دفعه إلى أن يرفض العيش بذلّ وانكسار وعبوديّة . ففي ذهنيّة الرجل أمجاد الماضي والبيت العريق ، وفي ذهنيته أيضاً مرارة الواقع ، وسواد المستقبل . ونتيجة هذا الصراع بين الماضي والحاضر ، بين الممكن والمرتجى ، كان يعضّ على الجرح بقسوة تقرب الساديّة ، وهو على أمل دائم أنّ الجرح سيلتئم ، وأنّ الخلاص آتٍ .

من حياته المتألّمة ، ومن حوادثها المفزعة ، دخل أبو شبكة باب السّؤال ليكتشف منافذ الخلاص . ورأى أن لا بدّ من الإنطلاق والتحرّر من الحياة .

وهكذا شعر شعوراً عميقاً بحاجته إلى الحرّيّة المطلقة ، الحرّيّة المتطرّفة ، المجنونة ، العبيّنة ، القوضيّة ، المهذّمة . إذاً ، لقد أراد أن يعيش الحرّيّة بمفهومها الواسع ، أي من خلال القيام بكلّ ما يرغب فيه ، إرضاءً لتزوات كامنة في أعماقه . فكأنه أبقى ، من هذا القليل ، أن يأخذ بنظريّة سبينوزا القائلة بأنّه لا يمكن للإنسان أن يحقق حريته إلّا برضوخه لقوانين المجتمع والكون . وهو في رفضه هذا أعاد إلى أناه الإنسانيّة قيمتها الحقيقيّة ، فتولّدت عنده قدرة هائلة على عدم الانسجام مع أيّ شيء ، على الاتّهام والصراع والعصيان والرفض . ومع أنّ الحرّيّة قادته في البدء إلى الألم والقوضى والدمار ، وأفقده إنسانيّته ، وهدمت كيانه ، فإنّها في الوقت عينه ظلّت البعد النهائيّ له ؛ فهي بقدر ما حطّت به إلى الجحيم ، شالت به إلى السماء .

لقد شكّلت الحرّية عند أبي شبكة مشروع تجاوز دائم . فتجربته المنطلقة من الذات محاولة لتخطّي الواقع ، لتخطّي اللحظة الحاضرة بمشروع مستقبلي فيه من الحلم ما يؤمّن له الحرّيّة المطلقة . فهذه الحرّيّة هي في نهاية الأمر الحلم بالمطلق . من هنا

كان يحاول معانقة الحرية المطلقة ، حتى في حياته اليومية . ولأن الحرية لا تُترجم إلا عبر فعل ماديٍّ محسوس ، لذا نراه كلَّ صباح يتصب أمام المرأة ، يلقي قصيدة بصوتٍ عالٍ ليوهم نفسه والناس أنه فوق كلِّ الأعراف والتقاليد ، وفوق مصاف البشر... إنها المحاولة الواهمة للسيطرة على قدرٍ يقرّر ، وإنسان ينفذ .

لكنّ هذه المظاهر الخارجية لم تقنع أبا شبكة أنه أدرك الحرية . فهو يعلم أنه ، وإن حمل عصاه وتبختر في شوارع الذوق وبيروت ، أو مشى تحت المطر ، فهو لا يستطيع أن يوقف ، ولو للحظة واحدة ، إنهائه .

إن محاولته الظاهرية تلك ، زادته يقيناً أن الحرية التي ينشد وهمٌ . علماً أن الظروف التاريخية التي مرّت على البلاد آنذاك زادت شعوره بالعبودية ، كما أن فقره وتقاليد المجتمع القروي القاسية فرضا عليه أن يبحث عن وسيلة أجدى لبلوغ الحرية .

إن حياة أبي شبكة المليئة بالحرمان المادي والحرمان العاطفي دفعته للبحث عن منافذ خلاصيّة تعيد إليه حقّه في الحرية . وقد التقى هذه المنافذ في بدايتها الأولى ، في بكايتها وعذريّتها : التقى الطبيعة البرثة الحانية ، الطبيعة المتبدّلة الدالة على حركيّة الحياة ، فحاورها وارتاح إليها . والتقى المرأة العاهرة فاقتنص الشهوة منها وكأنه يغتصب اللحظة الزائلة ليجمدها ، وليؤكد قدرته على ممارسة الحرية . لكن المرأة العاهرة لم توصله إلى مبتغاه . بالعكس ، رفعت الجدار أمام رؤاه التحرّرية فعاد والتقى المرأة — الحبيبة وهام بها ؛ قدّسها ، توحد معها روحاً وجسداً ، فعلاً بذاته إلى السماء ، إلى الله .

\* \*

قلنا أن الموت كان هاجس أبي شبكة الأول ، وقد لاحقه هذا الهاجس حتى في أوقات لقاءاته مع الطبيعة . ذلك أن الشاعر عانى كثيراً من عقدة الموت . وبما أن من حوله لا يشعرون مثله بنهاية الحياة ، فقد لجأ إلى الطبيعة تؤاسيه ويؤاسيها . أليست الطبيعة صورة مكبرة عن حياة البشر؟ أليس العصفور مهدداً دائماً بالعاصفة والبرد والزمهرير ، بالسجن وراء القضبان؟ أليس مهدداً بالقتل؟ أليست شقائق

النعمان مهددة دائماً بالقطف ، بالانتزاع ، بالذبول ، باليباس وبالموت ؟ أوليس الغدير المنساب بين الحقول يعرف من أين يأتي ، ولا يعرف أين سيصل في البحر الواسع ؟ لقد التجأ الياس أبو شبكة إلى الطبيعة لا ليهرب من واقعه فقط ، بل ليتعزى ويوهم نفسه بأنه ليس وحده إلى الزوال . فكلّ مظاهر الوجود وكل مظاهر الطبيعة ، تسير إلى نهايتها المحتومة المقررة والمحددة . ولكي يرتاح من عبء مخزونه الداخلي عايش الطبيعة وحاورها ، فكأنّ الحوار الذي أراده هو كحوار أفلاطون ، مع أنه يدري أنّ الفلسفة تسأل ولا تجيب .

من هنا أراد أبو شبكة أن يستنطق الحجر ، علّه يعطيه أمثلة أجدى من أمثلة البشر . أراد محاورة النهر ليبوح له بعذاباته وبما يعاينه ، فالبوح يخلق راحة تعيد إلى الشاعر بعضاً من توازنه النفسي :

زرتُ نهر الصليب أمس لأسمعُ  
كيف ينساب ماؤه الكوثرى  
فراّني صفصافه فتقنّع  
بضباب كأنّ وجهي نعي  
قلتُ للقلب: يا شقيّ فرجّع  
شاطئُ النهر هاتفاً: يا شقيّ

لقد رأى أبو شبكة في الطبيعة الوجه الآخر الذي يبحث عنه ؛ فبثّها شجونه واستمع إليها ، بعد أن شعر بغربة قاسية في مجتمعه ، غربة حدّت من فعل البوح لديه ، ومن فعل اللقاء والنجوى .

ألم نقل أن لشقائق النعمان وللغدران همومها ؟ لكن ما يميّز هموم الإنسان من هموم الطبيعة أنّ الأول يعي نهايته ، يعي محدوديته ، يعي عدم قدرته على ممارسة الحرية ، في حين أنّ الطبيعة جامدة الإحساس ، راضية بقدرها لأنّها لا تعي . هنا ألم الإنسان ، وهنا فرح الطبيعة .

على أنّ الشاعر الذي يرى الأشياء الخارجيّة عبر ذاته ، ويتحاور مع الطبيعة من

خلال معاناته الشخصيّة، نسي أن الطبيعة بعيدة عن همّة الأساسي مع أن المصير واحد. ممّا جعله يتخطّى بالوهم وبالخيال هذا العائق، بعد أن تعب من حمله الثقيل وتساؤلاته المريرة.

وعدم تمكّن أبي شبكة من الإجابة عن الأسئلة التي تقلقه، دفعه دفعاً إلى معانقة الحلم. وهكذا اختلطت الحياة عنده بالأحلام التي خلقها لنفسه، والتي كان يحاول بلورتها وممارستها وهو متوحّد في الطبيعة، بعيداً عن قوانين المجتمع وأنظمتها.

وانغمس أبو شبكة في حياته الثانية، في حياته الداخليّة، في حياة الحلم. فانفتحت أمامه آفاق التخطي والتجاوز، بعدما عرف أن الجسد محدود وفاني، وأنّ الروح واسعة حتّى أنّها تستطيع بالتكرار أن تغمر الطبيعة بأكملها فتعطيها الحماية والدفء، وتفتح أمام الحياة احتمالات غير مرتقبة وغير محدّدة سلفاً. إنّ الإنعتاق من المادة سبيل الى معاكسة أنظمة الكون. هكذا يرى أبو شبكة الحرّيّة فعل معاكسة ومشاكسة وشيطنة وإخلالاً بالقوانين المتعارف عليها بين الناس.

ولأنّ أبا شبكة لم يعيش في الحلم فقط، بل كان الرغيف يجرّه إلى ترك عالمه المفضّل ليحتكّ مباشرة بالناس، فقد تأكّد له أن الحلم هو الصورة الملوّنة لسيناريو الحياة المعروض بالأبيض والأسود. فالحياة ارتزاق ولقمة صعبة، والبشر أهواء متعدّدة ومصالح متضاربة، الكبير منهم يأكل الصغير.

لقد خبر أبو شبكة البشر لأنّه احتاج، فالإكتفاء ابتعاد عن التجربة، وابتعاد عن الإحتكاك بالناس وقرع أبوابهم. وبرغم أن الآية تقول «أطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم»، فإن الحياة مع تطورها وتشابكها غيرت الكثير من القيم السماويّة البعيدة عن واقع الحياة المعاصرة. لكلّ هذا، ارتدّ أبو شبكة إلى الأرض كالإبن الشاطر بعد طول اغتراب، فذبحت له عجلّ الوفاء. فالأرض بالمفهوم اللبناني كريمة، معطاء، أعطها تعطك. وبما أنّ الشاعر أعطاها خلجات قلبه، فقد بادلتها جميلاً بحميل: أمّنت له واحة مستقرّة، وصفحة هادئة كصفحة مياه صافية، فرأى عبر الأرض صورة مثاله، صورة مبتغاه.

أليست أمنية الشاعر المرجوة أن يرتاح من قسوة القدر والحياة؟ وهكذا برزت الطبيعة عند أبي شبكة كتجربة خلاص ، كواحة أمان ، وبذلك استعادت مفهومها القديم : الأرض هي الأمان ، وهي تضم رفات الأجداد ، وتحمل في أحشائها ثمرة الحياة . وإذا كان بعض القبائل في الهند يرفض الزراعة لأنّ المحراث يشقّ الأرض ويجرحها ، فإنّ الأرض عند أبي شبكة تتخطى مفهوم الجهاد أيضاً لتأنس . والشاعر يعبر عن حركتها عبر أفعال تنتمي إلى الحقل المفهومي الإنساني :

عرائس الدّلب على الشاطئ  
يلوّب النوم بأحداقها  
هادئة كالنهر الهادي  
تحلم في خضرة أوراقها .

\* \*

ودمعةُ الراية الآمنة  
صامتةٌ ماذا ترى تكتُمُ  
ساكنةٌ في الساعة الساكنة  
كشيخةٍ في أمسها تحلمُ .

إنّ طبيعة أبي شبكة ليست كطبيعة أغلبية الرومنطقيّين . فنحن نعرف أنّ بعض شعراء المدرسة الرومنطقيّة كانوا يهجرون أوطانهم لارتياح بلاد جديدة تؤمّن لهم ما يبحثون عنه من حماية ودفع . بينما المعروف عن أبي شبكة أنّه لم يكن ينام خارج منزله ، ويصرّ على أن يعود إلى بلدته ولو متأخراً . فالبيت هو عالمه المفضّل ويرتبط في ذاكرته بالبحبوحة ، بالحنان والأمان يوم كان الوالد على قيد الحياة . ومن البيت يستوحي شاعرنا مفهوم الطبيعة . فالطبيعة ، بسقفها السماوي وأرضها المفروشة بالأزهار ، هي البيت الذي يحمي ويؤمن الاستقرار والثبات ، ويبعد الإنسان عن هموم الترحال والتشرّد في المجهول .



وإذا كان أبو شبكة يرفض أن يبتعد عن بيته، فهو يرفض كذلك أن يختار طبيعة غير طبيعة بلاده ! فالطبيعة عنده ليست فعل خلاص من مشكلته الفردية فحسب، بل من المشكلة الجماعية في لبنان التي بدأت مع التطور الصناعي. فأبو شبكة يرفض أن يدخل الكهرباء إلى بيته مفضلاً الشمعة التي تذوب، والتي تذكره بالموت. وقد أراد برفضه التركيبات الصناعية الحديثة أن يحافظ على براءة لبنان، وهو الذي هرب من المجتمع القاسي المعقد، إلى الطبيعة — الحلم، إلى الأشياء في بدايات تكونها وفي هيولتها والتي ما زالت تحافظ على نفحة الله فينا:

أرجع لنا ما كان يا دهرُ في لبنان  
كانت لنا أحلامنا والنتى  
وكان صفو الزمان

.....

.....

أرجع إلينا الصاج  
والجرن والمهباج  
وخصبنا في الرى  
ونورنا في السراج  
واسترجع الكهربا  
وكاذبات الغنا  
يا دهر أرجع لنا  
ما كان في لبنان

إنَّ الطبيعة عند أبي شبكة هي الطبيعة اللبنانية المتميزة بالصدق والخير والحماية والدفع والعطاء. وعطاء الأرض عندنا عطاء مزدوج: عطاء مادي للرغيف،

وعطاء روعي لا يفنى . لذا تبرز الطبيعة عنده كأنها رمز الإكتفاء والقناعة وعدم  
استجداء الغير :

خمورنا في الخابية  
جنى كروم الرابية  
وعندنا الكبر  
والحبّ والخضر والعافية  
والقمح في أعدالنا  
والزيت في قلالنا  
والسّتين في السّلال  
وكلّها حلال ، من  
جبالنا

إنّ أبا شبكة اليتيم احتاج دوماً إلى أب ، وبتعبير آخر إلى مرشد . والطبيعة بما  
تقدّم من فصول الحكمة كانت له هذا المرشد ، كما كانت الملجأ الذي ينسحب  
إليه بعد خسارة أيّ معركة في الحياة ، وفي الحب ، وفي الحلم ...

والطبيعة كانت كذلك الإطار لعلاقته مع المرأة ، ولعلاقته مع الله ؛ فنها كان  
يستمدّ فرحه واندفاعه نحو المرأة :

يا فتاتي تحت زهر الياسمين قد تعاهدنا على حبّ أمين  
لا يزال الدهر بساماً لنا شاهداً عدلاً على تلك اليمين  
وفي أحضانها أيضاً كان يتقرّب إلى الله ، والله هو الإستقرار ، ويتجلّى في مظاهر  
الطبيعة كلّها . لذا دخلت الطبيعة عنده زمن القداسة ، زمن التوبة ، زمن الغفران ،  
زمن العودة إلى ينبوع الأزلي :

للربى ظلٌّ على الأرض بهي  
وعلى السّهل عطورٌ وضياء

ومن الجدول ترجيع شهّي  
ترفع الإنسان أو تدني السماء

ولكن... هل كانت الطبيعة خلاص أبي شبكة الأخير؟ الجواب لا. لأنّ أبا شبكة ظلّ كالطير الصغير، يرفرف ولا يخلّق، وماذا يستطيع أن يفعل طير صغير؟

صحيح أن الطبيعة كانت له مكان الانعتاق والتحرّر والهرب والأمان، إلّا أن الحلّ بقي مفقوداً، والتوتر لم يتبدّل، وكان يشتدّ كلّما اقترب الشاعر من الهاوية. وبقيت حاجته إلى الطبيعة... لكن الطبيعة كتجربة خلاص لم تمنعه من محاولة حلّ مشكلته مع الحياة بطريقة مغايرة. فالتجأ إلى المرأة، فوجد فيها أقدس الحيات وأجمل الآمال.

\* \*

لم تتخذ المرأة في رؤيا أبي شبكة وجهاً واحداً. فهي تارةً الملاك الهابط من السماء، وطوراً الأفعى المتأجّجة شهوةً وناراً. وأبو شبكة لم يبحث عن المرأة من أجل المرأة، بل من أجل الوصول من خلالها إلى ما يحلم به من اطمئنان وسعادة. وقد اتخذت محاولته هذه أشكالاً عدّة، تنوّعت وفق المرأة التي التقاها في كل مرحلة من مراحل تجربته، ممّا يؤكد أن الشاعر كان صادقاً في نقل علاقته بها. إنّه لم يعيش المرأة خيالاً كمعظم الرومنطقيّين، بل عرفها جسداً وروحاً.

ومع أنّ لقاء المرأة في عصره كان يتمّ بصعوبة نظراً للتقاليد الشرقيّة التي كانت تتحكّم بالمجتمع آنذاك، فإنّ أبا شبكة في اندفاعه المحموم للقاء الآخر، للقاء المرأة، تجاوز ما تفرضه عليه الأعراف والتقاليد، محطّماً الحواجز ليجد المرأة — الخلاص.

وبحثه عن المرأة بدأ باكراً. فهي هو ابن الثامنة عشرة يهيم بغلواء. إلّا أنّ «القيثارة» التي زامنت حبّ غلواء، تشهد أنّه عرف أكثر من غلواء واحدة؛ وفي ذلك العهد بدأت تتكوّن نزعة الرومنطقيّة في الحب، تلك النزعة التي تدغدغ إجمالاً مشاعر المراهقين فيرون في المرأة الحلم الجميل، والإنسانة التي لا تلدغ. إنهم ينظرون إلى المرأة من بعيد، يتخيّلونها أكثر ممّا يلمسونها، تعيش في روحهم وفي قلوبهم أكثر ممّا تعيش في تشهيمهم. فهم يحلمون بها ملاكاً، ولا يعرفون أنّ هذا الملاك يتحوّل في السرير إلى أفعى

تغتصب اللذة. إنهم يجهلون سرّها ، سرّ سطوتها ، سرّ حبّ تملكها الرجل إن تمكّنت ، وسرّ مكرها... إن أبا شبكة كان كغيره من الشباب الحالمين ينظر إلى المرأة من خلال ستار شفاف يضني عليها هالة من القدسيّة ، ويعطيها أبعاداً الهيّة. لذا كانت المرأة في المرحلة الأولى من شعره المرأة صديقة الروح ، أكثر من المرأة — العشيقّة. فبدا حبّه بالتالي حبّاً رومانيّاً ، غنائياً ، يكتفي بلمح الحبيبة أكثر من توغّله في تفاصيل تجربته معها ، لأنّ التجربة كانت سطحيّة تكتفي باللقاء ، بالنظرة ، بالإبتسامة ، بلمسة السلام...

وهذه الشفافية في الحبّ تعود إلى طبيعة الشباب المراهقين. وأبو شبكة الذي لم يكن قد بلغ مرحلة النضج بعد ، تاق بفعل تكوينه النفسي إلى فتاة تشاطره بعض معاناته ، بعض آلامه ، وبعض آماله في حياة أخرى. فكان تطوّر نظرتة كأطوار الحياة ولادةً ومراهقةً وشباباً وشيخوخة. وقد مرّ بجميع هذه الأطوار.

أحبّ المرأة الملاك ، وأحبّ المرأة الشيطان ، وأحبّ المرأة — الحكمة ، ممّا يعني أن الرجل لم يأت إلى المرأة إلّا من حيث كان من الطبيعي أن يأتي إليها. ففتيات « القيثاره » فتيات مراهقات لا يمكن لأبي شبكة أن يرى فيهنّ بحكم العمر وعدم الخبرة إلا العفاف والعدريّة. إنه لم يلق منهنّ ما كان يحلم به من إصغاء ومشاركة وتقدير وحبّ. فطغى طابع التشاؤم والحزن على قصائده الغزليّة الأولى. فالفتيات اللواتي عرفهنّ لم يخرجنه من دائرة حزنه ، ومن انكفائه إلى نفسه المريضة. إنه لم يلق غير الصدود ، وهذا الصدود المتواصل دفعه أحياناً إلى أن يكفر بالحبّ ، فاعتبره « سليل الخراب » وهو بذلك يؤكّد فشله العاطفي ، كما يؤكّد أنّه يبحث عن المرأة التي يمكنه أن يتهاوى بها ، وأن يجد في نفسها صدىً لنفسه.

وبدلاً من أن يلتقي المرأة التي تستجيب لحاجات روحه بكلّ أبعادها ، والتي يتكامل معها عن طريق الجسد ، فقد التقى المرأة — العاهرة ، ممّا ولّد لديه اقتناعاً ثابتاً أن الحسن والجمال في المرأة هما المعادل الطبيعي للخطيئة :

ملّقيه بحسبك المأجورِ      وادفعيه للإنتقام الكبير  
إن في الحسن يا دليّة أفعى      كم سمعنا فحيحها في سريرِ

إنَّ علاقة أبي شبكة بالمرأة تخضع لمبدأ المدّ والجزر. فهو يقترب من الجسد أو يبتعد عنه وفق حاجاته النفسيّة، وتبعاً لطبيعة المرأة العشيقة. فالتواصل عنده يخضع لناموس ذاتي. فحين يكون في حالة احتقان داخلي فإنّه يتفجّر شهوة تنطرف حتّى الهوس، حتّى الشذوذ؛ وإن حلت السكينة على نفسه عاد البياض إلى مآقيه، وعادت الروح لتحجب جسد المرأة عنه.

وعلاقة أبي شبكة بالمرأة لا يمكن أن تنفصل عن حياته. فالمرأة عنده ضرورة قصوى، لأنّها تشكّل علامة من علامات النصف الآخر. وقد عانى كثيراً حين اكتشف المرأة الأفعى: سقطت لديه المثاليّات، انزاح عن عينيه ستار الوهم، صارت المرأة من البشر بعدما كانت من جنس الملائكة.

وهذا الواقع ولّد عنده صراعاً مريراً بين جسده وروحه. فجسده المحموم المهتاج، وروحه التي تنشّد الاستقرار كانا في احتكاك دائم. وحصيلة هذا الاحتكاك كانت التجربة الشعريّة الفدّة التي تحوّلت إلى صراع بين الحياة والموت. فمن خلال علاقته بالمرأة كان سؤاله المصيري يظهر جلياً: أيّها يفنى الجسد أم الروح؟ ممّا دفعه إلى ممارسة الجنس بشبق لا ينتهي. وهو بذلك يحاول أن يؤكّد ذاته، أن يؤكّد بقاءه، أن يؤكّد استمراريّته. فالروح التي فشلت في إيصاله إلى الطمأنينة، دفعته إلى محاولة البحث عن بديل آخر فكان الجسد. ولا شكّ في أنّ أبا شبكة أثناء بحثه عن سرّ الروح أولاً، وعن سرّ الجسد ثانياً، عانى تناقض الإنسان وثنائيته، وهو ليس الوحيد الذي عانى مثل هذا الأمر. فالقديسون أنفسهم عانوا هذه الإزدواجيّة. ألم يقل بولس الرسول: «إنّني أشعر برّجلين في ذاتي». كذلك فإنّ الجسد والروح في التفكير الأغوسطيني يبرزان دائماً كأنّهما ملكتان على طرفي نقيض، ممّا يجعل الإنسان ممزّقاً بين عاملين من عوامل التنازع.

لكنّ استغراق أبي شبكة في حمّى الجسد أثناء علاقته بالمرأة المتزوّجة، امرأة «أفاعي الفردوس»، لم ينتزع من قلبه ومن فكره حنينه إلى الطهارة والعفة وتوقه إلى المرأة الحبّية الطاهرة. وقد ساعدته هذه الحركة الثنائية المتأرجحة بين البعد المادّي والإلحجاب الروحي على تعميق معرفته بذاته. ذلك أنّ الصراع بين الجسد والروح هو سبيل إلى الكمال، كما يؤكّد نوفاليس إذ يقول أن المرء لا يتوصّل إلى معرفة حقيقة ذاته «إن لم يكن هو نفسه وإنساناً آخر في الوقت عينه».

وبالفعل فقد استعاد أبو شبكة، المشيع تفكيره بالمثاليات، توازنه بعد بدئه علاقة جديدة مع مغنيّة سمراء أعطته من روحها ومن جسدها، فاكشف أنّ المرأة إذا طغى جسدها على روحها أو العكس، فقدت سرّ الخلاص، وفقدت قدرتها على أن تُحَبَّ وأن تُحَبَّ، وتحوّلت إمّا إلى ملاك غير موجود حقيقةً، أو إلى شيطان تنفر منه لتأجج شهواته وميوله الجسديّة.

إنّ تجارب أبي شبكة المتعدّدة مع المرأة، أوصلته أخيراً إلى مرحلة الحبّ المتوازن حيث لا طغيان للروح على الجسد، ولا تسلّط من الجسد على الروح. فالروح والجسد يكمل أحدهما الآخر، والعلاقة الروحيّة ضرورة لأنّ الإنسان روح، ولأنّ الروح بحاجة ملحة إلى إقامة حوار مع روح مثلها علّ هذا الحوار يؤدّي إلى إغنائها معاً. والجنس ضرورة للحبّ ووسيلة إلى تحقيقه، وهو الأداة الوحيدة القادرة على استثارة الحبّ والمحافظة عليه في مجتمع يتألف من أناس منغمسين في المادّة والجسديّات. من هنا يصحّ قول مدام لا فاييت: «إنّ في الحبّ شيئاً من كلّ شيء. ففيه شيء من الروح، وفيه شيء من العقل، وفيه شيء من القلب، وفيه شيء من الجنس».

إذن بعد أن مرّت المرأة عند أبي شبكة بمرحلة المراهقة والشبق، أي بعد أن مرّت بتطرّف الروح والجسد، بدأت تأخذ ملامحها وهويّتها الأخيرة. فالتجربة أدّت إلى استنتاجات حسيّة. وكيف لا، وأبو شبكة لم يقرأ المرأة في كتاب، بل عاشها وأحبّها ومارس الجنس معها! ففلسفته في المرأة فلسفة وجوديّة حياتيّة مستمدّة من الحياة بكلّ مضامينها، وهو لم يصل إليها إلّا بعد معاناة طويلة. هذه المعاناة التي لم يجد حلّاً لها في الطبيعة، بل كاد يجد لها الحلّ عند المرأة. إلّا أنّ المرض كان أقوى.

إنّ الحبّ في بعده الأخير، جعل أبا شبكة يعتقد أنّه وحييته قادران على بناء دنيا جديدة:

أو لم نَبْنِ بِالْحُبِّهِ وَالرَّاءِ      فة دنيا أعزّ من دنيانا  
تهدم العالم الذي يهدم الوج      لدان فينا، وترفع الوجدانا

ومع أنّ حبّه قاده إلى الغبطة الكبرى، إلى التلاشي في الحبيبة تلاشياً تاماً، وإلى أن

يسمع صوتها وأن يرى وجهها في كل خلجة من خلجات الطبيعة والكون ، فقد كان يشعر في قرارة نفسه أن حب الرجل للمرأة ليس غاية الإنسان الأخيرة . فالحب تجاوز إلى حب أكبر وأعم . والحب البشري مهما بلغ وارتقى لا يمكنه أن يملك في ذاته مقومات الاستقرار والبقاء . فمن الضرورة والحالة هذه أن يكرس هذا الحب نفسه ، لبلوغ حب أسمى يتحقق من خلال علاقة الرجل بالمرأة .

هنا يلتقي أبو شبكة في هذه الرؤية مع أفلاطون الذي لم ينظر إلى الحب كحب ، بل إلى التغيرات العميقة التي تحدثها العلاقة بين الرجل والمرأة في نفس الرجل ، فتغني فكر الرجل وروحه . فالحب عند أفلاطون وسيلة لبلوغ النشوة الكبرى ، وواسطة لتأمين الارتقاء نحو المطلق غير المدرك ، أي نحو الله .

وإذا كانت العلاقة الجسدية والروحية بين الرجل والمرأة تحمل في طبيعتها نوعاً من السر ، فإن لهذا السر وجهين : فهو مرتبط أولاً بخصمات الوجود الفعلي في كون زائل ، وهو مرتبط ثانياً بالوجود الأبدي الذي يمكن الحب ، بمعزل عن الجنس ، من إدراك الخلود . من هذا المنحى نفهم قول أبي شبكة :

لي إلى الله في حنانك مرقاةً وفي صوتك الشجى سلالماً

إن تجربة أبي شبكة في تصاعديتها تلتقي مع النظرة الأفلاطونية إلى الحب ، القائمة على أن الإنسان ينتقل من حب الأجساد الشهية ، إلى حب الأنفس الطاهرة ، فإلى حب الخير المطلق الذي لا شكل له . وأبو شبكة عرف الحب في وجهيه : الجسدي والروحي ، واختار أخيراً المرأة التي تستطيع أن توصله إلى الحب المطلق ، إلى الله . فالله هو السلام الحقيقي ، وهو الرجاء الآتي ، والإيمان وحده يريح لأنه يجيب عن السؤال الأساسي أي الموت .

\* \*

كانت تجربة الياس أبي شبكة مع الله ، النتيجة الحتمية لعلاقته بالطبيعة وبالمرأة ، ولبسته الدائم عن الحرية . فهو بعد أن امتلك تجربة ذاتية متكاملة ، تجربة متحركة تنبع

من معاشته اليومية للمحسوس ، أوصله بحثه عن الحرية لدى المرأة والطبيعة إلى الله . فكان طبيعياً والحالة هذه أن تعبّر تجربته في هذا السياق تعبيراً صادقاً عن معاناة نفسه الناثقة إلى التحرر النهائي ، أي إلى الخلاص .

لقد أراد أبو شبكة ، كما عبّر في رسالة منه الى غلواء « أن يعيش في حرية سامية وأن يموت في حرية سامية » . لكن الشاعر اكتشف باكراً أن الظلم والبغضاء يمنعانه من ممارسة حريته كما يجب ، وكذلك يمنعان الناس من تحقيق حريتهم المتكاملة . لذلك ثار في مواقف معينة على الله ، ورفض عدالته الإلهية بأبيات متسائلة مشككة :

ربّ لم أنتَ تظلم الأبرياء وتزيد العاني الشقيّ شقاء  
هم يقولون هكذا الله شاء فاحترم فيه حكمةً علياء  
وأحبهُ الشكر بكرةً وعشياً

ولم يكف الشاعر بهذا القدر من الرفض ؛ فنفسه الشاعرة الراضة راحت في حمى مشاهدتها الواقع القاسي المرير ، تسائل الله عن سرّ تعذيبه الكائنات التي خلقها ، والتي نفخ فيها بعضاً من روحه . ولعلّ هذه التساؤلات بالذات ، والروحية التي تنطلق منها هي التي جعلته يبحث باستمرار عن الخلاص . ومع أن بحثه عن الخلاص في الطبيعة لم ينته به إلى الابتعاد عن الله بل قرّبه منه بالمقدار نفسه ، فإن تجربته مع المرأة العاهرة قادته إلى الابتعاد عن الله ، وإلى الإنجراف وراء الملذات الجسدية الحسية وارتكاب المعاصي .

لكنّ هذا الابتعاد لم يطل . فاستغرق أبي شبكة في الخطيئة لم يمنعه من معاودة البحث عن الله في المرأة الحبيبة ، بعدما اكتشف أن الجسديات وحدها لا توصل الإنسان إلى الحرية المطلوبة . على أنّ هذه الجسديات ساعدته على بلورة إيمان قويّ ، إيمان يركّز على الحاجة الروحية إلى الله ، وعلى التوجّه إليه ملجأً وحمايةً وخشبة خلاص . فالخطيئة أكسبت الشاعر بعداً إنسانياً لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً باختبار «أناه» الكلّي . وفي غمرة ممارسته الجنس للذة الجنس ، نراه يعترف في «أفاعي الفردوس» أنّه خاطئ ، مما يعني أنّه يدرك محدودية وجوده وطبيعته الإنسانية .



فالبحث عن الحرية هو الذي قاده إلى الخطيئة . والخطيئة ثمرة من ثمرات الحرية لأنها إحساس الأنا وحضورها أمام ذاتها ، وتأکید للذات ، وهي الدليل الأكيد على وجود الحرية وإن في وجهها السلبی . وإذا كان أبو شبكة لم يذق ثمرة الخطيئة حتى النهاية فذلك لأنّ شعوره بالخطيئة كان قویاً . فولّد عنده هذا الشعور صراعاً عنيفاً بين شهوة الجسد وما تقضي به التعالیم الدينية .

والإحساس القويّ بالخطيئة ما كان ليرز بهذا العنف لولا إيمانه الوثيق بالله . ذلك أنّ الإنسان العادي يعيش حالة الخطيئة حين ارتكابه لها ، في حين أنّ الإنسان المتشرّب روح الإيمان يصبح الخطيئة بحدّ ذاتها .

من هذه الرؤية يمكننا فهم ما كان يضطرم في صدر أبي شبكة من صراع ، كما يمكننا أن نفهم شعوره العميق بالذنب تجاه ذاته :

رأيتك تمشي في المساخر شاعراً      وتاجك محطومٌ عليك مكمّداً  
وروحك ممسوخٌ ، ونوركٌ ذاهلٌ      وشِعرك بالغلّ الدنيء مصفّداً  
وشاهدتُ أشباحَ السّماء كثيفةً      عليك بأسواط الأراجيف تُطرّد  
فقيمٌ أزغتَ النفسَ عن نهج قدسها      فصارت مغاراً سافلاً وهي معبدٌ !

إنّ خيبة أبي شبكة من العالم المعيّش ، وشعوره بأنّ الإنسان عاجز عن بلوغ الطمأنينة المرجوة والسلام الداخلي واللذة الحقيقيّة المستمرة في الزمان ، بمعزل عن الله ، جعلاه يتوق إلى التوبة . والتكفير والعودة إلى ربّه :

ربّاه عفوك إني كافرٌ جانٍ      جوعتُ نفسي وأشبعْتُ الهوى الفاني  
تبعْتُ في الناس أهواءَ محرّمةً      وقلتُ للناس قولاً عنه تنهاني  
ولم أُنقِ من جنون القلب في سبلي      إلّا وقد محت الأهواء إيماني  
ربّاه عفوك إني كافرٌ جانٍ

وهكذا ارتدّ إلى الله ، وصار يراه في مظاهر الوجود كلّها . فتشّ عن الله بعدما شعر بحاجته العميقة إليه ، فوجده في كل مكان . فتطرّفت رومنيقيّته إلى حدّ الترهّب ،

وأصبح كفيكتور هيفو يعتبر أن الله موجود وحالٌ في كل شيء ، وأن العالم بأكمله هو هيكل له . من هنا اعتباره نفسه لعبة في يد الله ، لعبة يجب أن يصونها ، وأن يحافظ عليها . فالله أصبح عنده الملجأ والحماية .

ولأنّ أبا شبكة عاد إلى الإيمان القوي بعد طول اغتراب ، فإنه لم يكتف بالطلب إلى ربّه أن يصونه فحسب ، بل أن يصون حييته أيضاً :

ربُّ صنّها وأبقها لي ظلّاً من حنانٍ يمتدّ في صحرائي

إنّ الإيمان بالله أوصله إلى الفرح والطمأنينة ، إلى السعادة القصوى والهدوء ضمن التوازن النفسي والرجاء . فالله ، وقد صار يراه محور الوجود ، جعله يضالّح ذاته ، ويتحرّر من قيود المادة والجسد ، ويوحّد قواه النفسيّة ليوجّهها نحو تحقيق هدف واحد : السلام الداخلي .

وهذا الإيمان كان عزاءه الوحيد في رحلته الأخيرة ، كما كانت المرأة عزاءه في حياته . وكم كان يطلب من زوجته غلواء وهو على فراش المرض الأخير أن تصلّي ، ليردّد معها الصلاة بتقوى وخشوع كليّين .

إنّ الموت الذي دفع بأبي شبكة إلى البحث عن الخلاص من خلال منافذ خلاصيّة ثلاثة ، أكّد له أنّ الحرية هي في امتداد روحه في الفضاء ؛ فكأنه عاش لتكون تجربته خبرة للآخرين .

هنا تكمن أهميّة الرجل ؛ فقد استطاع أن يترجم حياته إلى قصيدة ، تجسّد فعل الخلاص ورجاء القيامة . فالشعر عنده كان المكملّ للثالث : الطبيعة والمرأة والله ، لأنّه لغة القلب والروح ، لأنّه لغة الإنسان .

\* \*

هذه المقدمة ، محاولة متواضعة لربط تجربة أبي شبكة الشعرية بتجربته الحياتية .  
ذلك أن لا فصل بين أبي شبكة الشاعر وأبي شبكة الإنسان . إنها المعاناة الصادقة  
والتجربة المتكاملة والبحث المستمر عن الحقيقة . لذا كان هذا المجلد الذي يضم تجربة  
إنسان اختبر الحياة مدة أربع وأربعين سنة ، واستطاع أن يبدع من مآسيه وأفراحه  
وآلامه وآماله نشيداً متكاملًا يختصر آدم وحواء منذ بداية الخليفة حتى اليوم .

وليد نديم عبود



# القيِّشَة

الطبعة الأولى

١٩٢٦



## أرفع قيثارتني هذه إلى روح والدي

يا أبي ،

لقد فتكت بك يد أئيمة في بلاد الغربه بعيداً عن زوجك وصغارك ، فخلقت  
اليأس في صدر أُمي والألم في قلبي !

كنتُ في العاشرة من عمري يومَ توارى وجهك اللطيف إلى الأبد ، وكنتُ لا  
أزال أدفأ بين جناحيك ، وما أنا اليوم في الثانية والعشرين ، في عهد الشباب ، في  
عهد الجهاد والألم !

أُفتش في بلادِي فلا أجِدُ لي نصيراً ، ولا أجِدُ مَنْ يُدركُ مبادئ نفسي وما  
طُبعت عليه إلَّا فئة قليلة هي مثلي في آلامها وبلاياها !

يا أبي ، لقد توالى الأيامُ العديدة وهي أشدُّ سواداً من ظلمة قبرك ، وأنا ثابتٌ  
في مبادئ كالأرز في وجه العاصفة ، أودُّ شكاةً فلا أجِدُ مَنْ يُصغي إليَّ غير  
روحك المرفقة فوق رأسي !

ما هذه الجراحات التي أرفعُها إليك الآن ، سوى أفواه الألم صارخةً من عمق  
أعماق نفسي !

هذه هي « القيثارة » التي وقَّعتُ عليها ، في طريقي الوعرة ، أناشيدَ قلبي ! فعلى  
كلّ وترٍ من أوتارها آثَارُ دماء ، وعلى كلِّ قطعة من أخشابها جفاف دموع !

فإذا رأيتَ دماي زكيةً ودموعي طاهرة ، فأبقِ قيثارتي في عالم الخلود ، وإلاَّ  
فحطِّمْها على رأسي وغلِّلْ بأوتارها نفسي !

الباس



## ما نُجيب الإبناء، إن سألونا

أَيُّهَا الظُّلُمُ والخُنا والغُرُورُ  
يا كُنُوداً، ويا مُحاباةَ قومي  
يا خصاماً، يا منكراتَ بلادِي  
إقربي ما أَستطعتِ من كِبَرِ نفسي  
ليَ نفسٌ كالبحرِ ذاتِ اتِّساعٍ  
تبصقُ الرِّجسَ عن عفافٍ وطَهرٍ  
لا يَغُرَّنكَ أَنِّي مُسْتَكِنٌ  
وأستريبي إذا سمعتِ زفيري  
إقربي، إقربي فالأُمُ نفسي  
جمرةٌ في بركانها تتلظى  
يا بلادِي، كفاكِ هزءاً بنفسِي  
لا تقولي قد أحرقتها البَلايا  
أُترَكيني أنشدُ أغانيَ حُبِّي  
إنَّ شعري أَبقى من التاجِ عمراً  
كم أمير، وكم ملكٍ توارى

يا خداعاً تعفُّ عنه الشرورُ  
يا صدوراً، يدبُّ فيها النُفُورُ  
يا رياءً، يا حِطَّةً، يا فُجُورُ  
أنا صدري رَحْبٌ وقلبي كَبِيرُ  
فَلُبابٌ يُلقى بها، وقشورُ  
واللآلِي تَبْقَى بها، فتغورُ  
فلِإلى ثُورَةٍ سَكُوتِي يُشِيرُ  
إنَّ في صدري الزفيرِ زئيرُ  
جمرةٌ يَسْتَطِيرُ منها السعيرُ  
شاخصاتٌ إلى لَظَافِها الدَّهْورُ  
إنَّ نفسي حِسامُكِ المَطَرُورُ  
كلُّ نفسٍ لم تحترقَ لا تُنِيرُ  
أنا بِالْحُبِّ والأغاني فخورُ  
ذلكَ التاجُ للزوالِ يصيرُ  
وطوئُه دُجْنَةٌ وقبورُ

والمعري الضرب ما زال حياً      وفقيراً كان المعري الضرب

\* \*

يا نفوساً تطوّر البأسُ فيها	أين يأوي حسامك المشهورُ
ليس يُجدي حِلْمٌ ولا اللينُ يُجدي	لنفوسٍ شعارها التدميرُ
خُلِقَ المجدُ للقدير، فجدّوا	لا ينالُ الرقيّ إلاّ القديرُ
وَرَدُوا العلمَ، إنَّ في العلمِ نوراً	وأنفُصوا الجهلَ، ليس في الجهلِ نورُ
هذه التربةُ التي أنشأتكم	عاثَ فيها مسودّ مأجورُ
فأنفضوها، ففي ثراها نُصارُ	وغناكم نُصارُها المذخورُ
ما نُجيبُ الأبناءَ إن سألونا	أيّ أرضٍ أنرُتُم يا بدورُ
أيّ عارٍ خلّفتُم لفراخٍ	رغب الذلُّ فيهم يا نسورُ
أنطبقُ الحيا ونحن شيوخُ	شرفٌ في صدورنا وشعورُ
عَجَزُ لا نصيرَ يدفعُ عنا	ما نقاسي، ما للذنوبِ نصيرُ

\* \*

أيّها الفجر يا سراجَ البرايا	عجباً منك، كلّ يومٍ تزورُ
كيف لم تسأمِ الوجودَ المحابي	أترى أنتَ مثله شريراً؟!
أيّ يومٍ زبوتُ نورك تخبو	وعلى سُنّةِ الضياءِ تشورُ
وتزجُّ الوجودَ في ظلماتٍ	مستبداً في بُردها الديجورُ؟!
إنّ هذا الوجودَ أَمسى مُستأً	وشقيّاً أَمسى الوجودُ الخطيرُ
رثٌ فيه خُلِقَ الرجال ورثتُ	نَزواتُ العلى ورثَ الضميرُ
ليس فيه إلاّ خداعٌ وزورُ	وبليّاته خداعٌ وزورُ

خَلَفَ التَّيْسُ فِيهِ لَيْثًا هَصُورًا      وَبَحَ تَيْسٍ يَنَامُ عَنْهُ الْهَصُورُ  
 عَبَثًا نَرْتَجِي الصِّيَانَةَ مَا لَمْ      تَتَمَزَّقْ عَنِ الرِّيَاءِ السُّتُورُ  
 قَدْ أَقْمَنَّا عَلَى الْجَهَالَةِ عَهْدًا      وَعَلَى الْجَهْلِ لَا يَقِيمُ الْبَصِيرُ  
 أَوْلَسْنَا وَرَّاثَ أَقْدَمٍ مَجْدٍ      فِي يَدَيْنَا صَلِيلُهُ وَالصَّرِيرُ  
 أَوْلَسْنَا وَرَّاثَ شَعْبٍ أُثِيرَتْ      بِتَعَالِيهِ الْهَدَاةُ ، الْعَصُورُ  
 عَبْدُوا الْفَنَّ نَيْرًا ، وَعَبَدْنَا      تَرَاهَاتٍ ، شَعَارُهَا الشَّبِيرُ  
 مَا تَبَقَّى لَنَا مِنَ الْفَنِّ إِلَّا      ذَكْرِيَاتٌ هِيَ التَّرَاعُ الْأَخِيرُ  
 أُمَّةٌ كَانَتْ الْبِلَادُ ، فَأَمَسَتْ      أُمَّةٌ مَا دَرَتْ بِمَنْ تَسْتَجِيرُ  
 يَسْتَبِدُّ الْغَنِيُّ فِيهَا وَيَعْمَى      عَنْهُ كُلُّ الْوَرَى ، وَيَشْقَى الْفَقِيرُ  
 فِي ذُرَاهَا وَفِي السَّوَاخِلِ يَجْرِي      مِنْ عُرُوقِ الْجُدُودِ ، مَاءُ نَمِيرُ  
 فَاسْجُدُوا لِلْأَثِيرِ فِيهَا ، وَصَلُّوا ،      فَلِهَآئِ الْأَجْدَادِ هَذَا الْأَثِيرُ

\*

## خاطرة

نَظَرْتُ إِلَى الْمَرَاةِ فَاتَّيْتُ      بِتَدَلُّلٍ يَسْتَعْبِدُ النَّظْرَا  
 فَهَبَّتْ أَلْثَمُهَا لِأَنَّ بِهَا      لِحْيَالٍ حُمِرَ خَدُودُهَا أَثْرَا

## ليس عن ضعف قعودي

هذه الدنيا سامة      تعبٌ فيها الإقامة  
جحد العاني فلماً      يُبق لي فيها كرامة  
ليس عن ضعف قعودي      عنه، لكن عن شهامة  
لي نفسٌ علّمتني      كيف أستزري لثامة  
لي آدابٌ أراها      فوق خدّ العلم شامة  
ويراعُ يتمنّى الـ      فجراً لو كان أبتسامة  
يُعرفُ النذلُ ولو      حطَّ على الرأس عمامة  
كلّ نذلٍ مستبدٌ      في محيّاها علامة  
لم أحاربُه بسيف      بل بصدقٍ وأستقامة  
إنّ أفضلَ صفعه بالـ      نعلٍ أنصفه مُقامة

## العامل الثاني

ما حيلة المفثود في حُسَّادِهِ  
صَدَمَتْهُ عاصفةُ الزمان، فقَوَّضَتْ  
بيتاً أَوَتْ فيه مواكبُ وحيه  
قصدته آمالُ الشباب، وطالما  
حوَّلَ عيونك عن مشاهدته، فلم  
ما شادَهُ ربُّ التساهل والوفا  
أَوَلَسْتَ تسمعُ كيف يُنشدُ مثنًى  
هذا فؤادي تُستباحُ دماؤُهُ

\* \*

قال الحسودُ غداةَ أبصرَ مدمعي  
هذا ضعيفٌ لا يميلُ به الهوى  
يا عاذلي ليس اعتقادك مُحْكَمًا  
فالشعرُ لو أدركتَ، وحي حقيقة  
لي موطنٌ عاثتْ به أولادُهُ

يجري به بَصْرِي بملءِ سوادهِ  
إلّا ويعزفه على أعودِهِ  
بالشاعر الباكي على أجمادِهِ  
والشاعرُ الرسَّامُ طوعُ قيادِهِ  
فبكت حُشاشَتُهُ على أولادِهِ

أُلْقِيَتْ في حفلة العمال في بيروت.

وَيَمُوتُ لَأْتَمَ قَبَضَتِي جَلَادِهِ  
يَتَطَوَّعُونَ الْيَوْمَ لاسْتِعْبَادِهِ  
إِلَّا مِرَاعَاءَ لَدَى أَسْيَادِهِ  
أَفْرَادُهُ، وَأَذَاهُ مِنْ أَفْرَادِهِ  
تَمْشِي أَظَافِرُهُمْ عَلَى أَكْبَادِهِ  
وَيَسْوَدُ فِيهِ التَّنْدَلُ بِأَسْتِدَادِهِ  
وَتَجَنَّدَ الْمَثْرِيُّ لاسْتِشْهَادِهِ  
شَعْبًا يَقِيمُ عَلَى رُبَى أَجْدَادِهِ  
وَيَرِيشُ نَبْلَتَهُ عَلَى أَجْسَادِهِ  
فَلْتَبْصُقِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَادِهِ

يَحْيَا، أَمَامَ عَيُونِهِ جَلَادُهُ،  
نَظَّارُهُ، وَهُمْ شِعَاعُ عَيُونِهِ  
جِبْنَاءُ لَا يَتَقَيَّأُونَ بِحُكْمِهِمْ  
لَا بِأَسَ عِنْدَهُمْ إِذَا لَعَبَتْ بِهِ  
فَهُمُ الذَّنَابُ، وَفِي سَبِيلِ وَظِيفَةٍ  
لَهْفِي عَلَى وَطَنِ تَضَامُ أَبَاتُهُ  
لِبَسْتُ غَرَائِبُ الْغَنَى أَبْرَادَهُ  
فِي مَوْطِنِي شَعْبٌ يَبِيعُ بِفَضَّةٍ  
يَجْتَرُّ عَنْ ظَمَأٍ نَطَافَ دِمَائِهِ  
مَنْ يَسْتَرِقُ قَوْمًا يَعِيشُ بِمَالِهِمْ

\* \*

حَالَتْ عَيْدُ الظُّلَمِ دُونَ جِهَادِهِ  
فَالنَّاسُ عَامِلَةٌ عَلَى إِخْلَادِهِ  
لِتَخْلُصِي الْمَسْجُونِ مِنْ أَصْفَادِهِ  
نَارَ السَّلَامِ تَدَبَّ فِي أَحْقَادِهِ  
قَلَمِي الَّذِي خَلَّدَتْهُ بِمَدَادِهِ  
فَاهْدِي قَوَادِي، فَهُوَ مِنْ أَحْقَادِهِ  
يَسْمُو بِهَا فِي الْحُزْنِ عَنْ أَضْدَادِهِ  
إِلَّا وَكَانَ غِنَاكَ مِنْ عَوَادِهِ

اعْرُوسَ شَعْرِي، يَا صَدَى قَلْبِي الَّذِي  
كُونِي شِعَاعًا فِي سِرَاجِ صَبَابَتِي  
كُونِي حَسَامًا لَا يَمْلُ غَرَابُهُ  
وَأَمْشِي بِأَعْصَابِ الْحَقُودِ وَأَضْرِمِي  
وَتَبَسَّمِي لِدَمٍ أَذُوبُهُ عَلَى  
وَكَمَا هَدَيْتِ (أَبَا نَوَاسَ) إِلَى الْعُلَى  
فِي صَوْتِكَ السَّاجِي لِبَانَةِ عَامِلِ  
مَا لَأَمَسَتْ قَلْبِي سَحَابَةُ عَلِيٍّ

\* \*

أعروسُ شعري، في بلادي نزوة  
لبنانُ يرضى شوكه تاجاً له  
كم في رُبى لبنان من متشاعِرٍ  
يملي الذي أملاه غيرُ يراعه  
أيعيش في الماضي ويترك غيره  
ويفاخرون به لأنَّ نسيجه  
فهم الذين يقدّسون قديمهم  
لا يفتأونَ يردّدونَ بجهلهم  
أين الألى رفعوا أريكةَ عزّه  
الجالسون على عروش جلاله  
اللابسون بسطوةَ أبراده  
ذهبوا وقد بذروا سنابل زرعهم

سلبتُ من المفقودِ عذبَ رُقادِهِ  
ويذيبُ نغمته على أوراِدِهِ  
نامي الفسادُ، مُفاخِرُ بفسادِهِ  
ويقول ذا شعري ووحى رشادِهِ  
يبنى الجديدَ على رسومِ بلادِهِ  
كنسيجهم، ومرادهم كمرادِهِ  
لا يتركون الرثَّ من أبرادِهِ  
ما تتنُّ الآذانُ من تردادِهِ  
وبنوا مغاني الجحد فوق نجادِهِ  
والمالكونَ على ذرى أطوادِهِ  
والمُضرمونَ البأسَ في أجنادِهِ  
فتسارعتْ غِربانُنا لحِصادِهِ

في ١ أيار سنة ١٩٢٥

## القلب لا يُشرى

أُنظروه تَرَوْا خياليَ فيه  
رِشاً حُسْنَه يضاعف حُبِّي  
فلذا ما النجومُ أبدتْ شعاعاً  
وإذا ما الصُّبا أذاعت حديثاً  
كم سهرتُ الظلام أرعى هواه  
فكأنني عبدٌ أودُّ رضاه  
ومِراراً لزمْتُ غرفةَ يَأْسِي  
غرفةَ الحزن، أنتِ تحوينَ صدرأ  
يا غزلاً أويتَ قلبي، رِفقاً  
إن تكنُ تستحلّ قتلَ فؤادي

شَفَهُ سَقَمُهُ، فصار شيهي  
الْعذارى في فجرها ترويه  
فشعاعٌ من حُسْنِه يخفيه  
فالصُّبا في حديثها تعنيه  
وأنا شاخصٌ بمِرشفٍ فيه  
وأنا فاعلٌ بما يُرضيه  
أنظم الشعر والهوى يمليه  
كلّ ما في الوجود لا يحويه  
صار ميتاً ذاك الذي تأويه  
ليس في الحبِّ غيرُهُ تشتريه

في ٧ تشرين<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٢



## اغنية المجد

سجدتُ في هيكل الأُماني      مضعَّعَ العقل والجَنانِ  
في ليلَةٍ لم تُبْنَ شهاباً      إلَّا أراشتُ سهماً رُماني  
وقلتُ للمجد، وهو طيفٌ      لم أرهُ بعدُ في مكانِ  
إنَّ أُمامي طريقَ نفسي      وليَهْدني منك نيرانِ  
إذا بصوتِ كالهَمْسِ ألقى      في مسمعي هذه المعاني  
أنا خفيٌّ كالسرِّ أو كالـ      هلاكِ، أنقضُّ في ثوانِ  
أظهرُ في ساعة الطعان      بين ضبابٍ مِنَ الدَّخانِ  
ولا ينالُ الخلودَ مِنِّي      إلَّا فؤادُ الذي يراني  
فما لهاثي إلَّا ضرامٌ      يدبُّ في عنصرِ الزمانِ  
فلا يغرَنَّك أبْتسامي      فتحتَ جفنيَّ هَوَّانِ

\* \*

سكبتُ في أعينِ المعري      زيتَ النَّبَاتِ من عيوني  
وقلتُ للناصري طَهَّرْ      ذنوبَهُم بالدمِ الثمينِ  
قلتُ لقيس، عشيقِ ليلي،      أنشدْ ومُتْ رافعَ الجبينِ  
قلتُ للسينين نَمِّ قريراً      أنتَ نبيُّ بعدِ قرونِ

الصمتُ في قدسه صلاتي	وموحياتُ الآلامِ ديني
لا يرتقي سُلْمِي ضعيفُ	أنا لبأسٍ، لستُ للينِ
مقالدي الصبرُ والثاني	وشدةُ العزمِ في الشؤونِ
أحملُ في مقلتي عذاباً	وشعلة النارِ في جبیني
الشيخُ مثلُ الفتى عندي	من يسعُ تُفْتَحُ له يميني
لَمَّا أُعِينَ وقتَ حضوري	فبعدَ حينٍ أو قبلَ حينٍ

\* \*

البعضُ ماتوا تحت ذراعي	أمام مصباحي المنيرِ
والبعضُ ماتوا مذجثُ حتى	أُلقي على رأسهم زهوري
الموتُ في مجده شعاري	ونافخُ في الدجى نفيري
فقبلَةُ الخُلدِ لم أضعها	إلا على حافة القبورِ
من يطلب المجدَ في حياةٍ	فليشترِ المجدَ بالزفيرِ
أنا هزار في الليلِ أشدو	لحني على مسمعِ الدهورِ
يسمعي الموتُ في دُجَاهُ	وهو يماشي خطي العصورِ
أشربُ من أدمعِ عذارى	ومن دماء القلبِ الكبيرِ
ولستُ أُحيي ذكراً مجيداً	لذي نبوغٍ وذِي ضميرِ
إلا إذا ما أقترستُ قلباً	يكون أقوى من النسرِ

## ولما تقيسون الصلاة؟

ويلُ الضعيف من القدير	ويلُ الأثيم من المصير
هذا يماشيه النصيب	رُ وذا يقيمُ بلا نصير
هذا يمجّد بالشرو	ر وذا يُهانُ بلا شرو
هذا يُظنُّ من اللبا	ب وذا يخالُّ من القشور
ويحُ الصغيرُ فلأنه	شِلُوْ بِأنيابِ الكبير
شرفُ الضميرِ لدى المسوِّ	د أن يكونَ بلا ضمير

\* \*

وصبيحةٍ قد جزئها	في منحني وادٍ نصير
تَرَكْتُ بصدري علّةً	يخلو بها حادي السعير
شاهدتُ ثاكلةً تنو	ح وراء تابوتٍ حقير
ترثي أبها بمدامع	حرى من القلبِ الكبير
نَظَرْتُ إلى التابو	تِ باكيةً على أملٍ أخير
وكانَ مُقلتها سرا	جُ كاد يُطفيئُ بالزفير
وآرتُ يدُ الترابِ الترا	بَ وعاد حفارُ القبور

والكاهنُ المأجورُ تمَّ	تَمَّ مدة الوقت القصيرُ
ومضى ونحَلَى الميت تَوَّ	نَسَهُ الجدولُ بالخريرُ
وتزوره عند المساء	والفجر أسرابُ الطيورُ
بكتِ السماءُ أبْنَ الشقا	ء بمدمع الزهر الغزيرُ
والليل ذَوَّبَ في الضريد	ح عواطف البدر المنيرُ

\* \*

إي معشرَ القومِ الألى	سئوا الشرائع للعصورُ
أَتَفَاوَتْ بين الغنى	والفقر حتى في القبورُ
حقُّ التحبُّرِ للغنى	ولا حقوقُ للفقيرُ
هذا إلى الأمواتِ يس	قطُّ، ذاك ينزلُ بالحريرُ
ماذا! أليسَ الله مجًّا	نأ لخلق مستجيرُ
أَتَفَاوَتْ بين الفقيرِ	ر لدى المهيمِ والأميرُ
ماذا! ألا تَرْضَى الملا	ثكُ أَنْ تَنَازَلَ بالظهورُ
إلا متى ترشونها	بالمال في اليوم الأخيرُ
لِمَ، يا تُرى، حَدَّدْتُم	ثمنًا لربِّكم القديرُ
حتى يُطَافَ به ورا	ء النعشِ بالعدد الغفيرُ
ولما تقيسون الصلا	ة إذا عدلتم في الأمورُ
لألي الشقاء قصيرة	وطويلة لألي القصورُ
الحور يرمي ظلّه	في القفر والحقل النضيرُ
لا فرقَ عند ظلاله	بين العشابة والزهورُ

\* \*

روما! يودُّ الله أن يمشي التساوي في الصدور  
ويودُّ أن يُعطى وليد سَ يُباع في يوم النشور  
أولم يهب دمه الطهور رَ وفلذة الكبد الطهور  
فالنفس تطلبُ مرسلًا لا تاجرًا واهي الضمير

في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٥

\*

## خاطرة

إنفِ عنكَ الأحزانَ والحسراتِ معرضاً عن وجهيها التوأمين  
وتنعم مجاهداً في الحياة لا يمرُّ الصبا بها مرتين

في ٣٠ آذار سنة ١٩٢٢

## ما بعد منتصف الليل

مرَّ جنحٌ من الظلام وقلبي  
وهفا النومُ عن جفوني، فروحي  
أنا في مُخدعٍ تكادُ لآها  
ضيقٌ، مظلمٌ، فلو أقبلَ النو  
وأمامي القنديل، يلمعُ نوراً  
وأراه يسألني عن شجوني  
يشعرُ القلبُ من دمي بدبيبٍ  
وأرى بين إصبعي لفافاً  
ساهرٌ في كتابتي، وحبيبي  
فبنان الرقاد تسكبُ سحراً  
أنصفَ الليلُ، ما لقلبي يُناجي  
مسَّهُ عارضُ الجنون، فلولا  
أسمعُ الليلَ في الفضاء يغني  
تلك أنشودةُ الحياة يُغني  
وأرى ظلمةَ الدجنةِ إبليد

لم يزل يستمرُّ في خَفَقَانِهِ  
في وجودٍ ضلَّ الهدى عن مكانه  
تي تسيلُ الدموعُ من جدرانه  
رُ إليه، لحافَ لونَ دهانه  
فلِخالُ الجحيمِ في لمعانه  
لو حباه الإلهُ نطقَ لسانه  
كدبيبِ البركانِ في هيجانه  
تتلاشى أعمارنا كدخانهِ  
بسلام، ينام عن أشجانه  
وتذيبُ الأحلامَ في أجفانه  
في سكون الدجى هوى سكَّانه  
أضلعي، لاستطارَ عن جثمَّانه  
وحفيفُ الأوراقِ من ألحانه  
ها لسانُ الدجى على عيدانه  
سأ نجومُ الفضاء من أعوانه

موكبٌ من عرائس الجنِّ يمشي للقاء الشيطانِ في إيوانه  
هم يقولون ما به، وهواه حسبما يستغي، وطوعُ بنانه  
حين نادى جنانه رحمةَ الحبِّ استجابَ الهوى نداءَ جنانه

\* \*

إي ولكن! لو يدركونَ أموراً قد رماها الفؤاد في كتانه  
لو همُ يعلمون ماذا يُقاسي عاشقٌ يستجيرُ في لبنانه  
لو درؤا أن في الطبيعة عدلاً قطع الظلمُ كفَّتْ ميزانه  
لاستباحوا كفرانه وأستحلوا أن يظلَّ الحزينُ في كفرانه

\* \*

رب! عفواً، لقد فقدتُ شعوري فشعوري يهيمُ في تيهانه  
كن شقيقاً عليّ وأرحمُ فؤادي إذ تراه قد ضلَّ عن إيمانه  
إنَّ قلبي مأوى لكلِّ عذابٍ قد أواه الضنا بلا استئذانه  
فكأنني وُجدتُ في الكون حتى أشربَ الكأسَ من يدي شيطانه

\* \*

يا صديقي، إن شئتَ تبيانَ قلبي فجبسني ينبيك عن تبيانه  
رسم القلبُ طيفه فيه، فأنظر يعرفون الكتاب من عنوانه  
يا صديقي، أنظر لبستانِ عمري كيف دبَّ الذبولُ في أقحوانه  
فشبائي أخت عليه صروفُ أفقدته النضار من ريعانه  
صرت في وحدتي أخطب «موسه» راشفاً في الظلام سحرَ بيانه  
كان مثلي، فغيَّب القبرُ منه جسداً بسالياً قبيلَ أوانه  
شاعرَ الدمع هل من الدمع بدٌّ في وجودي، ألعينُ من غدرانه؟  
أفعمَ الكون بالعذاب حياتي فلهذا تاقت إلى أكفانه

في ٢٧ ك ٢ سنة ١٩٢٢

## تذكارات وآلام

ساعاتُ أحلامي العذابُ	في ذمّة الماضي أنطوت
همّ المعلم والكتابُ	أيّام لا همّ سوى
بَ وكنتُ نوراً للشبابُ	أيّام كان أبي الشبا
إلا شعاعاً من شهابُ	أيّام حلمي لم يكن
بَ وما على تلك الهضابُ	إن أنسَ لا أنسَ الهضا
بَ ويعلن الجرسُ الغيابُ	والشمسُ تُوشكُ أن تغد
قُ في عشيّة صيفِ آبُ	وأبي على صخرٍ يُحدّ
وهو ينظرُ في الضبابُ؟	فيما تُراه كان يفكرُ

\* \*

كانوا وكنتُ لهم مداما	لم أنسَ أترابي الأولى
ألقَ آرثياحاً وأبتساما	إن جئتُهم متبسّماً
فيما يُعيدُ لي السلاما	وإذا غضبتُ تشاوروا
فغيرَ خلَقهم عاماً فعاما	عبثَ الشبابُ بهم
أيامٍ فأحذرُ أن تُضاما	إن الشباب ملاعبُ الـ
حُشاشة ذابت هياما	في ذمّة القبرِ القصي



خَفَّتْ إِلَيْهَا فِي التَّوْبَةِ بِيَتِيمَةٍ بَيْنَ الْيَتَامَى  
هِيَ نَفْسِي الشَّكْلَى وَقَدْ صَلَّى الْعَذَابُ لَهَا وَصَامَا

\* \*

أُمِّي وَقَدْ وَجَدَ الضَّنَى	فِي مَقْلَتِهَا مَدْخَلَهُ
تَرْتِي الْحَيَاةَ كَأَنَّهَا	مِنْ نَصْفِ شَهْرِ أَرْمَلَهُ
كَمْ مَرَّةٍ نَظَرْتُ إِلَيَّْ	فَتَمَتَّتْ: مَا أَجْمَلَهُ
لَوْ كُنْتُ أَقْرَأُ مِنْ خَلَا	لِ عَيُونِهِ مُسْتَقْبَلَهُ
أَنَا فِي سَبِيلٍ لَا أَكَا	ذُ الْيَوْمَ أُدْرِكُ أَوَّلَهُ
يَا أُمِّ رِفْقًا وَأَصْبِرِي	لَا بُدَّ لِي أَنْ أَكْمَلَهُ
أُنْجِزْتُ مَرَحَلَةَ الشَّقَا	وَعَلَيَّ أَيْضًا مَرَحَلَهُ
حَمَلَ الْمَسِيحُ صَلِيبَهُ	حَتَّى أَعَالِي الْجَلْجَلَهُ

فِي ١٠ شَبَاطِ سَنَةِ ١٩٢٥

## يا بلادي!

يا بلادي  
هو ذا قلبي يبكي  
فوق أطلال هواه، وينادي  
يا بلادي!

\* \*

لو ترينَ الدمعَ منه  
جارياً في الصدر، مثلَ الجدولِ  
تمتلي منه عيوني  
وخدودي الصفّرُ منه تمتلي  
فأستقي منه وداداً  
فدموعي من ودادي  
يا بلادي!

\* \*

إِنْ أَرَّ الْحَبَّ قَسِيًّا  
لَا أَجِدُ فِي جَوْرِهِ إِلَّا فَوَادِي  
أَوْ أَرَّ الذَّلَّ انْتِشَارًا  
لَا أَجِدُ فِي سِتْرِهِ إِلَّا بِلَادِي  
أَخْفِضِي الرَّأْسَ إِلَى أَنَّ  
تَرْفَعِيهِ بِالْجِهَادِ  
يَا بِلَادِي !

\* \*

أَيْنَمَا سَرْتُ أَرَى النَّاسَ  
لَدَى ذِكْرِكَ دَوْمًا يَهْزَوْنَ  
فَهُمْ مِنْكَ ، وَلَكِنْ  
جَحَدُوا ، وَالنَّاسُ قَوْمٌ جَا حِدُونَ  
وَهُمُ الْأَبْنَاءُ بَاعُوا  
الْأُمَّ فِي سَوْقِ الْمَزَادِ  
يَا بِلَادِي !

\* \*

حَدَّثِينَا عَنْ جِدْوٍ  
ظَلَّلَ الْأَرْضُ ثَرَاهِمَ مِنْ قَدِيمٍ

وعن الحكّامِ لمّا  
حكّموا فيك بقانونٍ قديمٍ  
علّمي اليومَ قضاةَ  
العدلِ، إنصافَ العبادِ  
يا بلادي !

\* \*

يا بلادي إنْ دعاني  
نَسبي التُّرابُ في تلك اللّحودِ  
وأنظفت نارُ هيامي  
وخبا زيتي بمصباحِ الوجودِ  
لا تعدّيني رماداً  
فهيامي في رمادي  
يا بلادي !

في ٢٨ ك٢ سنة ١٩٢٤

## العرافة

هذه القصّة لا شأن لها  
فهي نطقٌ سمعته أُذني  
فأنا في سردها أصدقُ إذ  
فأسمعوها وأفقهوا جوهرها  
بأقاصيص عجز خَطَلِ  
وبَيانُ أبصرته مُقَلِي  
إنّها قد حَدَثَتْ في منزلي  
وخذوا موعظةً مما يلي:

\* \*

قَتُّ في ذاتِ ضحىٍ من مضجعي  
وتوجّهتُ ، كأَمْسِي ، يائساً  
مخدعٌ كالقفص الضيقُ قد  
كلَّ عذراءٍ على قيثارها  
وبناتُ الشعر قد قامت معي  
أنزوي منفرداً في مخدعي  
سكنتُ فيه عذارى أدمعي  
هجعتُ ، ، والشعرُ بين المقل

\* \*

فسمعتُ الطيرَ في مجشمة  
ورأيتُ الفجرَ سكرانَ هوى  
وعلى قيثار «فينوس» شدتُ  
إنَّ للفجر غراماً طاهراً  
مُنشداً يستقبلُ الفجرَ الجديداً  
يَرُدُّ الطهرَ ولا يسقي الوجوداً  
رَبَّةُ الحكمة «ميرفا» النشيدا  
ما درى معناه غيرُ البلبل

\* \*

أَسْكَبُ الْأَشْعَارَ مِنْ قَارُورَتِي  
فَأَثِيرُ الرُّوحِ فِي نَرْجِيلَتِي  
تَتَلَاشَى فِي زَوَايَا غُرْفَتِي  
هَمَسْتُ فِي الصَّبْحِ حَتَّى يَنْجَلِي

\*

مِنْ بَعِيدٍ مِثْلَ أَوْتَارِ النَّعْمِ  
فَأَتَى كَالْهَمْسِ فِي أُذُنِ النَّسَمِ  
تَارِكاً قِرطَاسَ شِعْرِي وَالْقَلَمِ  
تَكْشِفُ الْبَخْتَ بِقَوْلٍ مُتَرَلِّمِ

\*

وَعَلَى ثَغْرِي خِيَالُ الْبَسَامَاتِ  
طَرَقَاتُ لِمُرُورِ الْمَعْجَزَاتِ  
قَرَأْتُ فِي الْغَيْبِ أَسْرَارَ الْحَيَاةِ؟  
وَعَنِ الْحَالَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ

\*

لَا سِتْلَامَ الْغُرَشِ مِنْ كَفِّي نَصِيبُ  
فَتَعَالَى نَعْمٌ مِنْهَا غَرِيبُ  
إِنِّي آمَنْتُ بِاللَّهِ الْمُجِيبِ  
فَاسْمَعُوا يَا قَوْمُ مَا قَالَتْهُ لِي:

\*

طَلَعَ الصَّبْحُ رَوِيداً وَأَنَا  
مُطْلَقاً زَفْرَةً صَدْرِي بِأَسَى  
وَأَرَى دَخْنَتَهَا ثَائِرَةً  
كَلِمَا أَطْلَقْتُ فِيهَا زَفْرَةً

\*

وَإِذَا صَوْتُ تَعَالَى مَلْحِناً  
صَادَمْتُهُ نِسَمَاتُ فِي الصَّبَا  
عِنْدَ ذَا أَطْلَلْتُ مِنْ نَافِلَتِي  
فَلِذَا : بَصَارَةٌ بِرَّاجَةٍ

\*

مَا تَرَدَّدْتُ بِأَنْ نَادَيْتُهَا  
فَأَتَتْ، وَالْوَشْمُ فِي مَرَشِفِهَا  
قُلْتُ يَا عِرَاقَتِي، هَلْ أَنْتِ مَنْ  
أَطْلَعَنِي عَنْ مَآتِي وَطَنِي

\*

فَأُجَابَتْ بَعْدَ أَنْ مَدَّتْ يَدَا  
وَرَمَتْ فِي حَجَرَتِي أَبْوَاقَهَا  
ضَمَّعَ عَلَى الْأَبْوَاقِ يَمْنَاكَ، وَقُلْ:  
ثُمَّ قَالَتْ لِي كَلَاماً صَائِباً

\*

إِنَّ لِبْنَانَ ضَعِيفٌ رَازِحٌ  
 لَعَبَتْ فَتْيَانُهُ فِيهِ دَدًا  
 هَجَعَتْ سَكْرَى بِأَحْلَامِ الصَّبَا  
 إِنَّ شَعْبًا كَثُرَتْ أَحْلَامُهُ  
 تَحْتَ أَثْقَالِ ظِلَامٍ أَسْوَدٍ  
 مَا أَرَادَتْ مَهْنَةً غَيْرَ الدِّدِ  
 هَلْ دَرَّتْ مَاذَا تَوَارَى فِي الْغَدِ  
 هُوَ شَعْبٌ ضَائِعٌ فِي الدُّوَلِ

\* \*

لِبِلَادِ الْأَرْزِ أَبْنَاءُ نَاتٍ  
 وَلَهَا قَلْبٌ إِذَا مَا ذَكَرَ الـ  
 سَعْدُ لِبْنَانَ كَبِيرٌ إِنَّمَا  
 وَلَهُ بَرْجٌ عَلَا مَرْتَفَعًا  
 فَهِيَ تَشْقَى فِي زَوَايا الْمَهْجَرِ  
 وَطَنُ أَهْتَزَّ أَهْتَزَّ الشَّجَرِ  
 بِسَوَى أَبْنَائِهِ لَمْ يَكْبُرِ  
 مِنْ قَدِيمٍ، وَغَدًا لَا يَعْتَلِي

\* \*

عِنْدَمَا الْغُيَّابُ تَعْتَادُ الْحُمَى  
 عِنْدَمَا الْأَمْوَاهُ تُمَسِّي مَسْكِرًا  
 عِنْدَمَا الْمَهْجَرُ يُمَسِّي خَالِيًا  
 بَشِّرُوا لِبْنَانَ بِالْعُودِ إِلَى  
 لَتَرَى مُسْتَقْبَلًا فِي الْوُطَنِ  
 جَارِيَاتٍ مِنْ أَعَالِي الْقُنَنِ  
 مِنْ رِجَالٍ نَشَأَتْ فِي الدِّيمَنِ  
 زَمَنِ مِثْلَ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

\* \*

عِنْدَمَا الْبَغْضَاءُ تُمَسِّي مَهْجَاً  
 عِنْدَمَا الْأَرْمَاحُ تُمَسِّي سَكَاً  
 عِنْدَمَا الْحَاكِمُ فِي عِزَّتِهِ  
 بَشِّرُوا لِبْنَانَ بِالْعِزِّ فَا  
 تَنْسَلُ الْحَبِيبُ وَتَأْوِي الرِّجَالُ  
 وَفَرْنَدِ السَّيْفِ يُمَسِّي مِنْجَلَا  
 يُنْجِدُ الْفَلَاحَ حَتَّى يَعْملَا  
 وَطَنُ عِزٍّ بِغَيْرِ الْعَمَلِ

\* \*

كنتُ أصغي وفؤادي نابضٌ  
 ناظراً في عالم الماضي إلى  
 إنَّ زيتَ المجدِ لا تشعلهُ  
 فالتأخي والقوى تضرُّهُ  
 وعيوني شاخصاتٌ في السحابِ  
 مجد قومي المتلاشي كالضبابِ!  
 زفراءُ اليأسِ من صدرِ الشبابِ  
 هل مؤاخاة بهذا الجبلِ

\* \*

عند هذا نهضتُ عراقي  
 ومضتُ تسرع بالمشي وقد  
 ولدنٌ قد خرجت من منزلي  
 صرخت: بصارةً براجةً  
 بعد ما قد جمعت أبواقها  
 وهبت من سحرها أحداقها  
 ومضت ناشدةً عشاقها  
 تكشفُ البختَ بقولٍ منزَّلٍ

\*

## خاطرة

كلُّ سعدٍ يُبنى على شقوةٍ الغيِّ  
 أنظرِ الشمس كيف صارت نهراً  
 رِ فهذي شريعةُ الأيامِ  
 حين وارت نصف الورى في الظلامِ



## يا بنت لبنان

إمحي السوادَ عن الأهدابِ في المُقلِّ      وأمحي أحمرارَ اللّمي الممزوجِ بالقبلي  
فلستُ أرغبُ جفنَ العينِ مكتحلاً      ولستُ أنشدُ إلا حمرةَ الحجلِ  
ولا تودّكِ نفسي غيرَ طاهرةٍ      كأدمع القلبِ في قارورةِ الغزلِ

\* \*

يا بنتَ لبنان يا نبراسَ إظلامي      كوني حياةً تمشي بين أعظامي  
وفي عيوني مرآةً أراكِ بها      وفي فؤادي مؤاساةً لآلامي  
فأنتِ رمزٌ لإيحائي وإلهامي      أبصرته من كوى حُبِّي وأحلامي

\* \*

يا بنتَ لبنان كوني الجزءَ من كبدي      وأمشي معي في ذِه الدنيا يداً بيدِ  
فأمسِ كنتِ فتاةً تلعبين دداً      لكن شبيتِ وأمسى اليومُ غيرَ ددِ  
فأنتِ أختُ تُوَاسينَ الحياةَ غداً      وأنتِ أُمُّ لهذا الكونِ بعدَ غدِ

\* \*

يا بنتَ لبنان، بنتَ المجدِ والشانِ      يا ظبيةً مرحتِ في جَنَّةِ البانِ

خذي أحمرارك من زهر المروج في  
وكحلي الجفن بالآداب وأفتخري

\* \*

دعي سواك تبع الثغر بالذهب  
ولم يكن ضرب الأفواه ذا ثمن  
عرفت طاهرة فأبقي مشابرة  
فالتغر ما أنشق كي يجني على الأدب  
فلا تبقي الهوى من ذلك الضرب  
لا تبدي الفلّ بالأشواك والخطب

\* \*

يا بنت لبنان ما أسمى مسماك  
أنت أبنه الكرم الموروث من قدم  
فإن تعالى إليك النوح من نعس  
فالزهر يجني شذاه من مزايك  
وحيث تأوي ظي المرديت مأواك  
إرمني «لعازر» شيئاً من عطايك

\* \*

في ذات ليل وقد فات الكرى عيني  
فشمت نجم الدجى تنضم سارية  
وغيمتين أطل البدر بينهما  
خرجت أسرح فكري مع صديقين  
وبأنتلاف تمشي كل نجمين  
شبيه جوهرة ما بين نهدين

\* \*

قلقت والنفس تعدو رائد الأمل  
ففي الفتاة دروس نستنير بها  
إذا استنارت وأخته مصافحة  
الائتلاف أساس الجد والعمل  
إن الفتاة حياة القلب في الرجل  
تجري دماء القوى في مهجة الدول

في ٢٣ ك' سنة ١٩٢٣

## القضاء المفتون

او

محام فقهى امام القضاء

كيف قوّضتمُ بناءَ القضاء  
يا قضاةَ ظلمتمُ العدلَ حتى  
قد عهدنا أنَّ الجمالَ حسامٌ  
ما عهدناهُ أنه الشرعُ حتماً  
فإذا كان قاضياً، ذلك الحُسـ  
أجلسوه على المنصّةِ جهراً  
يُصبح العدلُ حينذلك فحشاً  
والفقير الضعيفُ يسمي ذليلاً  
كم بريء في السجن أمسى شقيّاً  
ولكم مجرمٌ يعيْثُ فساداً  
يا قضاةَ والعدلُ أعظمُ ركنٍ  
كيف كَفّتمُ الشبابَ بقانو

في سبيلِ النجاةِ بالحسنةِ  
ترحموا الحُسْنَ في عيونِ النساءِ  
مرهفُ الحدِّ، باترٌ، ذو مضاءِ  
جائرٌ في الورى على التعساءِ  
نُ ، يدينُ العبادَ تحت الحفاءِ  
وأستعيصوا به عن الزعماءِ  
ويغور الوجودُ في الفحشاءِ  
وتصيرُ الأحكامُ للأغنياءِ  
من ضحايا الشرائعِ العمياءِ  
هو في شرعكم من الأبرياءِ  
لمسيرِ النظامِ في الغبراءِ  
نِ توارى ملوثاً بالدماءِ

ما درى الناسُ قبل ذلك أن الـ  
وله مهجةٌ أُصيّتَ بسهمٍ  
عدلَ رهنٌ للأعينِ النجلاءِ  
من هوى مرغبتٍ في الأحشاءِ

\* \*

أيّ جبال النساءِ أوليتَ حكماً  
إن تكن سافكاً فكن مستبدّاً  
فاحتكم ما تشاء في الضعفاءِ  
لا تخف، ما هناك غير القضاءِ

\*

### خاطرة

أحبُّكِ حينَ أراكِ تنوحين  
وأهوى تقطعُ أوتارَ صوتكِ  
وأعشقُ كأسَ الضنا في يديكِ  
دموعِ المؤاساتِ من مقلتيكِ  
يشرّبها الفمُ من وجنتيكِ  
وأفضلُ من قُبلاتِ الغرامِ  
وعندي أنّ إرتواءَ الدموعِ  
لأفضلُ من قُبلاتِ الغرامِ

## الحزن والجمال

او

مرغريت فهمي امم الضمير

وقد أزال الحزن أثر الجمال الخلاب عن وجهها

تُسكرين الملا ولا تُسكرينا  
فلماذا أُمسيت لا تبسمينا  
صار رمزُ الجمال رمزاً حزينا  
كانَ بالأمس فتنةً الناظرينا  
ما أَرانا من قبلُ هذي الغصونا  
لم تزل في الفؤادِ سرّاً دفيناً  
يصبحُ المشيُّ نقلةً الراقصينا  
كنتِ حتى الهوى به تخدعينا  
رجعَ اليوم بعد إثمك طينا  
ليس عهدُ الغرام إلا جنونا

كنتِ بالأمس ربّةَ العاشقينا  
ولقد كنتِ تبسمينَ بحظّ  
ما الذي أوجبَ اكتئابك حتى  
أظلمَ الحزنُ في عيونك نوراً  
أين ذاكُ الجمالُ، أين جبينُ  
أوليسَ هذي الغصونُ رموزاً  
خفّفي اليومَ وطءَ مشيكِ كيلا  
ما تعودتِ غيرَ مشي دلالٍ  
خفّفي المشيَّ إنَّ في التربِّ قلباً  
لا تصيخي للحبِّ وأمشي عليه

قال يوماً عبارة المشفقينا  
فأستحي اليوم لا تُهيني المنونا  
فسقُ والجورُ بش ما تفعلينا  
ثم صيرته من الباذرينا  
بقيودٍ أحقّ بالسافكينا  
كيف تُبقينا ولا تخجلينا»

\*

لا تصيخي إلى الضمير إذا ما  
«قد أمنت الحياة بعد عليّ  
إن يكُ الفسقُ من عليّ فنكُ الـ  
أنتِ أفسدته وكان غلاماً  
إنزعي الحلّي عنك واستبدليها  
هذه الحلّي من دماء عليّ

\*

ليس صوتُ الضمير إلّا مُجونا  
ضمّ قلباً لمغرمٍ وعيونا  
كيف يا غادة الدما، تجنينا  
ومُري السفك في الورى أن يكونا

لا تصيخي يا مرغريتُ لصوتِ  
وأرقصي إن وددتِ فوق ترابِ  
وأطرحي الحزنَ عنك، فالحزنُ جبنُ  
إليه ضحّي الضمير في كلّ حالِ

في ٢ تشرين سنة ١٩٢٣

## دائماً مرغريت

نظر النيل والمدامعُ تهمني      كيف يهوى القضا «منيرة فهمي»

\* \*

يا قضاةً ظلمتمُ العدلَ مرّه      فاستمعوا اليوم في القضية أمره  
إن تركتمُ «منيرة» الإثم حرّه      ترتكب في حياتها ألف إثم

\* \*

مصرُ لا أعتادَ جانبكِ الذامُ      فلتحذُ عن ربوعكِ الإجمامُ  
هذه مرغريتُ ، والحكامُ      برأت جرمها بأفطع حكم

\* \*

هذه مرغريتُ ، حكّامُ مصرِ      فانظروا في عيونها ألفُ سرّ  
وتوقّوا جمالَ ذاك الشغفِ      فهو يسبي قلبَ القضاةِ ويظمي

\* \*

لا تخلُّوا الميراثَ يرنو إليها فتعاطيه من هوى مقلتها  
ولدى حسوتين من مرشفيها يُصبح الإرثُ عاشقاً بالرغمِ

\* \*

هذه مرغيتُ في أرضِ مصرِ ما ترى أنت يا «مريشال»<sup>(١)</sup> تجري  
أصمت اليوم، دغُ زميلك «فكري»<sup>(٢)</sup> ينصر العدل ، فالعدالةُ تدمي

في ٧ تشرين<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٣

---

(١) المحامي الانكليزي المشهور الذي دافع عن مرغيت فهمي وبرأتها المحكمة.

(٢) المحامي والكاتب المصري الشهير.



## وطوس الزمان كتابه

أيعيشُ في لبنان حرُّ  
نقدَ أصطباري في الحيا  
ما لي مقرُّ ثابتٌ  
كلُّ بطارخي الفرا  
لبنانُ، والماءُ الزلا  
والمرجُ أخضرُ باسمُ  
والبحرُ مرآةٌ له  
ومن الجبالِ الشاهقا  
لبنانُ كان ببأسه  
فلذا دَهَتْهُ صواعقُ الـ  
فعليه مرَّ الأنبيا  
فساؤهُ الوحيُ الصحيح  
إن فاتهُ بأسٌ قدي  
فعلى مفاخره استمرَّ  
واليوم قد عبثت به  
ومعيشةُ الأحرارِ قهرُ  
ة ولم يعدْ في الصدرِ صبرُ  
في موطني، ما لي مقرُّ  
ر وليس لي منه مقرُّ  
لُ مرققٌ لا يستقرُّ  
للفجرِ والآكامِ خضرُ  
وله من الأزهارِ ثغرُ  
تِ له بناءٌ مشمخِرُ  
أوداً له الأجيالُ ظفرُ  
أيامٍ رُعباً تقشعرُ  
والأقدمون عليه مرّوا  
حُ وتربُهُ مجدٌ وفخرُ  
مُ لم يفتُهُ سنًا وقدرُ  
وليس يرح يستمرُّ  
نوبٌ، وجارٍ عليه دهرُ

وطوى الزمانُ كتابه      هل بعد ذاك الطيّ نشرُ  
قالوا وقد بصروا بخدّ      ي من دموعي يستدرُّ  
إرحل لمصرَ فقلت في      نفسي لهم ، لله مصرُ  
سأبينُ عن وطني فقي      وطني ثعالبُ وهي كشرُ  
والثعلبُ المحتالُ ما      بطلت له حيلٌ ومكرُ  
أنا لا أزالُ أُحبُّه      فحبّة الأوطانِ نذرُ  
لكنّ لي عذراً بهجري      والضغائنُ فيه عذرُ

في ١٥ أيلول سنة ١٩٢٣

\*

## خاطرة

أرح قلبك الخفاق من شقوة الهوى      فكلُّ هوى بُوسُ الحياةِ يراوحةُ  
إذا النسر لم يجثم ، وقد ظلَّ صاعداً      يخلق في الأجواء ، تبرى جوانحهُ

## الحربة

كعابُ أَتَتْ في الحُسْنِ فخرَ الكواكبِ  
لها كوكبٌ في كلِّ عينٍ منورٌ  
لماذا ولم تطلب سوى الحقَّ رائداً  
رغبتُ إلى الأقوامِ أن يحتفوا بها  
إذا ابتسمتُ فاللؤلؤُ الصِّرفُ ثغرها  
وفي طرفِ الأجفانِ سلَّت مضاربُ  
لقد وصمتها زمرةُ الجهلِ بالريا  
وما زمرةُ الجهَّالِ إلا غياهبُ  
بصرتُ بها والدمعُ فوق خدودِها  
وقد حملتُ من شدةِ الحزنِ رأسها  
فقلتُ لها خلِّي الهمومَ فإنها  
فليسَ نصيرُ الظلمِ إلا معاقباً  
ألستِ أبنَةَ «البستيل» يوم خربتِه  
وحكمتِ سيفَ الحقِّ في عُنقِ الريا  
أما أنتِ من رأسِ الوجودِ دماغه

لبانتُها نيطت بحدِّ القواضبِ  
يفاخِرُ بالأنوارِ كلَّ الكواكبِ  
تحفُّ بها الأضدادُ من كلِّ جانبِ  
فلم تنزلِ الأقوامُ عند رغائبي  
وإمّا بكت فلما سُرَّ تحت الحواجبِ  
تقوم على أحداقِها كالمضاربِ  
وألوتُ على أفعالها بالمثالبِ  
سيخرقُ نورُ الفجرِ ليلَ الغياهبِ  
وما دمُعُها إلا رموزُ المصائبِ  
وألقتُ سوادَ الثغرِ فوق الترائبِ  
لنأحية المغلوبِ لا للغالبِ  
سيلقى من الأيامِ شرَّ العواقبِ  
وشيدتِ برجَ العدلِ فوق الخرائبِ  
فسالت دماءَ الجورِ من كلِّ خائبِ  
تجيشين. أبناء الورى بالعجائبِ

جعلتِ دياناتِ الشعوبِ شقائقاً  
دموعك من جفنِ الليثِ مذابةً  
وكوني على رغمِ النوائبِ لبوةً  
وأعطي دروساً للشعوبِ شريفةً  
وأنَّ حقوقَ الاجتماعِ خليقة  
لقد أخرسوا في مرشفيك حقيقةً  
فلا تخذلي يا أخت كلِّ فضيلةٍ  
لديك من الجندِ العظامِ كتابٌ

\* \*

عَشَقْتُكِ طفلاً يومَ كنتِ نساءً  
وقبَلْتُ منكِ الثغرَ مذ كنتِ زهرةً  
عَشَقْتُكِ بدمعاً في السماءِ منوراً  
فينظرُ أبناءُ الوجودِ محاطةً  
عَشَقْتُكِ دونَ البعضِ روحاً تمرَّدتِ  
لقد حَطَمَتْ دونَ الجميعِ قيودها  
عَشَقْتُكِ دوماً أمةً مستقلةً  
عَشَقْتُكِ فوقَ الكلِّ شاعرةً لها  
كتبتِ على لوحِ الوجودِ بريشةً  
ألا حرِّروا هذا الوريَّ من عبودِ

تهزّين . مهدي كالغلامِ المداعِبِ  
تقطّركِ الأنداءُ عندَ المغاربِ  
يُطلُّ على الدنيا كعينِ مراقِبِ  
بأسدالِ إظلامٍ كاثوابِ راهِبِ  
على كلِّ غدارٍ محابٍ وكاذِبِ  
وسارتِ بأبطالِ لها في المواكِبِ  
ولا شأنَ في أَسْتقلالِها للأجانبِ  
مواهبُ تسمو فوقَ كلِّ المواهبِ  
لها مهبطُ الإلهامِ أكبرُ كاتبِ  
هي الذئبُ كمَ غالَ الوريَّ بالمخالبِ

في ١٤ تموز سنة ١٩٢٣

## ابنة الایال

لمن يا ترى أشكو بدمعي الهمل  
لقد كان لي فضلٌ على كلِّ صاحبٍ  
أشكو إلى القانونِ غدرَ معاشري  
غداة طلبتُ النورَ أنكرني الملا  
تمردَ فردٌ من بلادِي مرَّةً  
لأنِّي لا أمشي على نهجِ جاهلٍ  
ولو كان ذا عقلٍ يقارنه الوفا  
ولكن تعامى عن هداهُ لِأنَّه  
وما لي في لبنانَ من مخلصٍ خلٍ  
فأنكر صحتي كلَّ ما كان من فضلي  
وقد أصبح القانونُ يوطأُ بالرجلِ  
ولمَّا أدرعتُ الصدقَ أنكرني أهلي  
وصوبَ نحوي نبلتين من العدلِ  
يسيرُ شموخُ الأنفِ في ظلمةِ الجهلِ  
لما حكَّم الجهلُ المغرَّرَ بالعقلِ  
أُصيب من الدنيا بمسٍّ من الخبلِ

\* \*

رأيتُ فتاةً أَمَسَ، يربطني بها  
لها في لماها العذبِ بسمَةُ طاهرٍ  
فقلتُ لها إنِّي على الودِّ قائمٌ  
فإني سأنأى عن بلادِي مسافراً  
رأيتُ هنا رهطاً من الناسِ آثروا  
غرامٌ نما في الصدرِ مجتمعِ الشملِ  
تتيرُ دُجى الظلماءِ من شعرها الجللِ  
ولكن بُعادي سوف يخني على الوصلِ  
فلمستُ أطيعُ الظلمَ في البلدِ المحلِ  
يدُ الظلمِ أن تعلو وتفتك بالعدلِ

رأيتهم والقييدُ حول رقابهم  
 يقودهم من سافل الخلق زمرة  
 تبتُّ من الأغراضِ فيهم مبادئاً  
 تريدُهم عُميةً عن النور، والدُّجى  
 وتهزأ بالشخص الذي لم يُصنَّح لها  
 فقالت كن الحق المحرَّر في الورى  
 فما أنت ممن يثبطُ الهمُّ سعيه  
 وجودك في الدنيا لتخدم مبدءاً  
 وأملِ تعاليم الحياة على الملا  
 ولا تسترقَّ النفس من أجل بغيةٍ  
 فمن يستبح هضم الحقوق لغايةٍ  
 وأنشد مع الأحرار أغنية العلى  
 وما الحرُّ إلا ذلك العاملُ الذي  
 هو الحرُّ رمزُ الحق، رمزُ فضيلةٍ  
 أذاب على جمر الحياة دماغه  
 تقولُ أبنَةُ الأجيال وهي مطلةٌ  
 ترى من رأى قبلي الوجود مهدماً  
 هنا سكنتُ تلك الفتاة وحدقتُ  
 ومن ثغرها نور المساواة مشرقٌ  
 وحرية قد أشرقت من جبينها

وأيديهم مشدودة الربط بالغُلِّ  
 تحاول نفث السم فيهم كالصلِّ  
 أشدَّ بجسم الاجتماع من السلِّ  
 يحتمُّ فوق الحق سداً على سدِّ  
 ولكن سواد الهدب أبقى من الكحلِ  
 ودع حشرات الأرض ترحف في الوحلِ  
 وثابر على كشف الظلام بلا مظلِ  
 فلا تبنيه إن كنتَ شهماً، على الرملِ  
 فإنَّ يد الأجيال تكتب ما تملي  
 ودس حشرات المستبدِّين بالنعلِ  
 فذلك أولى بالحقارة والردلِ  
 فما الحرُّ إلا بلبلُ المجد والنبلِ  
 تمشى على هام العبودة والذلِّ  
 تسير مع الأجيال في الشرف المُعلي  
 وصيِّره زيتاً ينور في السبلِ  
 من الهيكل الأسمى على عالم النسلِ  
 ومن ذا رأى الأحرار بانيةً قبلي  
 إلى الملا الأعلى بأعينها النجلِ  
 يفسر أنَّ الملك في خلقه مثلي  
 ورمز إخاء والسلام على الكلِّ

## الفتاة الغادرة

مرفوعة الى شباب هذا العصر

حاذِرِ الحُبِّ إِنَّ فِي الحُبِّ شَرًّا      فهو نار في القلبِ تصهرُ صهراً  
إِنْ يَكُنْ فِي الرِّجَالِ قَلْبٌ غَدُور      فقلوبُ النساءِ أَقْرَبُ غَدِراً

\* \*

وفتاةٍ أعارها البدرُ نوراً      فأضأت بين الكواكبِ بدراً  
تغمز الكحل في غضاضة جَفْنَيْهِ      لها دلالاً فيرجع الكحلُ سحراً  
رام منها فتى مراماً شريفاً      كلُّ ما شاءه الفتى كان طُهرًا  
والهوى شارد البصائر أعمى      ليس يدري بما به العقل أدري  
قد أَحَبَّ الفتى فيها جمالاً      وَأَحَبَّتْ فِيهِ ثِراءَ وقْدِراً  
ما مضى بعضُ أشهرِ الحُبِّ حتى      مات عن ثروةِ أبوه فائثري  
أُمُّهُ، وهي في العفافِ مثالُ،      ردعته عنها فظلَّ مُصْراً  
نصحته فما أراد انتصاحاً      وغدا يبذر الدنانيرَ بذراً  
قال يا أُمِّ، أيُّ شيءٍ معيبُ      في غرامي، وأيُّ شيءٍ أضراً  
أنا أهوى فيها فؤاداً أبرأ      وهي تهوى فيَّ الفؤادَ الأبرأ

فأجابته لا ألوّك يا أبنّي  
غير أنّ الفتاة لا خيرَ فيها  
مِلْ إلى غيرها إذا رمتَ تهوى  
فالصبياتُ قد تكنَّ عهاري  
قال: تلك الفتاة غرس فؤادي  
إنّها لي ولن تكونَ لغيري

\* \*

هذه قطعة من الماسِ يا هند  
زَيَّنِي صدركَ الجميلَ وسُرِّي  
وَأَرْتَمِي في ذراعها مستهماً  
فهو سكرانٌ من غرامِ شريف  
هندُ، إنّ الربيعَ في الحقلِ بسّاً  
فأنشيقه، ففيه عطر زكيّ  
كلّ ما في الحياة يرنو إلينا  
ففؤادي قفّرُ بغيرِ هيامي  
هندُ، يا هندُ، أنشدي لي أيضاً  
وَأَفَاقَ الفجرِ الجميلُ على صَوِّ

\* \*

مرّ عامٍ والحبُّ يزدادُ يوماً  
وعدا الفقرُ في طريقِ هواه  
بعدَ يومٍ، والمالُ يزدادُ هدراً  
وأناه الهوى فصادف فقراً



عند هذا تبدلت حالُ هندٍ  
لو أتاها وبين أضلعه العَط  
جاءها في مساء يومٍ، ولكن  
ذاك أن الفتى تسرقُ أمراً  
قالت الأم: أنتِ وقرُّ ثقيلُ  
فمن الجهل بعد أن سيم خسفاً  
فالجنين الذي دفناه بالأمس  
فأحذري أن يقال إنك عار  
دخل الصبُّ، غير أن شراراً  
فأعترى الأم عند مرآه دعرُ  
قال عذراً يا هندُ إن فؤادي  
أنا لم أهو فيكِ عهداً لأنني  
وأنثى هائماً على نفسه الشك  
وسرى السقم بعد ذلك فيه

وأستمرت إليه تنظر شزراً  
فُللاقي في صدرها الصلب صخر  
قبل أن يدخل أختشى وأقشعرا  
من حديث قد دار في البيت سراً  
وبقاء الحبيب أثقل وقرا  
أن يكون الفتى لأملك صهرا  
أجعليه في سرِّ صدرك قبرا  
واحذري أن يقال إنك عرى  
كان في مُقلتيه يسعُرُ سعرا  
ورأى في الفتاة خوفاً ودُعرا  
أخطأ السير معك، يا هندُ عذرا  
طاهر الذيل لست أدركُ عهداً  
لى فلم يستفق ولم يستقرا  
ومشى في العظام ينخر نخرا

\* \*

ولدي، ليس عندنا اليوم فطرُ  
فالخوابي فرغن من كل شيء  
أتركيني يا أم... لا ترعجيني  
فأنا كافرٌ وسوف يراني  
ومضى والظلام يسدل سترأ  
ضعضته ذكرى أمرت عليه

ومن الأمس لم نذق قط فطراً  
ومن الخبز لا نصادف نزرأ  
بحديث قد شاخ حتى أسبطراً  
كلُّ من مرَّ بي أزوّد كفرا  
فوقه، والعذاب يسدل سترأ  
جنحها، وأستفاق ينفث جمرا

فرأى نفسه أمام فتاة  
فانتسى ما مضى عليه وأحيا  
حدقت فيه فترة قراءى  
فتناست وحوّلت عنه جفنًا  
هند، إني عطشان، جرعة ماء  
فشى في جبينها شبح الغدر  
وأنته بكأس خمر وقالت :  
ثم قالت في نفسها : إن سمي

أنشبت من غرامها فيه ظفرا  
حبه عامل الجلال، فخرًا  
في لاه أمامها طيف ذكرى  
كان بالأمس يثر الحب نثرًا  
فشفاهي الصفراء، يا هند، حرى  
وفي عينها استوى وأكفهرًا  
إشرب الكأس إن في الكأس خمرا  
سوف يقي سري بصدرك دهرًا

في ١٥ شباط ١٩٢٥

## في صائدة سمك حسنا.

أُتْرِى جَاءَتْ لَكِي تَصْطَادَ فِي الْبَحْرِ السَّمَكُ  
أَمْ أَتَتْ تَصْطَادُ قَلْبِي بِلِحَاطٍ كَالشَّبَكِ

\* \*

إِيهِ يَا صَائِدَةَ الْأَسْمَاكِ، لَسْتُ السَّمَكُ  
حَوْلِي الْأَشْرَاكِ عَنْ قَلْبِي، وَكَفَيْ الْحَرَكَةُ  
إِنَّ قَلْبِي عَالِقٌ فِي غَيْرِ هَذِي الشَّبَكَةِ

\* \*

عِنْدَمَا أَصْطَادَتْ فُؤَادِي غَادَتِي، مَا رَحِمْتُهُ  
بَلْ رَمَيْتُهُ فَوْقَ كَانُونِ هَوَاهَا وَشَوْنَتُهُ  
وَأَنْشَتْ «تَلْحَسْ» سَنَارَتَهَا مَذْ أَكَلْتُهُ

\* \*

نحن صرنا في زمانٍ لا نرى فيه ملاذاً!  
سمكُ البحر كقلبي ليسَ مَنْ قال لماذا  
مثلاً تَؤكل هذي تَأكلُ الغاداتُ هذا

\* \*

إيه يا صائدةَ الأسماك، لستُ السمكةُ  
حوّلي الأشرارَ عن قلبي وكفّي الحركةُ  
إنّ قلبي عالقٌ في غير هذي الشبكةُ

في ١٧ أيار سنة ١٩٢٣

## أودك مينة

أودك جاحظة المقلتين      وطيف الحمام على كلَّ خد  
أودك غائبة في ضريح      تنامين في تربه للأبد  
ولا تعذلي على ما وددت      ففي ذمة الحب ما قد أود

\* \*

أودك في خاطر القبر سراً      يردد ذكراك في مسمعي  
فيهرب منك العذول وآتي      أبلى خديك من أدمعي  
وأنزع من جانبيك الفؤاد      وأخبئه في دجى أضلعي

\* \*

فأبلغ إذ ذاك قلب الحبيب      وأنعشه بلظى زفرتي  
وأحمل قيسارتي للشيد      وألقي على الحب أغنيتي  
وما من سمير يصبح للخي      سوى البدر في الليل والنجمة

\* \*

أودك مدفونة في جنان      تضمخها نفحات الزهور

فيلعبُ بالقربِ منكِ النسيمُ      وتنشدُ بالقربِ منكِ الطيورُ  
ويُلوي الترابَ يقبلُ فاك      فكم في الترابِ ثوى من ثغورُ

\* \*

ولكن ، ولكن أغارُ عليكِ      من الترابِ إنْ ودَّ أنْ يلثما  
فلا أرتضي غيرَ لثمكِ وحدي      حرامٌ لغيري ذاكِ اللثمي  
فمن أجله قد ذرفتُ الدموعَ      ومن أجله قد هرفتُ الدما

\* \*

لماكِ ، لماكِ من الجلَسَّار      وفيه الهوى قام بالبيَّاتِ  
لعلَّ الترابَ يضمُّ شفاهاً      ثمَّتْ تقبلُهُ في الحياة  
فما بلغت حينذاك مرأماً      فتبلغ ما تشتهي في الماتِ

\* \*

لهذا أودُّكِ فوق الوجود      وفوق عناصر هذا الفلكِ  
وروحكِ هائمةٌ كالسراب      تضمُّ ملاكاً أتى في الحلِكِ  
فأغنم اللثمَ منها لأنِّي      أكونُ ولا ريبَ ذاكِ الملكِ

\* \*

أودُّكِ في قبضةِ الموتِ صرعى      لأنَّ حياتكِ تقضي عليَّ  
وموتكِ يا مميَّ عذبٌ لديَّ      فبالرغم يلقيكِ بين يديَّ  
وإذا ذاك أقضي سعيداً لأنِّي      أكونُ وصلتُ إلى قلبِ مميَّ

**الو! الو!**

بين الحُبِّ وقلبي

الحُبِّ:

رن رن!! ألو!!

مركز القلب، قلب ذاك الوجع  
ألا يزال مقيماً ما بين تلك الضلوع؟

\* \*

سكوت! ...

رن رن!! ألو!!

لي حديثٌ مع الفؤادِ طويلُ  
رحلتُ عنه زماناً حتى بلاني الرحيلُ  
وجئتُ أشكو إليه سقي وذرفَ دموعي

قلبي:

رن رن!! ألو!!

«ذاك صوتٌ سمعته من قديمٍ»

تُرى أصوتُ عذابي      ترودُ فيه همومي  
أم تلك أسرابُ حبي      قد آذنت بالرجوع؟

\* \*

ماذا تريد ومن أنت      يا أليفَ البكاء  
أما آكتفيتُ شقاء      حتى تزيدَ شقائي؟  
أزعجتَ حلمي لما      أفقتني من هجوعي

\* \*

لقد شعرتُ بأني      أمسُ ذكرى قديمة  
ذكرى الشجون وكانت      في جانبي مقيمة  
ففي كلامك رمزٌ      لحتي وولوعي!

الحُب:

أنا سمير العذارى      وقد نكثت عهدِي  
أنا هزارٌ وقلبُ الـ      شبابِ يهوى نشيدي  
أنا نجوم الليالي      أنا زهور الربيعِ

\* \*

أنا ربابُ الحين في يدي داودِ  
سرٌّ خفيٌّ ثوى في ضمير هذا الوجودِ  
ومعبدٌ للهوى أنجمُ الظلامِ شموعي

\* \*



فَنَذَّ تَهْتُ وَحِيداً      وَقَدْ تَرَكْتُكَ وَحْدَكَ  
ذَقْتُ المَرَارَةَ صَرْفاً      وَمَا تَحَمَّلْتُ بُعْدَكَ  
وَالآنَ عَدْتُ لَعَلِّي أَرَى جَمَالَ رَبِّوَعِي

\* \*

تَعَالَ نَشْدُو أَمَامَ الهَوَى نَشِيدَ الحَيَاةِ  
تَعَالَ نُشْعَلُ زَيْتَ الغَرَامِ بِالزَّفَرَاتِ  
تَعَالَ نَسْقِي أَزَاهِي——سِرِّ حُبِّنَا بِالدَّمْعِ!!

\* \*

تَعَالَ أَوْ لَا فَدَعْنِي أَمْصُ عَذْبَ رِضَابِكَ  
يَكَادُ عَهْدُ شَبَابِي يَمْضِي كَعَهْدِ شَبَابِكَ  
وَلَا يَزَالُ رَضِيعاً فَيَا لَهُ مِنْ رَضِيعٍ!

\* \*

تَعَالَ نَفْغُرْ أَجْرَا حَنَا أَمَامَ السَّمَاءِ  
تَعَالَ نَشْرَبُ كَاسَ الضَّنَا مَعَ التَّعْسَاءِ  
إِنَّ الْعَذَابَ حَيَاةُ الْعَظِيمِ ، مَجْدُ الرَّفِيعِ

\* \*

تَعَالَ نَعْزِفُ أَنْفَا مَنَا عَلَى الْأَوْتَارِ  
وَلَا نَكُنْ كَسَوَانَا خُرْساً عَنْ الْأَشْعَارِ  
فَجَذْوَةُ الشَّعْرِ دَوْمَا تَعِيشُ فِي الْمَوْجِعِ

\* \*

قلبي :

علامَ أشعر بالجوع      يأكلُ اللحمَ منِّي  
ولمَ أَرَّ العطفَ يدنو      من بعد ذاك التجني؟  
رحمك يا طيف حبي      لقد بلاني جوعي

\* \*

أسرعَ إليَّ وبادر      بالله أسرعَ إليَّ  
جارت دقائقُ نومي      وقد توالَّت عليَّ  
فليسَ لي من شفيقٍ      وليسَ لي من شفيقٍ

\* \*

أمسيتُ بعدك يا حُ      بُّ بارداً كالقبورِ  
تحيطُ بي حشراتُ      تدبُّ في ديجوري  
وما هنالك إلا      رموزُ شيءٍ فظيعِ

\* \*

تعالَ يا نور ماضيَّ      يا حياة الفؤادِ  
وأسكبُ ضياءك صِرفاً      على شديد سوادي! ...  
حبي رجعتُ إليه      وما أُحلي رجوعي

في ٢٧ شباط سنة ١٩٢٣

## بين الماسونية والاكليريكية

نحن كلنا عصبُ	لا يشقُّنا أربُ
للوثامِ ينتسبُ	في نفوسنا خُلُقُ
في صلورنا رَحَبُ	في قلوبنا همُ
في عروقنا حسبُ	في دمائنا شرفُ
في يراعينا أدبُ	في سيوفنا شرُ
أَن يسوسها الغضبُ	نحن أُمَّةٌ غضبت
لا الشقاقُ والعطبُ	فالسلاَم رائدها
في مروجها الضربُ	ماؤها يمازجُه
من صفائه شربوا	كم فوارسٍ أسدُ
حقُّكم هو الرتبُ	لا تغرَّكم رتبُ
ذلك الثرى ذهبُ	فأنفضوا ثراه فقي
ملء عينها هبُ	كم جلاله رقَدَت
كنز مجدها الحقبُ	في مدافنٍ رصدت
في البلاد ينسكبُ	إن للخلود هوى
فالبلاد تضطربُ	فأحذروا انقسامكم

في ١٠ أيار سنة ١٩٢٥

## وَرُبَّ كَبِيرٍ بَلْبَنَانِهِ

لَقَدْ بَلَغَتْ بِهِمُ الْحَدَّةَ	فَمَنْ آيُنَا نَطْلُبُ النَجْدَةَ
أَلَسْتَ تَرَاهُمْ أُولَى غَضَبَةٍ	يَعِثُونَ بِالْوَيْلِ فِي الْبَلَدَةِ
فَكُلُّ يَرَى نَفْسَهُ سَيِّدًا	وَكُلُّ يَرَى نَفْسَهُ عَمْدَةً
إِذَا مَا تَرَبَّعَ فِي جَهْلِهِ	عَلَى مَقْعَدٍ خَالَهُ سُدَّةٌ
كَرِيمُهُمْ كَاللَّيْمِ بِهِمْ	فَمَا فَاضِلُ سَيِّدٍ عَبْدُهُ
أَضَاعُوا الرِّشَادَ وَمَا نَفَعُ مَنْ	أَضَاعَ بِشُورَتِهِ رُشْدَهُ
يَقُولُونَ نَحْنُ عِمَادُ الْبِلَادِ	وَمَا هِيَآوَا لِلُوفَا عُدَّةُ
كَأَنَّ الْبِلَادَ لَدَى حَاجَةٍ	إِلَى كَذِبٍ وَإِلَى إِدَّةِ
وَرُبَّ كَبِيرٍ بَلْبَنَانِهِ	يَعْفُرُ فِي حِمَاةٍ خَدَّةِ
تَرَى عِنْدَهُ خَدَمًا وَقُصُورًا	وَلَسْتَ تَرَى شَرْفًا عِنْدَهُ
يَتَّبِعُهُ افْتِخَارًا بِأَجْدَادِهِ	كَأَنَّ الْوَرَى جَهْلُوا جَدَّهُ
يُحَاوِلُ إِخْفَاءَ مَا يَنْطَوِي	عَلَيْهِ فَتَفْضَحُهُ السَّجْدَةُ
ذَلِيلٌ وَفِي بُرْدِهِ الْكِبْرِيَاءُ	فَيَا لَيْتَ مَا لِبِسَ الْبُرْدَةَ
وَيَا لَيْتَ مَنْ وَلَدَتْ طَرَحَتُهُ	وَلَمَّا تُدْنَسُ بِهِ مَهْدُهُ
وَلَكِنَّهَا قِرْدَةٌ وَلَدَتْهُ	أَلَا تَلِدُ الْقِرْدَ الْقِرْدَةَ

\* \*

بني وطني، نحن في حاجةٍ  
يضحونَ بالأنفُسِ الغالياتِ  
وفي سُبُلِ الحقِّ يأتلفون  
إذا أَشَكَلَتْ عَقْدَةٌ في البلادِ  
إلى مَ تظلون في رقدةٍ  
إذا قامَ بينكم مُصلِحُ  
فلا تدعوا ظُفْرَ المستبدِّ  
وصيحوا به رُدًّا ما قد  
هدمتَ لنا صرَحَ أَخلاقنا  
وشيدتَ معبدَ إفاكِ فهدِّ  
لقد رثَّ ثوبُ خلعتَ علينا  
فعهدُ الغموضِ مضى وتصدَّى  
لقد حان أن يُصلتَ النورُ حدًّا  
لقد كاد يصدأُ في غمديه  
هدبتُ رفاقي إلى موردي  
وما موردي العذبُ إلا السلامُ  
رفاقي وإن فرَّقتنا الخطوبُ  
سيرشُكُم بالأزاهرِ مها  
سيدُكُرمُ بالجميلِ إذا ما  
سيصفحُ عن كلِّ أشواكِكُم

إلى نَصراءِ أُولي شدَّةٍ  
لأجلِ التضامنِ والوَحدَةِ  
ويعتقون الحِجَى وحدَه  
خفُّوا لحلَّ ذِه العِقْدَةِ  
ولا تُبعثونَ من الرَقْدَةِ  
يقومُ جميعُكم ضِدَّه  
يحكُّ للبنانِكُم جلْدَه  
سرقَ لنا خُلُقاً رُدَّه  
فأينَ تبيتُ ترى بَعْدَه  
أساسَ مشيِّدِه هُدَّه  
ونحنَ نَميلُ إلى الجِدَّةِ  
له عهدنا ناقضاً عهدَه  
كما استلَّ سيفُ الدُّجى حدَّه  
حُسامُ يرى قبرَه غمْدَه  
فضلُّوا وما طلبوا وِرْدَه  
يُذِيبُ لشارِبِه كِبِدَه  
سيحفظُ قلبي لكم حَمْدَه  
نكرُتم على ودِّه ودَّه  
نأى، وأراد القضا بَعْدَه  
فشوكتُكم عنْدَه وِرْدَه

## يا سمير الأبراج

إيه «برناس» هيكَل الشعراء  
لا دهاك الفناء بعد بقاء  
لأرى الدهر غارَ رأسك يذوي  
إنَّ غاراً على ذراك لمجد  
حكمة أنت في الوجود ونور  
سكبَ الفجرُ في مرَاشِفها الـ  
إيه برناس، والعرائسُ تشدو  
سكبَ الفجرُ في مرَاشِفها الـ  
ومصلَّى الكهَّان والأُنبياء  
خالِدُ أنتَ في ضميرِ البقاء  
بعد هذا النصور، هذا البهاء  
خلَّدته نوابغُ القدماء  
لعقول الجَهَّال والحكماء  
حمرِ رحيقِ الخلود للشعراء  
فيك أُغْنِيَةَ الهوى والرجاء  
حمرِ رحيقِ الخلود للشعراء

\* \*

هيكَل الفنِّ والجمالِ سلامٌ  
سجد المجدُ تحت قوسك سكرًا  
قل لأبنائك الذين استمدوا  
إنما البؤسُ في تُرابي ثراءٍ  
وسلام يا هيكَل البؤساء  
نَ سجودَ الفقير للأغنياء  
شعلة الوحي منك كالكهرباء  
فردوا المجدَ من بحارِ ثرائي

القصيدة التي أنشدت في الحفلة التكريمية التي أقامتها جوبه لخليل مطران.

وَدَعَوْا الْغَيْرَ يَبْحَثُونَ طَوِيلًا  
فَلَكُمْ مِنْ لَأَلَى النُّورِ كَنْزٌ  
إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ قَلْبٌ  
هُوَ رُوحٌ مِنَ السَّمَاءِ اسْتَمَدَّتْ  
هُوَ بَانٍ يُوَدُّ تَقْوِيضَ رُكْنٍ  
وَبِنَاءِ الْعَلَى عَلَى ذَلِكَ الرُّكْ

فِي وَحُولِ الْغَنَى عَنِ الْإِثْرَاءِ  
فَأَنْثَرُوهُ عَلَى طَرِيقِ الْإِبَاءِ  
ذَابَ حُبًّا عَلَى شُعَاعِ الْفِدَاءِ  
حِكْمَةُ الْفَنِّ مِنْ دِمَاحِ السَّمَاءِ  
شَيْدَتِهِ مِظَالِمُ الزَّعْمَاءِ  
مِنْ وَتِلْكَ الْأَنْقَاضِ أَقْوَى بِنَاءِ

\* \*

هُوَ قِيَارَةُ الشُّعُورِ تَنَاجِي  
فَالضِّيَاءُ الْأَكِيدُ فِي مَقْلَةِ الشَّ

بَنْشِيدِ الْأَوْتَارِ سَرَّ الضِّيَاءِ  
عَرِ لَا فِي النُّجُومِ أَوْ فِي ذُكَا  
طَائِرٌ فِي مَدِينَةِ التَّعَسَاءِ  
ضٍ لَتَشْفِي تَعَاسَةَ الضَّعْفَاءِ  
رَاءِ تَمْتَصُّ عِنَصِرَ الزَّهْرَاءِ  
مَيِّتَ الشَّعْرِ فِي عُرُوقِ الرُّوَاءِ

هُوَ نَسْرٌ لَهُ جَنَاحَا إِلِهِ  
نَاطِرٌ دَمْعَةُ الْعَزَاءِ عَلَى الْأَرِ  
هُوَ رُوحُ «الْخَلِيلِ» فِي النُّجْمَةِ الزَّهْ  
لَتُرَوِّي بِهِ الْفُنُونُ وَتُحْيِي

\* \*

أَيُّ خَلِيلِ الْبِلَادِ وَقَيْتَ قِسْطًا  
فَأَشَدُّ الْعِزَمِ لِلنَّجَاءِ وَأَكْمَلُ  
مَا تَرَى فِي الْبِلَادِ بَعْدَ اغْتِرَابِ  
إِنَّ صَدْرًا حَنُوتَ طِفْلًا عَلَيْهِ  
كُلَّ مَا فِي الْبِلَادِ أَمْسَى غَرِيبًا  
فَبِلِسْنَانِ أَيْمٍ الْمَجْدِ ثَكَلِي

مِنْ فَرُوضٍ عَلَيْكَ لِلْعَلِيَاءِ  
ذَلِكَ الشُّوْطِ يَا رَيْبَ النَّجَاءِ  
أَسْوَى الْبُؤْسِ وَالْبَلَى وَالشَّقَاءِ  
هُوَ صَدْرٌ مَهْشَمُ الْأَعْضَاءِ  
شَوْهَتِهِ مَنَاكِلُ الْغُرَبَاءِ  
وَهِيَ تَبْكِي مَصِيبَةَ الْأَبْنَاءِ

هي تبكي الألى أبادهم الظل  
برئت منهم المظالم لكن  
شهداء العلى قضت وبقينا  
إن أطلت من كوة الموت تبصر  
يا قبوراً تربع الوحي فيها  
كل جيل يحثو أمامك بالجد ويرمي عليك زهر البقاء

\* \*

يا سمير الأبراج في منتهى الأج  
وعذارى الفضاء ماذا أسرت  
كل ليل تزورها فتناجي  
كيف «فرجيل» والمعري و«هومبوس» في ذلك المكان الهوائي

\* \*

طربت بعلبك بالولد الب  
وأطلت من الهياكل سكرى  
وجثا الشعر للصلاة جنو ال  
يا نديم الرؤى عليك سلام  
ر وبشت له ثغور الظباء  
نظرات الكهان والأنبياء  
مؤمنين العفاة والأمناء  
وسلام يا سيد الشعراء

في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٤



## المصدرة

وضع الكاتب الإفريقي «جول لوماتر» هذه الرواية نثراً ، فأخذ الشاعر موضوعها وتصرف بها تصرفاً مطلقاً . لمشاهد الفتاة المريضة أمام الرؤيا ووصفها المنطبق على حالتها لا أثر لها في الأصل الإفريقي .

— ١ —

يَسْنَ تلك الرُّبى وذاك الوردِ فوق حصاء شاطئٍ لازوردي  
تحت أفقٍ كالخدِّ أو كالفرندٍ أَمَلِسْ عَطَّرته نَفْحَةُ رندٍ  
فسرى الطيبُ في الفضاء زكياً  
كَـانَ داوُدُ دائماً يتردَّدُ وعلى صخرةٍ يهَيَّئُ مقعدُ  
فلإذا مالتِ الغصونُ تنهَّدُ وأنجلي عنه حزنُهُ وتبدَّدُ  
وتناسى عهد الشقاء القصياً  
كان حلَّو الحديثِ عذبَ الطباعِ شاعراً مُصَغِياً لكلِّ التباعِ  
إن رأى أدمعاً بَكَتْ لدواعٍ ذرفَ الدمعَ من عيونِ اليراعِ  
راسماً مشهدَ الحياةِ شقيّاً  
كلِّما كان جالساً يتأمَّلُ في السواقي ذاتِ الزلالِ المسلسلِ

كيف تجري بدون أن تتمهلُ ثم تنصبُ جدولاً إثر جدولٍ  
بين وردِ الرُّبى فينمو ندياً

كان يمضي أمامه امرأتانِ كرخامِ القبورِ صامتتانِ  
تنظرانِ الربيعَ بعضَ ثوانٍ ووراءِ الأدغالِ تختفيانِ  
كخيالين من سعادٍ وميأ

كهلةٌ قد تُناهزُ الخمسينا وفتاةٌ لا تبلغُ العشرينا  
حملتُ في الضلوعِ داءَ دينا فهي تسلو الآلامَ حيناً، وحيناً  
تُبصرُ الموتَ دانياً يهياً

مُقلتها ما عادت مُقلتها فيها مَيِّتتانِ في جَفْنِها  
ويدها في الداءِ غيرُ يديها! أيها السِّلُّ لِمَ جئتَ عليها  
أولاً ترحمُ الفؤادَ الفتياً

— ٢ —

بعدَ شهرٍ كأنما هو عامٌ نَسَجَتْ فيه بُردَها الآلامُ  
شاءَ داودُ أن يكونَ سلامٌ وأبتسامٌ ما بينهم وكلامُ  
وحديثٌ عن الفتاةِ، فحياً

ودرى بعدَ ذاكَ أنَّ أباهَا ماتَ بالداءِ نفسِهِ وأخاهَا  
فبكى راثياً جمالَ صباها وأبتساماً مودعاً في لماها  
وشباباً يموتُ شيئاً فشيئاً

أُمها وهي أَكَلُ الأمَّهاتِ بعدَ تلكَ المشاهدِ الماضياتِ

لم تكنُ تستطيعُ بالسَّمتِ رَدْعَ مصدورةٍ عن الحسراتِ  
فأبتسأُ الحزينِ كان عصياً

طالما ذكرياتُ تلكَ المشاهدِ عاودَتْها، والليلُ سكرانُ ساهدُ  
يومَ كانت تبكي أمامَ الوسائدِ حيثُ ماتَ الوليدُ بعدَ الوالدِ  
تأرَّكينَ الداءِ الخفيفِ الخفياً

ربُّ قالت، يا ربُّ هذا الوجودِ ورجاءُ الشقيِّ والمنكودِ  
قد كفاني في شقوتي وجُهودي موتُ زوجي الفتى وموتَ وحيدِي  
فأشفِ بنتي وكنْ شفيقاً عليّ

### — ٣ —

ذاتُ حُسنٍ كالْفجرِ في نيسانٍ لأمْسَتْهُ أناملُ الأحزانِ  
وبياضِ كالشَّلجِ في لبنانٍ وحديثُ يُذِيبُ في الآذانِ  
نغمًا للحياةِ موسيقياً

مقلتها رمزُ الفؤادِ الوجيعِ ولماها آستعارَ لونَ الشموعِ  
هكذا هندُ، وهي بنتُ الدموعِ كان يبدو شبابُها في الربيعِ  
إنَّ قلبَ الربيعِ كان عتيّاً

ذاتَ يومٍ وقد تدانى الغيابُ جلستَ هندُ في يديها كتابُ  
قرأتَ فترةً، وجاءَ الضبابُ فضى فيه جفنها المرتابُ  
تارةً ساهياً وطوراً بكياً

هندُ لِمَ أنتَ تنظرينَ الضبابا بعيونٍ ذابتَ وقلبٍ ذابا

أفهدي رؤى تُريك الشباب يتلاشى ويستحيل تراباً  
قبل أن يبلغ الحياة قوياً

— ٤ —

جاء هنداً داودُ بعد الظهورِ فرآها والأُم بين الزهورِ  
في يديها قماشٌ من حريرِ طرّزت بعضُها بفنٍّ خبيرِ  
فبدا الفنُّ في يدي هند حياً

قال هذي لمن «ببعضِ آبِسامِ» إنها مثلُ برنسٍ لـغلامِ  
فأجابَتْ بزفرةِ الآلامِ : لفتاةٍ تزوّجت منذُ عامِ  
فهنيئاً لها الزواجُ هنياً!

فأتاها عند الضحى فرآها وكتابٌ يهتزُّ في يَمناها  
فإذا عيُنُها تعيرُ أنبأها صفحةٌ «ودَّ لو يعي فحواها»  
وقفت عندها الفتاةُ ملياً

ففضى خلفَ ظهرِها بتأنٍ فرآها تتلو ببأسٍ وحزنِ  
بيتَ شعرٍ قد قاله منذُ قرنٍ شاعرٌ وهو: يا أبي لا تُمِثني  
قبلَ أن أعرفَ الهوى العُذرياً

— ٥ —

أبصرتُ هندُ وهي تفكرُ بالغدِ من خلالِ الأحلامِ قبراً أسودُ  
رقدتُ فيه عادةً ما تنهدُ صدرُها في الحياةِ حتى توسدُ  
تُربةً ضمتَ الظلامَ الدجياً

وترأّت لها عروسُ القبرِ تنحني فوقَ وجهها المصفرُّ  
في يديها باقاتُ وردٍ وزهرٍ نثرتُ فوقَ رأسها والصدرِ  
وأفاحت أريجها العطرِيّا

وترأّت لها البناتُ العذاري راقصاتٍ بحجّهنّ سكارى  
يتبارين ما الشبابُ تبارى بحالٍ يهيجُ الأوتاراً  
في يديّ عازفٍ جميلٍ المحيّا

وفتيّ ناظرٌ بعطفٍ إليها رابه السقمُ في كلا خديها  
خائفٌ من دمٍ على شفّتها قاءهُ ما جنى على رثّتها  
وسُعّالٌ به الردى يتقيّا

وتراءى لها خيالٌ مخيفٌ بين أهّابٍ مُقلّتها يطوفُ  
في يديه مشاعلٌ وسُجوفٌ مثّلت دورها عليها الصروفُ  
فترأى لها الردى علنيّا

وأستفاقت لدى ارتعاشٍ عنيفٍ دبه الخوفُ في صباها الضعيفِ  
فتلاشت كالْحُلُمِ رؤيا الطيوفِ وتوارت أُمّامٌ دمعٍ ذريفِ  
كان سحراً في عينيها بابلِيّا

ربّ، قالت ألم تهبني الميولا وحديثاً عذباً ووجهاً جميلاً  
فلماذا أرى الشبابَ بخيلاً لا يرى وجّتيّ حتى يميلاً  
عن جمالٍ يذوبُ في وجّتيّا

يا إلهي، ألسْتُ يوماً أُلّافي عاشقاً بين معشرِ العشاقِ  
راحماً في فؤادي المشتاقِ غيرَ دمعٍ يحولُ في آماقي  
وعذابٍ يُضيءُ في مقلّتيّا

يا أبنَةَ الدَّاءِ يا أبنَةَ الأَرماسِ يا خيالاً يسيرُ في دِئاسِ  
إِقْتَصِدْ ما اسْتَطَعْتَ في الأَنفاسِ إِنَّ رَسَمَ الآلامِ والأوجاسِ  
عن قَريبٍ سيمُحِي سَرياً!

أنتَ لم تَدِرِ كيفَ، شيئاً فشيئاً يَقْضِمُ الموتُ جِسمَكَ المَلِكِيَّ  
يا مَلَكاً أَضَلَّكَ الدَّهْرُ غِيّاً في زَمَانٍ ما كانَ قَطُّ وُفياً  
فأَحيَ فينا ولا تَكُنْ مَنسِياً

سوفَ تَمْضِي إلى دِيارِ البَقاءِ بَعْدَ تلكَ الأَسقامِ والأَدواءِ  
طاهِراً كالأَزْناجِ البَيضاءِ حامِلاً مَشْغَلِ الأَسَى والبُكاءِ  
في فُؤادٍ قَضَى الحِياةَ نَقِيّاً

سوفَ يُغْمِي عَليكِ في ذا الوجودِ بَعْدَ حينٍ، إِغماءَ رُوحِ الوجودِ  
تارِكاً في فُؤادِ كُلِّ وَدودٍ راءٍ في وَجْهِهِ أَصْفارَ الخُدودِ  
ذَكَرِياتٍ شَفَّافَةً كالحَمِيّا

قالَ داوُدُ ذاتَ يَومٍ لِنَفسِهِ وهو يَجْلُو بالفِكرِ غامِضَ دَرسِهِ  
أَيَّ فَضْلٍ يُبْقِي الفَتى بَعْدَ رَمسِهِ إِنَّ أَمِي رَحمةَ التَّعِيسِ بَتَعِيسِهِ  
وَأَنعِطافاً على الشَّقِيِّ سَخِيّاً

ليسَ أَنقى مِنَ زَهرَةِ الأَحْسانِ فَوْقَ صَدْرِ المَجاهِدِ المُتَفاني  
إِنْ أَكُنْ زَوْجَ غادَةِ الأَحْزانِ أَفليسَ الإنسانُ لِلإنسانِ  
أَفما كُنْتُ في الحِياةِ وُفياً

سوف تحيا بالحب تلك الفتاة هكذا قد أرادت التضحيات  
فليضي بين مقلتيها المات فالنبايا عند الهوى هيئات  
فلتدق ذلك الهوى الكوثرية

ومضى الشاعر الطويل الأناة باسطاً أمره لأُمّ الفتاة  
قائلاً: إن مهجتي وحياتي وجهادي وكل أمنياتي  
تتمنى لهند عيشاً رخيماً

سوف تحيا هندُ السنين الطوالا ليس داء الفتاة داء عضالا  
فشتي بي وأنعشي الآمالا أنا مثر فلست أطلب مالا  
بل جمالاً عذباً وخلقاً أياً

سوف تشفى من دائها بعد عام سوف نجا بغبطة وسلام  
وثقي أن هند ذات السقام ستراني أخاً مع الأيام  
لا عشيقاً لجسمها وحشياً

فبكت أمها لهذا الكلام بعيون تشع بالأحلام  
ولدن أيقنت بصدق المرام شكرته بمدمع بسم  
كان بالحزن والنواح حرياً

— ٨ —

هند، إني أهواك، أهوى جمالا يرشق الحب من لملك نبالا  
قال هذا، وقد رأى الآمالا راسبات في مقلتيها خيالا  
طاهراً في جماله ملكياً

فأجابته وقد عراها السكوت بعض حين، كأنه هاروت

كيف تهوى، ألا تراني عيتُ، مقلتي تنطني، وقلبي يموتُ  
ويجولُ الترابُ في خدياً؟  
قال لا بل تحيينَ عمراً طروباً وترينَ الحياةَ عيشاً خصيباً  
فأنا عاقلُ، سألتُ الطيبا قال لي: هندُ سوف تشفى قريباً  
وترى لونَ خدّها الوردية

— ٩ —

مرّ بالعاشقين أسبوعانِ هيئتا فيها جهازَ القرانِ  
والربيعُ الجميلُ في نيسانِ كان يزهو بالفلِّ والريحانِ  
ساكباً ذلك الندى اللؤلؤياً  
بحريرٍ مُزركشٍ ومُحرمٍ وطرازٍ على النوافذِ مُعلمٍ  
هكذا غرفةُ الزفافِ الأقممُ برزتْ وهي تستعدُّ للمُتَمِّ  
بجمالِ العرسِ الرهيبِ تزيّاً!  
وسريرٍ، أعدَّ فيها، صغيرٍ ألقيتْ فوقه ستورُ الحريرِ  
لعبتْ أنملُ النسيمِ الطهورِ بجنائيا رداؤه المنشورِ  
فأستطارَ الرداءُ نشرأ وطياً  
وهنا، بعد عرسها الملكيِّ ظهرتْ هندُ كالصباحِ البهيِّ  
بنقاءٍ ككلِّ قلبٍ نقيٍّ وبياضٍ كشوبها الزنبقيِّ  
ودلالٍ يفوح طهراً ورباً

— ١٠ —

ما لتلك الفراشة السوداء تتغنّى في الغرفة البيضاء



جَنَحُهَا حَالِكٌ كَقَطْعِ الرَّجَاءِ      وَغَنَاهَا الرَّهِيْبُ رَمَزُ الْبُكَاءِ

خَالَهُ الْمِبْتَلَى      غَنَاءَ شَجِيئًا

ذَاتَ يَوْمٍ ،      وَقَدْ تَدَانَى الظَّلَامُ      خَفَقَتْ فِي ضُلُوعِهَا الْآلَامُ

فَتَرَامَتْ وَقَدْ تَرَأَى الْحِمَامُ      مُسْتَفِيقًا فِي عَيْنِهَا لَا يَنَامُ

يَسْتَحْيِ عَالَمَ      الدَّجَى الْأَبَدِيًّا

وَأَسْتَفَاقَتْ قَبْلَ الْمَاتِ الرَّهِيْبِ      فَرَأَتْ زَوْجَهَا كَثِيرَ الشُّحُوبِ

يَا حَبِيْبِي ، قَالَتْ لَهُ ، يَا حَبِيْبِي      حَانَ مَوْتِي وَجَاءَ وَقْتُ مَغْيِبِي

فَعِزَابِي يَثُورُ فِي رُثْيَا

غَيْرَ أَنِّي أَمْضِي لِدَارِ الْبَقَاءِ      بِسُرُورٍ وَغِبْطَةٍ وَصَفَاءِ

فَأَنَا رَغْمَ عِلَّتِي وَبِلَايِي      ذَقْتُ طَعْمَ الْهَوَى كَبَاقِي النَّسَاءِ

وَعَرَفْتُ التَّآلَفَ الذَّهْبِيًّا

وَأَرْتَمِي رَأْسَهَا ارْتِمَاءَ يَدِيهَا      وَتَلَاشَى اللَّهَاتُ فِي مَرَشَقِهَا

فَبَدَتْ ، وَالدَّمَاءُ فِي شَفَقَتِهَا ،      مِثْلَ شَاةٍ بِيضَاءٍ أَلْقَى عَلَيْهَا

شَرِسُ الْقَلْبِ سَهْمَهُ الدَّمُويًّا...

أَيُّ ذَنْبٍ جَنَّتَهُ تِلْكَ الصَّبِيَّةُ      لِيَجَازِيَ شَبَابُهَا بِالْمَنِيَّةِ

رَبِّ ! إِنْ كَانَ أَصْلُ تِلْكَ الضَّحِيَّةِ      وَالِدٌ أَوْرَثَ السَّمُومَ الْخَفِيَّةَ

فَصَبَاها لَمْ يَأْتِ أَمْرًا فَرِيًّا

رَبِّ ! لِمَ أَنْتَ تَظْلِمُ الْأَبْرِيَاءَ      وَتَزِيدُ الْعَانِي الشَّقِيَّ شَقَاءَ

هَمْ يَقُولُونَ : هَكَذَا اللَّهُ شَاءَ      فَاحْتَرَمْ فِيهِ حِكْمَةً عَلِيَاءَ

وَأَحْبَبُهُ الشُّكْرَ بِكَرَّةٍ وَعَشِيًّا !

## ولما كبرتُ

بلوتُ الحياةَ، فما من أنيسٍ  
تقول ليَ أنهض، وإِما رَأَتني  
فيا ربَّ أطفئ سراجَ شعوري  
وأخرسْ بصدري الشبابَ، فإني  
يؤاسي همومي وما من صديقٍ  
مجدًّا تقفُ عثرةً في طريقي  
لأصبحَ ذا بصرٍ مستفيقٍ  
أودُّ أستماعَ فؤادي الحقيقي

\* \*

لقد طالَ عهدي بالظلماتِ  
كَأَنَّ الدجى مشعلٌ في فؤادي  
فما الزَّهراءُ أمامَ عيوني  
تمرُّ بمشهدِها المستحبِّ  
ولم أستنرْ بسوى الظلماتِ  
تزيّته بالشقاءِ الحياةُ  
سوى ذكرياتِ الهوى الماضياتِ  
وتذبلُ كالأزهر الذابلاتِ

\* \*

أُقضي ليلالي في مخدعٍ  
فكم زارني فيه من زائرٍ  
نشأتُ تشفَّ بي الحشراتُ  
بكى والدي حظَّه فيه قبلي  
وأبصرني بالدموعِ أصلي  
فُتْضوي فؤادي الكئيبَ وتُبلي

تَمَرَّدَ كُلُّ غَرِيبٍ عَلَيَّ وَلَمَّا كَبُرْتُ تَمَرَّدَ أَهْلِي

\* \*

أَرَى اللَّيْلَ يَفْتَحُ إِيَوَانَهُ  
وَنَفْسِي هَائِمَةً فِي فُضَاءٍ  
فِيَا مَنْ لَهُ الْأَعْيُنُ الْبَاسِمَاتُ  
تَعَالَ وَأَغْمَضُ ذَبُولَ جَفَوْنِي  
لَيْسَتَقْبَلُ الْأَجْفَنَ النَّائِمَةَ  
تَحَوُّفَ مَنْ نَفْسِي الْهَائِمَةَ  
أَنْرُنِي بِأَعْيُنِكَ الْبَاسِمَةِ  
بَأْنُمُكَ الْبُضَّةِ النَّاعِمَةِ

\* \*

تَعَالَ إِلَيَّ فَقَدْ سَكَتَ الطَّيْرُ  
وَقَدْ نَامَ فَلَاحَ تِلْكَ الْحَقُولُ  
فَكَمْ مَلِكٍ أَبَاهَا اللَّيْلُ يَكِي  
وَكَمْ بَائِسٍ ظَلَمْتَهُ الْحَيَاةُ  
وَاللَّيْلُ مَنْسَدٌ فَوْقَ عَشَّةٍ  
وَفِي جَنْبِهِ مَا جَنَاهُ بَرْفِشَةٌ  
أَمَامَ جَلَالِكَ فَقْدَانُ عَرْشِهِ  
يَخَالُ سَوَادُكَ ظِلْمَةً نَعِشِيَّةً

\* \*

تَعَالَ وَأَنْشِدْ عَلَيَّ مَسْمَعِي  
وَاخُذْ ذِكْرِيَانِي إِلَى عَالَمٍ  
فَهَذَا الْحَيَاةُ ثَمَالَةٌ كَأْسٍ  
فَدْعْنِي أَنْلُهَا بِقَايَا جَاهِدِي  
أَغَانِي الْهَوَى بُلْغَاتِ الْخُلُودِ  
يَطِيبُ لِرُوحِي فِيهِ السَّجُودُ  
سَقَاهَا رَجِيمُ الرَّدَى لِلْوُجُودِ  
لَتَمْتَصَّهَا حَشَرَاتُ اللَّحُودِ

\* \*

تَعَالَ فَإِنَّ دَقَائِقَ عَمْرِي  
وَقَدْ حَمَلْتُ لِيدَ اللَّانْهَائَةِ  
تَمَرُّ عَلَى مَهْجَتِي رَاحِلَةً  
أَكْيَاسَ آمَالِي الزَّائِلَةِ

غداً، إن رأيتَ خيالَ الحمامِ يمرُّ على وجنتي الناحِلَةِ  
تعالَ وضعْ قِبلاتِ الوفاءِ على شَفَةِ المائِثِ الذابِلَةِ

\* \*

وفي الغدِ حينَ تمرُّ السنونُ وتَنزِعُ عنه سناءَ الجمالِ  
وسَذكُرُنِي ملقياً هامتي سَذكُرُنِي ملقياً هامتي  
وَأُسمِعَكَ الشَّعَرَ عَذباً طَريّاً وحيارى على خَدِّكَ الناعمِ  
ويبقى سنا رَوحِكَ الدائمِ بعطفٍ على صَدْرِكَ النَّائمِ  
كسَحَرٍ بِمرشِفِكَ الباسِمِ

\* \*

فيا مَنْ ظَهَرَ لَريقِ قَلْبِي وأشعلتَ في ليليَ المكفهرِ  
وقلتَ لِقَلْبِي كُنْ عاشقاً وتعالَ إليَّ ولا مَسْ فَوادي  
في عَالَمٍ مَقْفَرٍ منتنِ مشاعِلَ حُبِّكَ في أعْيُنِي  
فكانَ وفاضَ من الأَجْفُنِ ولا تَحْشَ من جَرحِي المَزمِنِ

في ٨ آب سنة ١٩٢٤

## الشبل الرابض

جشمَ الليلُ بأحضانِ التلالِ      حالكَ البردة منشورَ الظلالِ  
كخضمٍ غرقَ الهمُّ به      فأعترى أمواجه صمتُ الجلالِ  
وأنا في مخدعي، لا تنثني      عن جفوني مُردا الشهد الطوالِ  
في فؤادي من غرامي صورةٌ      وعلى عينيَّ من حُبِّي خيالُ

\* \*

هوذا البدرُ بأبهى رونقٍ      صاعدٌ خلفَ جبالِ المشرقِ  
غرقت هالته في غيمةٍ      كدموعٍ غرقتُ في حدقِ  
أو كأحلامٍ لياليٍّ وقد      ذُوبت بين بخارٍ أزرقِ  
قتراءِ الليلِ سكرانَ بما      ذابَ في مرشفهِ المحترقِ

\* \*

يا فتاةً بين جنبِي هواها      لكِ عندي حرمةٌ ربي رعاها  
كانَ في صدري آمالٌ وقد      مرَّ إخفاقي عليها فحاحا

إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ آثَارِي فَلَا      تَنْكِرُهَا عَزَّزَ اللَّهُ بِقَاهَا  
فَهَا مِرَاةٌ قَلْبِي فِي الْهَوَى      كَمْ أَرْتَنِي مَهْجَتِي عِنْدَ رَوَاهَا

\* \*

يَا فَتَاتِي، تَحْتَ زَهْرِ الْيَاسْمِينِ      قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى حُبٍّ أَمِينٍ  
لَا يَزَالُ الزَّهْرُ بَسَامًا لَنَا      شَاهِدًا عَدْلًا عَلَى تِلْكَ الْيَمِينِ  
فَأَذْكُرِي ذَلِكَ وَالْدَمْعَ الَّذِي      قَدْ ذَرَفْنَاهُ بِشَوْقٍ وَحْنِينٍ  
كَانَ ذَاكَ الدَّمْعُ مَاءً مِزْلًا      عَمَدَ الْحُبِّ بَدِينِ الْعَاشِقِينَ

\* \*

يَا فَتَاتِي، كَانَ لِي مَسْعَى وَقَدْ      صَفِرَتْ مِنْهُ عَيُونِي وَيَدِي  
أَيْ يَكُنْ أَخْفَقَهُ الْحِظُّ فَلَا      بَدًّا مِنْ يَوْمِ نَهْوَضٍ فِي الْعَدِي  
أَنَا فِي الْعَشْرِينَ، عَفْوًا إِنِّي      أَمْرُدُّ، لَا تَعْبِي بِالْأَمْرِدِ  
إِنَّ لِلْأَشْبَالِ سَاعَاتٍ دَدٍ      وَكَذَا لِلصَّبِّ سَاعَاتُ دَدٍ

\* \*

يَا فَتَاتِي، إِنْ تَكُونِي تَفْخَرِينَ      عِنْدَمَا أَذْكُرُ بَيْنَ النَّابِهِينَ  
فَلْيَكُنْ فَخْرُكَ قَلْبِي، إِنَّهُ      ذَابَ مِنْ أَجْلِكَ فِي كَأْسِ الْأَنِينِ  
وَإِذَا مَا أَفْتَخَرَ النَّاسُ غَدًا      فَأَفْتَخَارِي بِشَعَارِ الْبَائِسِينَ  
رَيْشَةً مِنْ قَصَبٍ عَلَّقْتُهَا      فَوْقَ تَارِيخِ الرِّجَالِ الْخَالِدِينَ

\* \*

ريشةً من قصبٍ ناجيتها  
إنْ أكنْ ناجيتها منذ الصبا  
سوف من بعدي تبقى أثراً  
ويُطلّ الدهرُ من كوتهِ

وأنا أَلثمُ هاتيكَ الحدودَ  
سوف من بعدي ينجيها الوجودُ  
يرسمُ المجدَ على لوحِ الخلودِ  
ليراها كيف تُرمى بالورودِ

في ٣ أيار سنة ١٩٢٤

\*

## امام مهد سعاد

أُرْقدي ! أُرْقدي ! فغيرُ الرقادِ  
أنتِ في المهدِ مثلُ زهرةِ فجرٍ  
يا سعاداً ، هذي عيونُ العذارى  
ساكباتٌ في طُهرِ قلبكِ نوراً  
أُرْقدي وأحلمي ، فحلمُك عذبٌ  
ودعي أُمِّكِ الحنونَ تناغيةً  
يا ملاكاً ، ما أنتِ في المهدِ إنسا  
أنتِ ما زلتِ في سريركِ روحاً  
أنتِ لا تعرفُ العبادَ ولكن  
أهناكِ أقترفتِ ذنباً فجوزي  
ليس يحلو لأعينِ الأولادِ  
أنعشَها يدُ الندى في الوادي  
باسماتٍ جميعُها لسعادِ  
من سراجِ النفوسِ والأكبادِ  
يا سعاداً ، كالسلسيلِ البُرَادِ  
لكِ بصفوِ الحنينِ والإنشادِ  
نأ كذاكِ الإنسانِ عندَ الرشادِ  
كَبَلَتْها يدُ بَقِيدِ الجُمادِ  
قذفتكِ السماءُ بين العبادِ  
تَ بنفيِ في عالمِ الإضطهادِ؟

\* \*

يا سعاداً ؛ غداً نراكِ فتاةً  
ويصبُ الشبابُ في كأسِ جفني  
فأحذري حينذاكِ راصدةِ الكأ  
تسكينِ الهوى بكلِّ فؤادِ  
لكِ رحيقَ الجمالِ للورادِ  
سِ فعينِ الحياةِ بالمرصادِ



لا تخوضي الهوى فما هو إلا  
يا سعاداً، غداً ترينَ قدوداً  
وعيوناً للحسنِ تنفثُ فيها  
حافظي ، حافظي على طهرِ هذا الـ  
ودعيه ينمو ففيه ثمارٌ  
إنما أثمارُ الطهارةِ تحيا  
وإذا مرّت العشيُّ عليها  
نزواتُ الأرواحِ في الأجسادِ  
مسكراتِ تِبَاعُ بيعِ المزادِ  
حشراتُ الأقدارِ كحلَ الفسادِ  
غُصْنِ ، غصنِ الطفولةِ الميادِ  
طيبّاتٌ لكلِّ غرشةٍ صادِ  
من مهود الصبا ليومِ التنادي  
فهي منثورةٌ على الأحادِ! ...

\* \*

أرقي يا سعادُ فالنومُ عذبٌ لفؤادٍ ما ذاقَ طُعْمَ السهادِ  
وأبسمي فالحياةُ تبسمُ في المهدِ ويغفو السلامُ تحتَ الوسادِ

في ١٣ نيسان سنة ١٩٢٤

## قبل الرحيل

أذكره، وكيف لا أذكره  
هواؤه الطيبُ روحُ الصبا  
أشجاره ذاهبة في الفضاء  
كانها المراد قامت على  
نبع الصفا يقطر من صدره  
كأنما أمواهه خمرة  
لبنان فيه المسك والعنبر  
وماؤه أكدره كوثر  
يروع منها ذلك المنظر  
آكامه ساهرة تخفر  
والروض سكران، فلا يشعر  
مذ يستقيها روضه يسكر

\* \*

وزحلة، شوقي إلى زحلة،  
حوراء والعشاق ترتادها  
كم قد تبارى الشعر في وصفها  
سماؤها وحي وأزهارها  
كم أنجبت من شاعر نابغ  
كأنما هاروت في شعره  
كانها في حسنها جودر  
وكل من يعشقها أحور  
وكلنا في وصفها قصر  
شعر وبردونيها أسطر  
إذا أتى في موقف يسحر  
بالرغم عن إخفائه يظهر

\* \*

والأرز، شدَّ الخُلْدُ، أعصابه  
جباير الأيام في مجدها  
يا أرز لا يطوى الفخار الذي  
فأصبر على الدهر، فما غاية  
هويتُ لبنان، ولا أنثني  
فكلَّ طودٍ عنده يصغرُ  
مرهونةً لأمرها الأعصرُ  
كان سليمانُ له ينشرُ  
ضاعت، لمن كان لها يصبرُ  
عن حُبِّ لبنان، ولا أدبرُ

\* \*

لي فيه شطرٌ من حياتي ولي  
لي فيه بدرٌ مشرقٌ نيرٌ  
يبلر نوراً في رياضِ الهوى  
كم ليلةٍ أحييتها قربَه  
كانه «رتشيلد» في عزه  
والليل فيه قرٌّ كاملٌ  
يا «أولغا» مرَّ الصفا عابراً  
من مهجتي في صدره أشطرُ  
له جمالٌ مشرقٌ نيرٌ  
فأنثني أجمعُ ما يبذرُ  
والحُبُّ يُعطينا ولا يخسرُ  
كانه «روكفلر» الموسرُ  
كانه عبدٌ لنا أعورُ  
كلَّ صفاءٍ في الورى يعبرُ

\* \*

وفي فؤادي أدمعُ كلما  
يا جُودراً ما «مي» في كلِّ ما  
أنت الذي أوحيت شعري فلا  
في عينك النجلاء سرُّ الهوى  
وفي ثناياك هوى طاهرٌ  
سأذكرُ المرجة في الفجرِ إذ  
فاضت في آهاته تعثرُ  
أنظُمُ إلا أنت يا جُودرُ  
أجحدُ ما توحى ولا أنكرُ  
وفي ليلك العذب ما يُسكرُ  
وبين جنينك هوى أظهرُ  
أبكرت كالحسونِ إذ يُبكرُ

مَذْ شَرَّفَتْ رَجْلَاكَ أَعْشَابَهَا  
أَوْدَعْتَ عِنْدِي مَهْجَةً لَمْ تَخْنُ  
قَطَرْتُ لِي الْوَدَّ، فَهَلْ فِي السَّمَاءِ  
حَنِي بِلُطْفٍ ذَلِكَ الْأَخْضَرُ  
قَلْبِي عَلَى إِكْرَامِهَا يَسْهَرُ  
صَفَاوَةٌ مِثْلَ الَّتِي تَقْطُرُ

\* \*

لِي كُلُّ هَذَا فِي بِلَادِي، وَلِي  
ضَحَّاكَةٌ كَالزَّهْرِ فِي رَوْضِهِ  
صَغِيرَةٌ السِّنُّ لَهَا أَعْيُنُ  
وَحَاجِبٌ كَالسَّيْفِ، إِنْ حَدَقْتَ  
الْأَسْوَدُ الْحَالِكُ فِي لَوْنِهِ  
هَرٌّ لَهُ فِي عَيْنِهَا جَاذِبُ  
إِنْ وَفَّقَ الْحِظُّ لَهُ فَارَةً  
كَأَنَّهُ وَهُوَ عَلَى كَتِفِهَا  
أَوْ غَلِيمٌ الثَّانِي عَلَى عَرْشِهِ  
أُخْتُ، وَيَا اللَّهَ، مِنْ جَوْرِهَا  
فَرَضَ عَلَى الْبَيْتِ، وَمَا فِيهِ أَنْ  
إِنْ طَلَبْتَ شَيْئًا وَلَمْ يُوْتِهَا  
الْوَيْلُ لِلْأَكْوَسِ مِنْ شَرِّهَا  
وَالْبَيْتِ، يَا اللَّهَ مِنْ ذِكْرِهِ  
تَنْظُرُ لِلْأَشْجَارِ فِيهِ وَلَا  
تَحْبِي حَبًّا شَدِيدًا بَلَا

فِي الْبَيْتِ أُخْتُ شَعْرُهَا أَشْقَرُ  
رَقَاصَةٌ غَنَّاجَةٌ تَخْطُرُ  
زَرْقٌ وَخَدَّ أَيْضُ أَحْمَرُ  
عَنْ غَضَبٍ، يَخْفَاهَا «عَتْرُ» (١)  
إِذَا مَشَى أَمَامَهَا يَفْخَرُ  
وَفِي حَشَاهَا جَاذِبٌ آخَرُ  
يُسْرَعُ فِي سَاعَتِهِ يَجْبُرُ  
إِسْكَندَرُ الْأَكْبَرُ أَوْ قَيْصَرُ  
اللَّهِ مِنْ سَطَوْتِهِ أَكْبَرُ  
يَأْتِمُرُ الْكُلُّ إِذَا تَأَمَّرُ  
يَبْقَى عَلَى مَرْضَاتِهَا يَسْهَرُ  
جَمِيعٌ مَا تَصْدَفُهُ يُكْسَرُ  
وَيْلُ الْكَرَاسِيِّ إِذَا تَنْفَرُ  
يَحِيطُهُ بَسْتَانُهُ الْأَخْضَرُ  
يَعْجِبُهَا إِلَّا الَّتِي تَشْمُرُ  
حَصِرٌ وَحَبُّ الْأُخْتِ لَا يُحْصَرُ

(١) اسم لمرأسود.

حباً يضاهي الأرض طراً وما  
من سملك يسبح في مائها  
ومن رمال كثرت حولها  
كم مرة أفرغت وقتي لكي  
فتسكّر الآلام في مهجتي  
تنظر في عيني طوراً ولا  
وتارة تفرج عن مبسم  
كم مرة جاءت إلى مكتبي  
فبعثت أوراقه والهوى

قد حملت في قعرها الأجر  
ومن شخاتير بها تمخر  
فحب أختي هو لي أكثر  
أسمعها تنشد ما تذكر  
وصوت أختي حمرة تُسكّر  
أحزر ماذا فيها تنظر  
يلمع فيه الدرّ والجوهر  
بيننا أنا أنظم أو أنثر  
في مهجتي كان لها يشكر

\*

\*

سأهجر الأوطان لا كارهاً  
رجالها مأجورة جلها  
في أرض زغلول سامسي غداً  
أنا أسير في بلادي، فهل  
ما مصر إلا زهرة في العلى  
فالحر فيها أسد رابض  
يحرسها فرعون في قبره  
العنبر الفياح في تربيته  
كالليث إذ يرأر في تخته  
لبنان أناه ولكن له  
عسى أراه مرجعاً مجده

لكن لأسباب دعت أهجر  
كانها الآلة تستأجر  
هل يا ترى يصفو لي المعشر  
في مصر أفكار الفتى تؤسر  
والنيل من برعمها يقطر  
إذا دعي للوثب لا يغدر  
فرعون حي فيه لا ينكر  
والمسك في أرجائه أذفر  
عريته يعرفه «الأقصر»  
ذكر بقلبي وهوى أظهر  
لبنان فيه المسك والعنبر

في ١٥ آذار سنة ١٩٢٤

## بعيدا عن هذا العالم

هذي الحياةُ كمستشفى تنامُ به  
كأنها الداءُ مخفيٌّ بأنفسِها،  
مرضى الوجودِ ولا تشفى من الداءِ  
سرٌّ عصي كشفهُ علمُ الأطباءِ

\* \*

سألتُ نفسيَ يوماً وهي باكيةُ  
يا نفسُ إن كنتِ في لبنانِ يائسةُ  
الماءِ في «بردى» عذبٌ مرققه  
والطقسُ معتدلٌ فيها، وصافيةُ  
فلم تُجِني وظلَّتْ وهي صامتةُ  
كأنَّ في نفسِها سرّاً تحاولُ أنْ  
فقلتُ هذي «فروق» إن سكنتِ بها  
«فروق» يحرسُها «البوسفور» منظره  
إذا تأملُ «قرنُ التبر» شاطئه  
والشمسُ تسكبُ في الأمواهِ مهجتها  
كأنها ضجرت ما بينَ أعضائي  
هذي «دمشق» تناغينا بإصغاءِ  
كأنه لؤلؤٌ في عينِ حوراءِ  
سماؤها، وهي بينَ الزهرِ والماءِ  
ترمي عيوني بأنظارٍ وإصغاءِ  
تحفيه والعينُ تجليه بإفشاءِ  
سكنتِ يا نفسُ أرضاً للأشداءِ  
يفيقُ في كلِّ صدرٍ مجدَ آباءِ  
تأملُ المجدِ في أحضانِ علياءِ  
بسامةً عن حلى في ثغرِ عذراءِ

وهذه مصرُ، والأهرامُ ترمقُها  
كأنها وهديرُ النيلِ يُطربُها،  
بعينِ فرعونَ عن الحَظِّ حسناء  
عشاقُ الفنِّ بين الشعرِ والنائي

\* \*

فلم تجبني، هل خرساءُ نفسي أم  
فقلتُ يا نفسُ إن تهوي السكونُ فما  
جِئتُ بجَنِيَّةٍ شمطاءِ خرساءِ  
فلنسكنِ القطبَ حيثُ النجمُ ساطعةُ  
في الكونِ غيرُ حزازاتٍ وشحناءِ  
هناك لا حقدَ ترتاعُ النفوسُ له  
تُصبِي النفوسَ بأنوارٍ وأضواءِ  
ولا لهاثٌ من القومِ الأرقاءِ

\* \*

إذ ذاك نادى بصدري النفسُ قائلةً :  
بشرطِ أن تتني من عالمٍ كثرت  
«أيا سكنتَ تجدُ حكماً لإرضائي  
فيه الحزازاتُ من ظلمٍ وبغضاء!»

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٤

## الفضيلة

بَكَتْ وَهِيَ صَرَعى مِنْ هُمومٍ تَحِيقُهَا  
وَصَارَتْ تَوَالِي بِالشَّهيقِ أَنْيَنَهَا  
وَأَلَقَتْ عَلَى صَدْرِي مِنَ الْحَزَنِ رَأْسَهَا  
وَأَدْمَعُهَا كَانَتْ رَحِيقًا مَذُوبًا  
وَلَمَّا اسْتَبَبَّ النَّوْمُ فِي غُلْفِ عَيْنِهَا  
سَكَتٌ فَلَمْ أَلْهَثْ حَذَارَ تَنْهَدِي  
وَكَانَ ظِلَامُ اللَّيْلِ يَرِخِي سِدُولَهُ  
كَأَنَّ شُعَاعَ الزَّهْرِ فِي شَاسِعِ الْفَضَا  
فَقُلْتُ، وَفِي صَدْرِي مِنَ الدَّمْعِ بَرَكَةٌ  
إِذَا كَانَتْ الظُّلُمَاءُ فِينَا مَنِيرَةً  
أَحَقُّ بِنَا الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ  
وَفِينَا حَزَازَاتٌ إِلَى الْبَغْيِ تَنْتَمِي

\* \*

نَظَرْتُ إِلَى مَنْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهَا  
كَأَنَّ نَثَارَ الدَّمْعِ تَبَّرُ بَعِينَهَا  
فَأَلْفَيْتُ شَمْسًا لَا يَغِيبُ شُرُوقُهَا  
يَذُوبُهُ فَوْقَ الْعَقِيقِ مَرِيقُهَا



الفضيلةَ يمشي في المكاسيد سوقها  
كأنَّ ضلالَ العالمينَ طريقُها  
يحفَّ بها شوكُ الحنا ويحيقُها  
فنشَّرها مثلَ الدَّموعِ خريقُها  
يسامرُها بدرُ العفافِ شقيقُها  
فحجَّبا عن كلِّ عينٍ لصيقُها  
تناسى هواها الكلُّ حتى عشيقُها  
ولكنَّ قيودَ الظلمِ ليس يشوقُها

فقلتُ عزيزُ يا بني الشرقُ أنْ نرى  
تهم ولا تدري طريقَ نجاتها  
هي الزهرةُ البيضاءُ في عوسجِ الوري  
وقد عصفت ريحٌ عليها شديدةُ  
هي النجمةُ الزهراءُ في حدقِ الدجى  
ولكنَّ غيمَ الجهلِ لاصقَ نورها  
هي أبنَةُ آمالي ولكن سجينَةُ  
يشوق فؤادي أن يراها طليقةُ

\* \*

تردَّدَ في صدرِ الحياة زُهوُها  
إلى هوةِ الإعدامِ جاء يسوقُها  
وأعرضَ عنها في الحياة رفيقُها  
لذلك في كلِّ الظروفِ تُريقُها

عَفَّتْ ملءَ عينيها ، ولكنَّ روحها  
كأنَّ الذي أخنى عليها بجوره  
أشاح خيالُ الحبِّ عنها بوجهه  
فما وجدتُ إلا المدامعَ مؤنساءَ

في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٤

## إلى شاعر القطرين

ألا تبصرُ الأغصانَ بَلَلها القطرُ  
أطلت عذارى الشعر من فُرْجاتها  
أطلت وكانت هاجعاتِ عيونها  
كَأَنَّ نداءً من صديقٍ أَفاقها  
ولمَّا رآته حَدَقَتْ في جبينه  
ولم تقوَ عن مسكِ الدموعِ فأسبلتِ  
خليلُ، وفي تُربِ البلادِ شهادة  
أَجَلْ مقلّة الإلهامِ في عَرَصاتها  
هي الأسدُّ حال الصمتِ دون زئيرها  
لئن جنحت أرواحها عن لبانةِ  
فمالت سكارى لا رحيقَ ولا خمرُ  
لها من بنانِ العشبِ أَقلامُها الخضرُ  
يُدَوِّبُ في أَحلامِها ذلك السحرُ  
فهبت وفي سبائِها يَبْسُمُ البشرُ  
فأبصرتِ التذكارَ آلهُ الهجرُ  
على خدّها الورديَّ أَدْمَعُها الحمرُ  
هي المجدُّ باقٍ في بلادِك والفخرُ  
تجدُّ أثرَ الأفراخِ يا أيّها النسرُ  
فَسأَلْتُ ماقيها وليس لها زأرُ  
فما جنح المجدُّ المخلدُ والذكرُ

\* \*

بلادك هذي يا خليلُ فإنها حليتك الأولى إذا فخرت مصرُ

القصيدة التي وُجّهت الى خليل بك مطران في الحفلة التكريمية التي أقامتها له زحله .

فمن مائها رَوَيْتَ شَعْرَكَ رَيْقًا  
هنا ، تحت هذا الأرز ، تحت جلاله  
سجدت خشوع القلب في رَيْقِ الصبا  
فكم وقفةً في بعلبك وقفَها  
كموكب جنٌ قد أَطْلَ من الفضاء  
أما بعلبكُ اليومُ كالأمسِ زخرها  
أما برحت في لُبَّةِ المجدِ زهرةً  
فما تلکمُ الأنقاضُ إِلَّا حوادثُ  
وما الهبواتُ السودُ في جنباتها  
ألا فأنفضِ الأيامَ عنها بفكرةٍ  
لتُطْلَعَ «جويتارها» فهو رايضُ

وفي روضها شَبَّتْ قصيدتُك البكرُ  
وتحت غصونٍ ، قد تَفَيَّأها الدهرُ  
تناجي لهاثِ الأنبياءِ وقد مروا  
تراقب مسرى البدرِ تتبعه الزُهرُ  
ليشهدَ أَطْلالَ الردى وبه دُعرُ  
يكللُها في كلِّ دارسةٍ زخُرُ  
يقبلُها التاريخُ وهي له فجرُ  
على جبهةِ الأيامِ سَطَرُها السرُّ  
سوى عبرِ الأزمانِ تلفظُها الجدرُ  
هي النورُ من زيتِ النبوةِ والشعرُ  
«كنيرون» لكن ليس في صدره غدرُ

\* \*

وكم وقفةً في رُبْعِ زحلةٍ أَطْلَعْتُ  
فتنثرُ في الكرمِ طوراً ، وتارةً  
وفي قُطرِ مصرٍ ، كم تذكَّرتَ زحلةً  
لَدُنْ كُنْتُ مع صنوٍ صغيرٍ مغنِجٍ  
لَدُنْ كُنْتُ طفلاً ، والحبيبةُ طفلةً  
ونكهة عودِ المندلي شذِبةً  
فرحلة ما زالت ، وما زال نهرُها  
فأنشدُ كما أنشدت في سُحرةِ الهوى

عليك قريضاً دونه الماسُ والتبرُ  
على هَضْبِ الوادي ، يُشْتَتِهُ النثرُ  
فأبكاك «بردونيها» ذلك القطرُ  
له طلعةٌ حسناء يغبطُها البدرُ  
حواليكما حبٌّ ، وبينكما إصرُ  
على ضفَّةِ النهرِ الجميلِ لها نشرُ  
فذاك هو الوادي ، وذاك هو النهرُ  
فمن ذكرياتِ الأمسِ في زحلةٍ شطرُ

في ٥ حزيران سنة ١٩٢٤

## لي عاشق

لي عاشقٌ جلَّ قدرا      في العاشقين  
يَبِينُ في الليلِ بدرا      للساهرين  
وفي النهارِ شمس الوقارِ      تحت إزارِ  
من - ياسمينُ

يُلَمِّي له الحبُّ خَدَّه      من نَظَرَتَيْنِ  
وما الهيامُ فيه حرامُ      له قوامُ  
كالحرْبَتَيْنِ

فكم سقاني رُضا با      مِنْ مِرْشَفِيه  
وما دفعتُ حسابا      ولا جَنِيه  
وما لبثتُ حتى سكرتُ      ثم أَفْقْتُ  
بين يَدِيه

في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٥

## ضيّع القلب

ومليح أخذته صاحب  
هو لص أسكنته قلبي  
وجهه معبد للعذارى  
كتب الحسن آية عنه  
أتقن الله فنّه فيه  
فكأنّني لمّا أنتهى منه  
رغم سعي العذول والعاتب  
مع أنّي عرفتّه سالب  
ومصلّى، وشعره راهب  
بارك الله ذلك الكاتب  
وأجاد التنسيق في الحاجب  
مبدع الخلق ضيّع القلب

في ٥ آب سنة ١٩٢٢

## دعيني أموت

دَعِينِي أَنْدُبُ كَالشَّاهِدِ  
حَمَلْتُ الْهَوَى فِي قَوَادِي الضَّعِيفِ  
دَعِينِي أَمُوتُ فَإِنَّ الزَّمَانَ  
وإنَّ الدَّقَائِقَ قَدْ أَسْرَعَتْ  
دَعِينِي أَمُوتُ فَلِي فِي فَتَى  
قَطَعْتُ هَضَابَ الْحَيَاةِ صَغِيرًا  
دَعِينِي أَمُوتُ وَلَا تَنْثُرِي  
فَدَمَعُ الْهَوَى مِنْ بَنَاتِ الْخُلُودِ  
دَعِينِي أَمُوتُ فَحَظِّي التَّعِيسُ  
دَعِينِي أَمُوتُ فَصَخْرَ رَجَائِي  
وَمَا كُنْتُ أَوْمِلُهُ سَابِقًا  
فَلَسْتُ سِوَى عَاشِقٍ رَاحِلٍ  
فَأَثْقَلَ حَمْلُ الْهَوَى كَاهِلِي  
تَرَدَّدَ فِي قَلْبِي النَّاحِلِ  
بِصَدْرِي فِي سِيرِهَا الْعَاجِلِ  
تَحَمَّلْتُ فَوْقَ قُوَى الْحَامِلِ  
وَصَرْتُ قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ  
دَمُوعًا عَلَى هَيْكَلِ خَامِلِ  
فَلَا تَهْرَقِيهِ عَلَى زَائِلِ  
هَوَى مَعَ كَوَكِبِهِ الْآفِلِ  
تَحْطُمُهُ مَوْجَةُ الْبَاطِلِ!  
خُدَعْتُ بِهِ خُدْعَةَ الْجَاهِلِ

في ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠

## ذكرى الالام

يا مَنْ ترى الدنيا بثمرِ فتاةٍ إِيَّاكَ أَنْ تَمْشِي عَلَى خَطَوَاتِي

\* \*

فِي الشَّعْرِ شَهِدٌ، حُلُوهُ مَرٌّ وَلَكُمْ سَقَانِي ذَلِكَ الشَّعْرُ  
فِي مِرْشَفِيهِ يَنْطَوِي سُرٌّ يَخْفِي الدَّمْعَ وَيُظْهِرُ الْبَسَمَاتِ

\* \*

لَا تَجْتَهِدْ فِي الْأَرْضِ كَيْ تَرْتاحَا الْأَرْضُ لَيْلٌ لَا يُرِيكَ صَباحَا  
خُذْ فِي يَمِينِكَ دَائِماً مَصباحَا كَمَا يَقِيكَ غَوَائِلُ الْعَثَرَاتِ

\* \*

كَمْ قَدْ رَقَبْتُ مَطالِعَ الْأَقْمَارِ مَا مِنْ سَمِيرٍ لِي سِوَى أَشْعَارِي  
حَتَّى إِذَا حَطَمَ الْهَوَى قِيَارِي أَوْتارُهُ انْقَطَعَتْ عَنْ النِّغَمَاتِ

\* \*

لَمَّا شَعَرْتُ بِأَنَّ لِلْحُبِّ قَبْرًا جَوَانِبُهُ مِنْ التُّرْبِ  
وَارَيْتُ فِي أَعْمَاقِهِ قَلْبِي وَخَلَوْتُ بَعْدَئِذٍ لِتَذَكَارَاتِي

\* \*

جَسَدِي أَنَضْنِي لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَصْفُهُ وَالنَّصْفُ مُقْتَرَبٌ إِلَيْهِ حَتْفُهُ  
وَمِنْ الْهَوَى لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَرَفُهُ يَسْرِي إِلَيَّ ضَحَىٍّ مَعَ النَّسَمَاتِ

\* \*

بِالْأَمْسِ كُنْتُ فِي يَدِي كَاسِي أَرَعَى الْهَوَى فِي قَلْبِهَا الْقَاسِي  
وَالْيَوْمَ صَرْتُ فِي يَدِي رَاسِي أَذْرِي الدَّمْعَ وَأَطْلُقُ الزَّفَرَاتِ

\* \*

بِالْأَمْسِ كُنْتُ وَكُلُّ أَمَالِي مَطْرُوحَةٌ فِي صَدْرِهَا الْغَالِي  
وَالْيَوْمَ، وَأَسْنِي عَلَى حَالِي أَمَسْتُ، وَقَدْ بَلَيْتُ مَعَ الْأَمْوَاتِ

\* \*

يَا مَنْ نَرَى الدُّنْيَا بَشْغَرٍ فَتَاةٍ إِيَّاكَ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى خَطَوَاتِي

\* \*

إِيَّاكَ، أَسْيَافَ الرَّدَى مَسْلُولَةً وَقُلُوبَ أَصْحَابِ الْهَوَى مُقْتُولَةً  
أُنْظُرُ إِلَى حَالِي وَخِذْ أَمْثَلَهُ أَوْ مَا ضَلَلْتُ عَلَى طَرِيقِ حَيَاتِي

في ١ تشرين ٢ سنة ١٩٢٢



## أجد الشباب يلوح منتعشا

ضِيعْتُ فِي هِضْبِ الْهَوَى رُشْدِي  
وَسَعَيْتُ نَحْوَ الْمَجْدِ مَجْتَهِدًا  
أَجْدُ الشَّبَابَ يَلُوحُ مَتَعَشًا  
فِي كُلِّ لَيْلٍ جَارِ أَسْوَدُهُ  
بَعْدَ الْكُرَى عَنْ مَقْلَتِي كَمَا  
فَكَأَنَّ أَهْدَابِي ظَبْيٌ بَرَزْتُ  
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ، يَا أَبِي، وَأَنَا  
لَبَكَيْتُ عِنْدَ وَلَادَتِي نَدْمًا  
يَتَهَامِسُونَ عَلَيَّ مِنْ أَسْفٍ  
إِنْ كُنْتُ سِيفًا لِلْحَجَى، فَأَنَا  
أَرَدْتَنِي الْأَيَّامُ طَاعِنَةً  
وَأَنَا فَتَى مَا زِلْتُ أَجْمَعُ مِنْ  
عَاثِ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِي جَسْدِي  
وَيْلَاهُ! أَشْبَاحُ الرَّدَى قَرِبْتُ

وَفَقَدْتُ مَا أَبْقَى الْحَجَى عِنْدِي  
فَهَوَيْتُ دُونَ مَدَارِكِ الْمَجْدِ  
وَأَنَا نَحِيلٌ، أَصْفَرُ الْخَدِّ  
بَيْنَ الرَّدَى حَجَرَيْنِ مِنْ لَحْدِي  
بَعْدَ الْفَتَى الصَّادِي عَنِ الْوَرْدِ  
لِتَحُولَ دُونَ النَّوْمِ بِالسَّهْدِ  
طِفْلٌ، مَصِيرِي الْعَادِمُ السَّعْدِ  
وَحَنَقْتَنِي، وَأَنَا عَلَى مَهْدِي  
هُوَ سِيفٌ عَقْلٍ مَرَهْفُ الْخَدِّ  
لَمْ يَمْتَشِقْنِي الدَّهْرُ مِنْ غَمْدِي  
صَدْرِي بِأَسْيَافٍ لَهَا تُرْدِي  
رَوْضِ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى عَقْدِي  
بِمُخَالِبِ كَمُخَالِبِ الْأَسَدِ  
مَاذَا، سَعَادُ، تَصِيرُ مِنْ بَعْدِي

أُمَاهُ! أَيْنَ أَبِي، فَلْنِ لَهُ  
أَبِي، رَعَاكَ اللَّهُ، كَيْفَ تَرَى  
هَلْ كُنْتَ مِثْلِي يَائِسًا تَعِيًّا  
لَا بِأَسَ نَمَ، وَالرُّوحُ طَاهِرَةٌ  
عِنْدِي شُؤْنًا ضَيَّعَتْ رَشْدِي  
خَلَّفْتَنِي وَتَرَكْتَنِي وَحْدِي  
فَعَثَيْتَ فِي الدُّنْيَا عَلَى جَدِّي؟  
فَالَيْكَ وَجْدِي لَمْ يَزَلْ وَجْدِي

في ١٥ تشرين سنة ١٩٢٢

\*

## خاطرة

هذه الكائناتُ بادَتْ سِرَاعاً  
سَائِلِ الْكُتُبِ وَالتَّوَارِيخِ عَنْهَا  
لَيْسَ عَمْرُ الْإِنْسَانِ غَيْرَ مَنَامٍ  
قَصَفَتْهَا الْمُنُونُ قَصَفَ الْغُصُونِ  
وَأَقْرَأَ الْخَبَرَ فِي سَجَلِ الْقُرُونِ  
تَتَمَشَّى أَشْبَاهُهُ فِي الْعُيُونِ

## رثاء سليمان البستاني

لا تنوحى على ذهاب العميد  
إن قضى قائد اليراع شهيداً  
يا أبنَةَ الضادِ لا تنوحى عليه  
لا تخافى ألا توفيه حقاً  
نحن لم نخش أن يبدَ ولكن  
فسلمانُ غابَ عنا لُحيي  
يا أَميرَ الكلامِ أيّ ضريح  
عُدَّ للبنانِ فهو أرحبُ صدرًا  
عُدَّ إليه ميتاً فيمسي ثراه  
رُبَّ خلقٍ في جانبيكَ كريمٍ  
لم تُضاهِ الأعمى الإلهي<sup>(١)</sup> إلا  
ففقدت العينَ البصيرةَ حفظاً

فسلمانُ في ضميرِ الخلودِ  
فلقد دبَّ روحُه في الجنودِ  
فهو أبقى من ركنك المهدودِ  
ستوفي الدهور حقَّ الفقيدِ  
نحن نخشى من بعده أن تبدي  
في مواتِ الأجدادِ روحَ الجدودِ  
أنت تختارُ في الترابِ البعيدِ  
في ذراعيه حرمةَ للشهيدِ  
ببقاياك ذا فؤادٍ ودودِ  
يتمشَّى جلاله في الدودِ  
ورماك الأعمى بعينِ الحسودِ  
لمراعاةِ حرمةِ في اللحدودِ

\* \*

(١) هوميروس

يا رسولَ الفكرِ الجديدِ سلامٌ كم هديتَ العلى بفكرٍ جديدٍ  
إنما الفكرُ عالمٌ ما له حدٌ ، علا فوق عالمٍ محدودٍ

\* \*

وعبادُ هي العقولُ ، مقيمٌ فوق أطواذِها ، جلالُ الوجودِ  
إن تنوءَ بالحملِ الثقيلِ قهوي يسقطُ الكونُ بالضجيجِ الشديدِ  
والنفوسُ الكبارُ تشقى طويلاً بين جدرانِ صدرها المفتودِ  
هي مثل الطيورِ تحققُ حيناً ثم تقضي في سجنِها الموصودِ

\* \*

يا سليمان ، أيُّ نعشٍ مجيدٍ حلَّ فيه جلالِ صدرِ مجيدٍ  
ذلك النعشُ يا أولي العلمِ قدسٌ فخذوه ذخائراً للجيدِ

\* \*

لامس الموتُ قلبه فهنيئاً لأصابعِ قبضتيه السودِ  
وهنيئاً للشربِ يلثم جفنيهِ هـ ويهوي على جمالِ الخدودِ  
كتبَ الله في مصاحفِ خديهِ هـ سطوراً شريفة من نشيدِ  
فاقرأوها وأجثوا لديها خشوعاً كجثو العبيدِ للمعبودِ  
حجة العلمِ والسياسة في الما ضي وركنٌ من الكرامِ الصيدِ  
شبٌ طفلاً على محبة لبنا نَ فكان الإخلاصُ فرضَ العميدِ

أَفَدَّتْهُ الْبِلَادُ لِلذُّودِ عَنْهَا فِي فُرُوقٍ، فَكَانَ فَخْرَ الْوُفُودِ  
وَأَصْطَفَاهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رِجَالِ عَبْدِ الْحَمِيدِ  
يَا أَمِيرَ الْحِجَى أَفَاقَ الْعَذَارَى مِنْ سُبَاتٍ بِجَفْنِهَا مَعْقُودِ  
وَأَعَدَّتْ وَلَانِمْ الْعَرْسِ فِي الْخُلْدِ وَزَفَّتْ إِلَيْكَ بِنْتَ الْخُلُودِ

في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٥

\*

## خاطرة

سَعَادُ كَلَانَا فِي الْحَبَّةِ شَاعِرٌ إِذَا مَا هَوَيْنَا فَالشَّوَاعِرُ ثَابِتَةٌ  
وَلَكِنْ فَرَقًا بَيْنَنَا وَهُوَ أَنْتِي أُعْبِرُ عَنْهَا بَيْنَا أَنْتِ سَاكِنَةٌ  
فَدَمْعِي شَعْرٌ يَقْرَأُونَ سَطْوَرَهُ وَدَمْعُكَ آيَاتٌ مِنَ الشَّعْرِ صَامِتَةٌ

في ٦ حزيران سنة ١٩٢٣

## دمعة على عذراء

حلم صاحب الديوان أنه دخل قصرًا فخماً في وسط غابة فشاهد فتاة مائة ممدة على مرتبة في وسط قاعة كبيرة، والنور ينبعث من خدّها الأيمن، فقال يرثيها وهو في الحلم:

قضتُ وهي بعد اليوم، ترقد وحدها	فمن تركت في الأرض للنوح بعدها
أوالدة تُفني عليها الدموع، أم	حيياً سقته قبل ذلك ودّها
كأنّي برّبي حين أكمل صنعها	تملكه حبّ، فقبّل خدّها
وأدهشه منها جال متيمّ	أثار به نار الهوى فاستردّها

في ١٧ آذار سنة ١٩٢٣

## ليس في كسروان سلاح

نحن بتنا مستعبدين ولكن  
مستقلين بالخمول وبالذلّ، سكا  
أيها الفارض السلاح علينا  
ليس في كسروان قطّ سلاح  
ليس في كسروان إلّا لحاظ  
مستقلين في بلاد المرضى  
رى، يعضّنا الجهلُ عضّا  
كيف، بالله، تستحلّ الفرضا  
ليس في كسروان سيفٌ يُنضى  
هي أقوى من السلاح وأمضى

في ١٤ ت<sup>١</sup> سنة ١٩٢٣

---

«نظمت بمناسبة جمع السلاح من كسروان».

## مات حسونها

أَلْفَيْتُهَا وَمِنَ التَّحْسُرِ لَا تَعِي  
فَكَأَنَّهَا وَالِدَمْعُ يَخْطِفُ صَوْتَهَا  
فَسَأَلْتُهَا عَمَّا يَشِيرُ شَجَوْنَهَا  
فَإِذَا بِهَا رَفَعَتْ لَطَافَةَ رَأْسِهَا  
وَرَنْتَ إِلَى قَفْصٍ هُنَاكَ مَعْلَقٍ  
فَحَزَرْتُ أَنَّ الدَّهْرَ سَلَّمَ طَيْرَهَا  
تَذَرِي الدَّمْعَ وَحِيدَةً فِي الْخَدَعِ  
رَمَزُ التَّعَاسَةِ فِي الزَّمَانِ الْمَوْجِعِ  
وَعَلَامٌ تُطْلِقُ زَفْرَةَ الْمُتَفَجِّعِ  
بِشَخْشَعٍ أَوْحَى إِلَيَّ تَخَشُّعِي  
بِمَحَاجِرٍ غَرَقَتْ بِمَاءِ الْأَدْمَعِ  
لِيَدِ الْحِمَامِ ، فَطَيْرُهَا لَمْ يَرْجِعْ

\* \*

قَالَتْ فَقَدْتُ مِنَ الْحَيَاةِ مَوَاسِيَاً  
فَإِذَا تَغَنَّى بِالزُّهُورِ وَبِالنَّدَى  
وَأَلْهَفَ قَلْبِي أَيْنَ مِنْهُ قِصَائِدُ  
بَلْ أَيْنَ مِنْهُ الْمُوصِلِيَّ وَصَوْتَهُ  
وَأَلْهَفَ قَلْبِي كَيْفَ وَارَاهُ الثَّرَى  
أَوَلَمْ يَكُنْ لِي فِي حَيَاتِي مَوْئِسَاً  
يَا طَالَمَا أَوْحَى الْهَيَامَ لِأَضْلَعِي  
كَيْفَ الْهُوَى لَغْنَاهُ لَمْ يَتَسَمَّعِ  
لَمْ يَرْوِهَا حَتَّى بَيَانُ الْأَصْمَعِي  
وَلِسَانُ مَعْبِدٍ بِالْغِنَاءِ الْمُبْدَعِ  
وَأَنَا هُنَا أَحْيَا بَعِيشٍ أَمْرَعِ  
يَلْهُو بِهِ قَلْبِي وَيَطْرُبُ مَسْمَعِي؟



ماذا جنى الحسونُ في جنحِ الدجى  
 لأنه هجرَ الحقولَ وبردها  
 فأجبتها كَفِّي البكا وتَصْبِرِي  
 لكنما أصغى لما سأقوله  
 كم رددت في مسمعيكِ مراشفي  
 فنبذتها وحدث ما رددته  
 ما جاء حتى تسجنيه وإنما  
 فجعلته بين الحديدِ مقيداً،  
 حتى أُصيبَ بسهمِ ذاك الأسفحِ  
 وأتى يغردُ في زوايا مخدعي  
 فالطيرُ مات ولم يعد من مطمعِ  
 فبموته عظةٌ لكلِّ ملّوعِ  
 حرّيتي يا مِيٍّ أئمنُ ما معي  
 وصنعتِ بالحسّونِ أفضعَ مصنعِ  
 حتى تقيهِ شرَّ فقرٍ مدقعِ  
 يا حرّةً قيّدتِ حرّاً، فأنزعي

\* \*

لو يفقهُ الإنسانُ معنى شرّه  
 لبكى طويلاً بالدموعِ الهمّعِ

في ٤ كانون<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٣

## نرجيلتي

قضيتُ هزيعين من ليلتي  
وكانون في خارج الدار يبكي  
وضعتُ على ركبتيَّ «حراماً»  
إذا برباح من الباب هبتُ  
فلما أحاطتُ بي الدامسات  
تبسم ثغرُ لَنرجيلتي  
فما كان أجملَ من ثغرها  
تحفّ بتنبكها زرقه  
ولكن رأيتُ بها جاذباً  
فقرّبتُ من نارها مرشني  
ولو لم يكن ثغرها محرقاً  
لأنّي لم أدِر ماذا بها  
قلّتُ لها إنّ بي لوعة  
فأسمعني صدرها زفرا  
وحيداً أسامرُ نرجيلتي  
فيشتدّ فيه دجى الظلمة  
وصرتُ أنغمُ في فرشتي  
وأطفأتُ النورَ من شمعتي  
وبطن أسودها حجرتي  
كعبدٍ تبسم في العتمة  
وما كان أعجبَ من حيرتي  
تحاكي مراشفَ نورية  
يحرك في داخلي صبوتي  
وأسمعتها «تقسّة» القبلة  
لكنّ أمتصصتُ من الجمرة  
من العذب يشبهُ محبوبتي  
وأطلقتُ في جوفها زفرتي  
أثارتُ شجونِي في مهجتي

أَبْنَةَ طَهَّازٍ لَمْ تَزْفَرِينَ وَأَنْتِ أُنَيْسِي فِي وَحْشَتِي  
رَأَيْتُكَ رَمْزاً لِكُلِّ شَقِيٍّ رَمَاهُ الْهَوَى فِي لُظَى الشَّقْوَةِ  
أَجَابَتْ أَنَا الْآنَ فِي نِعْمَةٍ لِأَنَّ حَيِّي فِي نِعْمَةٍ  
وَلَكِنِّي بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ أَغَادِرُ وَحْدِي فِي خُلُوتِي  
فَيَسْبَعُهُ عَنِّي ثَغْرُ مُحَيٍّ وَيَسْلُو الَّذِي كَانَ مِنْ لَوْعَتِي  
لِذَاكَ تَرَانِي أَبْكِي زَمَاناً سَأَصْبِحُ فِيهِ بِلَا زَهْوَةٍ  
فَإِنَّ الْهَوَى صَدَقَهُ كَاذِبٌ يُشَبِّهُهُ الْعَقْلُ بِالنَّجْمَةِ  
فَلَا يَقْبَلُ الْفَجْرُ حَتَّى تَرَاهَا أَمَامَ عَسَاكِرِهِ وَلَّتْ

\* \*

وَإِذْ ذَاكَ رَاوِدَ جَفْنِي النَّعَاسُ فَأَطْبَقَ أَنْفُلُهُ مَقْلَتِي  
وَلَمَّا اسْتَبَّ الْكَرَى فِي جَفُونِي شَاهَدْتُ فِي الْحُلَمِ نَرْجِيلَتِي

في ٥ شباط سنة ١٩٢٣

## انزعوا قلبي فاستريح

انزعوا مِنِّي قلبي      رحمةً، كي أستريحُ  
فأنا، ما زال حُبِّي      نامياً، أبقى جريحُ

\* \*

أيها الهائمُ في هذي الفلاةُ      أين تنوي أين  
دائماً أَلْفاكْ تذري العبراتُ      كاسرَ الطرفينُ  
إمسحِ الدمعَ فلا تُروي الحياةُ      دمةَ العينينِ !  
أهجرِ الكونَ فصباحُ الوجودِ      ليسَ فيه زيتُ  
وأطلبِ الأنوارَ في مأوى الخلودِ      في قصور الموتِ

\* \*

انزعوا مِنِّي قلبي      رحمةً، كي أستريحُ  
فأنا، ما زال حُبِّي      نامياً، أبقى جريحُ

\* \*

أيها الحاملُ قيسارَ الشبابِ  
لم تعدْ ترشفُ ذِيَّكَ الرضابُ  
أصبحتْ تلك الأويقاتُ العذابُ  
سئمتْ نفسي أنوارَ الصباحِ  
كلُّ ما فيه بُكاءٌ ونواحُ  
قطَّعَ الأوتارُ  
بسوى التذكُّارِ  
مثلَ حلمٍ سارِ  
في حمى الحدَّثانِ  
تشهدُ الأجفانُ

\* \*

إنزعوا مِنِّي قلبي  
فأنَّا ما زال حُبِّي  
رحمةً، كي أَسْريحَ  
نامياً أبقي جريحَ

\* \*

أنتِ يا روحَ الماتِ الهائمةُ  
لامسي عين غرامي النائمةُ  
وأجثسي فوقَ قَوادي لاثمةُ  
علَّه إنَّ يستفيقُ من سكرتهُ  
ويرى الحُبَّ الذي في خمرتهُ  
يا عروسَ النورِ  
في مغاني الحورِ  
ظلمةُ الديجورِ  
يهجر الأيَّامُ  
كلَّه أوهامُ

\* \*

إنزعوا مِنِّي قلبي  
فأنَّا، ما زال حُبِّي  
رحمةً، كي أَسْريحَ  
نامياً، أبقي جريحَ

في ١٦ شباط سنة ١٩٢٣

## ما أنت من تراب

— ١ —

أجفنُ أم الخدُّ القاني لا أعلمُ أيَّهما الجاني  
فعلى الحالين، الإثنانِ هدمًا في صدري بنياني  
وشرعتِ عليه تبينا

— ٢ —

بنيانك راسخُ آساسِ يا سلمى في صدرِ الياسِ  
شدَّته الجنُّ بأمراسِ فغدا بنيانُ الأتعاسِ  
جبلًا قد ضارعَ صنيِّنا

— ٣ —

لكِ خدُّ مثلُ الوردِ ندي ما مرَّ عليه غيرُ يدي

لكن لا أعلمُ بعدَ غدٍ إن كانَ سيأتي من جُدَدٍ  
ليقولوا لي: «شرفتونا»

— ٤ —

فهواكِ لقد نالَ السبقا بسواه لساني ما أنطلقاً  
وفؤادي قبلاً ما عشقا لكن مدّ مرّ به علقا  
فكأنّ هواكِ «كرتينا»

— ٥ —

لا أبرحُ أذكرُ ما قلتِ من حفةٍ تربٍ ما أنتِ  
أنصفتِ بقولكِ أنصفتِ فمن الأزهارِ لقد جثتِ  
وإلى الأزهارِ تعودينا

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٣

## وإني فتى حر

أبى الحظُّ إلا أن يُصارِعني دهري  
حملتُ على ظهري صليبَ تعاسي  
وما زلتُ حتى اليومَ في ميعَةِ العمرِ  
ولم أحسُ من كأسِي سوى الخلِّ والمرِّ

\* \*

يقولون عني إنني متطرّفٌ  
ولا أنظمُ الأشعارَ إلا لأنني  
ألا أين ما يدعون مني تطرّفًا  
وماذا تريدُ الناسُ مني فإنني  
أألجمُ عن حقِّي لسانِي أم تُرى  
وإني فتى حرٌّ أسيرٌ على هُدًى  
بنيتُ مع الأحرارِ جسرًا ممنعًا  
ولي مبدأ أعمى جعلتُ به فخري  
أوملُ بالأشعارِ أن يرتقي قدرِي  
ورائدُ فكري الصدقُ في السرِّ والجهرِ  
أرى البعضَ منهم قد رمانِي بالسخرِ  
أُقيدُ نفسي أم أبيعُهُم فكري  
ضميري ولا أهوى سوى الرجلِ الحرِّ  
دعوني بحقِّ الله أمشي على جسري

أنشدها صاحب الديوان في الحفلة التكريمية التي أحيّا نقابة العمّال في زحله للريحاني والرضافي.



فما حاقراً قولَ الحكيمِ ورأيه  
ولا أنظمُ الأشعارَ للمجدِ والعلی  
تمرّ على قيثارتي نفحةُ الأسى  
رأت عينيَ الدّنيا فأذرت دموعها  
إذا ما حكيتُ الصدقَ، وهو فضيلةُ  
ولم أرَ في الدّنيا عذيراً مدافعاً  
تجنّبهُ كلُّ الشعوبِ لأنه

\* \*

تعالی فتاةُ الحبِّ نجتنبُ الريا  
تعالی، ففي عينيك طيفُ سعادتي  
وهات لي القيثارَ، مؤنس وحشتي  
فتقطع ليلَ العمرِ بالأنسِ والغنا  
دعي الغيرَ نشواناً بخمرة جهله  
دعيه، دعيه وأتبعيني بعزة  
هنالك حيثُ الصفو يؤنسُ حبنا  
ولا نطی الحقُّ الصريحُ برجلنا  
هناك ترينَ الصدقَ يزهرُ روضه  
وإذ ذاك ألتی في ذراعيك هامتي  
تعالی، تعالی فالملائکُ کلّها  
وإن داهمتنا في الحجةِ ظلمةُ

\* \*

فتى الشرق والريحان في الشرق نابتُ  
لقد طالما كنتَ الأمينَ وطالما  
رأيتك في بغدادَ روحاً حزينة  
وتذرفُ دمعَ الحزنِ في قطرِ يعربِ  
أَمَعروفُ شطراً من فؤادي أذبتَه  
ألم ترَ لبناناً يثنُّ ويشتكِي  
لقد كانَ ليثاً في المهماتِ أظفراً  
لذلك أبكيه بدونَ تصبُّرٍ

يفرقُ من أوراقِه أرجَ العطرِ  
نذرتَ له حُباً وقد قتتَ بالندِرِ  
تُطلُّ على لبنانَ من كوةِ الدهرِ  
فتأتي به الأرواحُ من ذلكَ القطرِ  
وكم مرةً ذوّبتَ قلبي في شطرِ  
ويحيا بلا صبرٍ على لهبِ الجمرِ  
وها إنه ليثٌ ولكن بلا ظفرِ  
أما كنتَ تبكي في العراقِ بلا صبرِ

في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٣

## فوق المقبرة

العمُرُ قصرٌ نحنُ بينَ رِحابِهِ  
والمرءُ إنْ يفخرُ بأنسابِ له  
ما الجسمُ في هذا الوجودِ سوى بلىٍّ  
من عهدِ آدمَ، والضريحُ مهياً  
كلُّ يغيبه الزمانُ إلى الهبا  
والكائناتُ لدى الردى أُلوبةٌ  
ما مذهبُ الدهريِّ ذا لكنّا  
كم من عصورٍ قبل آدمَ أدبرت  
وعقيدةُ الإنسانِ راسخةٌ به  
لو كانَ يقرأُ في الأثيرِ كتابه  
كم من دياناتٍ تمثَّتْ في الورى  
ولسوفَ أديانُ تحرَّبَ ديننا  
ما هذه الدُّنيا سوى بحرِ طمى  
والموتُ منتصبٌ على أبوابِهِ  
فالتُربُ والديدانُ من أنسابِهِ  
تمشي العصورُ على أديمِ تِرابِهِ  
وجميعُ هذا الخلقِ رهنُ طِلابِهِ  
وكذا الزمانُ يحينُ يومُ غِياهِ  
حتى الخلودُ يصيرُ من أَلابِهِ  
هو مذهبُ العقلِ الحكيمِ النابِ  
ومضى بها النسيانُ عندِ إِيابِهِ  
حتى يحجِّبَه الردى بحجابِهِ  
لرأى الحقيقةَ في سطورِ كتابِهِ  
ذهبَ الزمانُ بها قُبيلَ ذهابِهِ  
وتقومُ للأَيامِ فوقَ خرابِهِ  
صدفُ الحياةِ تعومُ فوقَ عبابِهِ

هذا يحفُّ به الغنى في راحةٍ      ويعمُّ ذا فقرٌ جزاً أتعابه  
إن كان جبارُ الطبيعةِ عادلاً      أين المساواة التي بحسابه  
أترأه قد خلقَ العوالمَ وأكتفى      بصنيعه فأرتاحَ فوق وثابه

في ٢٠ أيار سنة ١٩٢٣

\*

## خاطرة

لا أرى في الهوى عليك رقيقاً      فأخدعي الحبَّ وأسترقِّي القلوباً  
سبينُ الخداعُ في الحبِّ يوماً      إنَّ في مقلتيك سرّاً رهيباً  
منذ عهدٍ مضى بقربك عذباً      كنتُ في شرعكِ الغزالَ الربيباً  
صرتُ أخشى منك انقلاباً وأخشى      أن يصيرَ الغزالُ، يا ميُّ، ذيباً

في ١٥ تشرين سنة ١٩٢٣

## إلى لورانس

— عن لامرتين بتصرف —

يا ملاك الماضي ورمز فؤادي  
طالما قد بحثت عن شطر نفسي  
أنت تحيا، أوّاه أيّ حياةٍ  
سكب الطهرُ في فؤادك نفساً  
أترى أنت ذاكرٌ يوم كنّا  
ونشيد الغدير في الليل شعراً  
عدّ إلى الله يا مسبّب تعسي  
ربّ! ما كنتُ حافظاً غير رسم  
عدّ إلى الحبّ لا تظّل بعيداً  
وإن اخترت أن تعمّد أيضاً  
آه لورانس كم رأيتك في حلم  
قربك الزوج باسماء بهاء

كيف أمسيت مسكناً للفسادِ  
باكياً فيك مهجتي وودادي  
لم يكن ما نظرته باعتقادي  
ليس حتى تبيعها بالمزادِ  
نتلهّى بنغمة الأعوادِ  
مزج الحبّ وحيه بمدادي  
لا تخضبّ مستقبلي بالسوادِ  
لا تكدر ألوانه في فؤادي  
كيف يُهني لك الحياة بُعادي  
فدموعي وقف لهذا العبادِ  
لياليّ مثل زهر الوادي  
وحواليك أجملُ الأولادِ

## إلى الشبح الباكي

— صاحب الكوخ الأحمر —

شبحَ الدموعِ تمصّك الأتراحُ  
ماذا تؤملُ من رحيقِ فاسدٍ  
هذا الوجودُ جنيّةٌ مرغوبةٌ  
هذا الوجودُ مشانقٌ نُصبتُ لنا  
أو ما ترى الفلاحَ بعدَ جهادهِ  
فكأنَّ إكرامَ الفقيرِ محرّمٌ  
تلكَ الجفونُ وقد ذرفت دموعها  
إن كانَ ذرفُ الدمعِ يُصلحُ أمةً  
هونٌ عليكَ فكلُّنا أشباحُ  
قد زخرفت ألوانهُ الأقداحُ  
قد غرَّ فيها آدمُ، التفاحُ  
والظلمُ في ساحاتها السفاحُ  
يلقى الشقاءَ لأنه فلاحُ  
وكانَ إكرامَ الغنيِّ مُباحُ  
أبرودُ خلفَ سجونها الإصلاحُ؟  
فدامعُ في أُمّي ونواحُ

\* \*

في دمعِ التّعساءِ سرٌّ كامنٌ  
تلكَ المباني سوف تهدم ركنها  
أذِرِ الدموعَ فما الدموعُ سوى ندى  
ما الدمعُ إلا الراح في كأسِ الورى  
هو خلفَ ليلِ الظالمينَ صباحُ  
من عاصفاتِ حياتنا الأرواحُ  
هذي الحياةُ ، وعرفهُ قباحُ  
وستسكر الأكوانَ هذي الراحُ

يا مَنْ طلى بدمِ الفقيرِ عروشهَ      ونراه يجلس فوقها يرتاحُ  
هذي العروضُ جاجمٌ مرصوفةٌ      في جوفها تتمردُ الأرواحُ

\* \*

رأيتك يا شبحَ الحزنِ تبكي      وما في الوجودِ سوى المفتري  
إذا كنتَ تنشدُ تلكَ العدا      لَهْ فَأذهبِ إلى كوخِكَ الأحمرِ

\* \*

كم قد رأيتك، والظلامُ مخيمٌ      تنسلُّ تحت سدوله الآثامُ  
تشدو على القيثارِ أنغامَ الأسى      فتجيبك الأوجاعُ والآلامُ  
إذهب لكوخِكَ، فالسلامُ مجسمٌ      فيه، وما في ذا الوجودِ سلامُ  
إذهب إليه فسوف تأتي ساعةٌ      فيها تعضُّ بنانها الظلامُ  
إسهر على تقويضِ أركانِ الريا      وأتركْ عيونَ الأغنياءِ تنامُ  
أرواحهم بالمالِ تحلمُ، طالما      قد أزعجتهم هذه الأحلامُ

\* \*

رأيتك يا شبحَ الحزنِ تبكي      وما في الوجودِ سوى المفتري  
إذا كنتَ تنشدُ تلكَ العدا      لَهْ فَأذهبِ إلى كوخِكَ الأحمرِ

في ٤ آب سنة ١٩٢٣

## إلى مصر

خففتُ إلى أوجِ العُلى بمقاصدي  
وكم في رُبى لبنان من ذي مكيدةٍ  
يقولون عني عند أولِ نظرةٍ  
أُصيبَ بمسٍّ من جنونِ مزاويلِ  
كأنَّ العُلى في مضربِ النجمِ رابضٌ  
فينظمُ فيه للوجودِ قصائدًا  
فأرجعني صفرَ اليدينِ حواسدي  
وما رائدُ الحسادِ غير المكائدِ  
هو الحزنُ في جسمٍ من السقمِ واردٍ  
يُراىُ بالعينين نحو الفراقدي  
يُخال إليه هابطاً بقلائدِ  
ألسنا نراه ذائباً في القصادِ

\* \*

أجل ، إنني للمجد أسعى وموطني  
وفيه رجال كالأساودِ شيمه  
يقصّر عن إدراكِ مجدي ساعدي  
وماذا أرجي من سمومِ الأساودِ

\* \*

رأني خريداً، عندها من جاهها  
منهدةُ الدينين ، باسمه اللمي  
فقلت : لماذا لا نرى لك بسمه  
كأنك مولود لتلبث شارداً  
طلائعُ ، ليست في الحسانِ الخرائدِ  
وليست على ضعفِ الثديِ النواهدِ  
تعودك الدنيا على ذي العوائدِ  
وما راقَتِ الأكوانُ يوماً لشارِدِ



فقلتُ لها: لا أعرفُ الخبثَ والريا  
وُلدتُ وفي صدري مزيجٌ من العُلَى  
إلى مصرَ رَحلي يا أبنَةَ الجارِ إنني  
ففي أَبطَحِ الأهرامِ ييسمُ لي غدُ  
لقد حانَ بُعدي عن بلادِ خبرتها  
فيا حَبِّدا تلكَ الكنانةَ مورداً  
هناك أبو الخيراتِ فيه فوائدُ  
وليس يضيعُ السعيُ فيه لجاهدٍ  
غدا وطنُ الأحرارِ سلعةَ تاجرٍ  
وللحرِّ آمالُ يراها مشاهداً  
هو الحرُّ في لبنانَ أصبحَ جانياً  
تبيدُ مبادي الكلِّ مع كلِّ بائدٍ  
زهدتُ بلادي، فأتركي لي لبانةً  
لعلَّ بلادي إن رأتني نائياً

لأسلكَ مع رهطِ بلبنان، فاسيدِ  
وما رائدي إلا كرائدِ والدي  
سأتركُ أهلي في الحمى غير واجدِ  
وإنَّ هنا يومي يجورُ على غدي  
وكم راق عيشٌ للفتى المتباعدِ  
تحدَّرَ فيها النيلُ عذبَ المواردِ  
تفيضُ على مَنْ جاءه للفوائدِ  
وكم ضاعَ في لبنانَ سعيُ لجاهدٍ  
تُباعُ وتُشرى خلصةٌ في المعابدِ  
تريه بأمِّ العين أنكي المشاهدِ  
يجورُ عليه ظلمُ تلكَ العقائدِ  
ولكنَّ مبدا الحرِّ ليس ببائدٍ  
أمدُّ إليها في شسوعِ المدى يدي  
نحنُ إلى مرأى الهوى في نشائدي

في ٢٧ آب سنة ١٩٢٣

## الفقير

كم سهرتُ الساعاتِ في الظلماءِ      أرصدُ النُجمَ في فسيحِ الفضاءِ  
وزفيرُ الفؤادِ يعلو تباعاً      فتوافيه مُقلتي بالبُكاءِ  
شاعرُ الحبِّ قيل عني قبلاً      لكن اليوم شاعرُ البؤساءِ

\* \*

بسمَ المرجُ للريِّعِ وجفتُ      أدمعُ الغيثِ في عيونِ الشتاءِ  
وتعالى عَرَفُ الأزاهرِ لَمَّا      أنفرتِ عن مباسمِ العذراءِ  
قربِ ذاكِ الغديرِ في المرجِ طيفُ      شاحبُ الوجهِ بارزُ الأعضاءِ  
نسجَ الجوعُ فوقَ عينيه سترًا      لا نراه في أعينِ الأحياءِ  
يتخطَّى إلى الأمامِ قليلاً      ثم يعدو بسرعةٍ للوراءِ  
فكأنَّ الحمامَ يبحثُ عنه      وهو يرجو النجاةَ بالالتجاءِ  
بائسٌ، والحياةُ تأنفُ منه      كبقايا الحطامِ في الدماءِ  
إنَّه بدعةٌ من الله ، لكن      أنكرته جماعةُ الأغنياءِ  
لا عزاءَ ينسيه بعضَ عذابِ      في ليالي شقائه السوداءِ  
غيرُ نُجمِ الفضا تطلُّ عليه      كعيونِ السما، من العلواءِ

حاملاتٍ سرَّ الحياةِ غريباً  
يتعزَّى إذ ذاك بعض عزاءٍ  
تارةً يسمعُ الغديرَ يغني  
وغناءُ الغديرِ ماءً قراحُ  
تراءى له الكواكبُ طوراً  
فيمدُّ اليدين لهفاً إليها  
طرده مدينة الفحشِ والظلم  
ذلك المهبط الذي عاش فيه  
فبرى فيه روح سرّ الضياء  
ما تراه يفيدُ بعض العزاء  
فيوافيه صوته بالغناء  
وغناء الفقير رجوُ غذاء  
كدنانير أقيت في الهواء  
غير أن الفضا من البخلاء  
سم فآواه مهبط الفقراء  
هوميروس الكبير في الشعراء

\* \*

حشرجت روحه صباح نهار  
وعلى الزهر أدمع من عيون الـ  
فكان الدموع، مضطربات  
تصرخ الله في الأعالي انتقاماً  
بعذاب فقائها في المساء  
فجر ما جففت بنور ذكاء  
في الليالي، مرأشف الضعفاء  
من أولي الجور من أولي الإثراء

\* \*

أعربي يا مدينة العار إن الـ  
هو مأوى الزهور، والزهر طهر  
أعربي يا جهنماً فوق أرض  
فالشياطين من بني الأرض أقوا  
كشّر الإثم في الوجود فيا ربّ ترحم وأعطف على التعمساء  
هل خلقت الغني للمجد؟ والبائس أوجدته، ترى، للشقاء  
مخرج مهدّ لدولة الأنبياء  
نثرته في المرج، روح السماء  
ما رأينا فيها سوى الفحشاء  
م هم سادة من الزعماء

في ٢٧ أيلول سنة ١٩٢٣

## المجدلية والمسيح

غسلَ البدرُ بالضياء الظلاما  
ومشي النُّجمُ خلفه بنحشوع  
وحشة الليل ، والسكينة والصمم  
فكأنَّ الوجودَ أنطقه الحز  
والفضا شاخصٌ إلى الجبلِ العا  
فتُجيبُ الربوعُ بالصمتِ والدم  
ماتَ فوقَ الصليبِ مَنْ كان يهوى  
فصليبُ الآثامِ ما زال حياً

وبكى ، والدموعُ كانت هياما  
فكأنَّ النجومَ صارت يتامى  
تُ ، ومُرُّ النسيمِ ، كان كلاما  
نُ فجاءت ألفاظه آلاما  
لي ينجي الربوعَ والآكاما  
عِ ولا تنبسُ الشفاهُ احتراماً  
ويرى الحبُّ للنفوسِ سلاماً  
وصليبُ السلامِ صار رُغاماً

\* \*

ما وراءَ الأدغالِ مرَّ خيال  
كان يمشي الطريق مهلاً ولكن  
هذه مجدلية الحزن جاءت  
طالما في الحياة غذته بالحد  
إنَّ للموتِ مهجةً وفؤاداً

حمَّلَ القلبَ أدمعاً وكلاماً  
عندما قاربَ الصليبَ ترامى  
تطرحُ الحبُّ للمسيحِ طعاماً  
بُ وروته من هواها مداماً  
ينشدان الحياة عامماً فعاماً

جوفها أنملُ السماء غراما  
فبكت أدمع الهيام سجاما  
ورأت فوق وجنتيه الجِماما  
شبح الروح دامعاً بسّاماً  
قلب حناء خافقاً مستهاماً  
لغرامٍ، رأى الحياة سآماً  
قد أعدّ الخلود فيه مناماً  
أبْظلم قد نفّذوا الإعداماً  
ما لهم عزّزوا بك الآثاماً  
أن تبُلّ الدماء منها أواماً  
حملت في شعاعها الأياماً  
مُطبقاتٍ على الجلال الكياماً  
مُنشداً في نحيبه الأنغاماً  
ورويداً تطاردان الأناماً  
فلإذا فورقت تصيرُ أيامى  
خيمة الحب بين زهر الخزامى  
سنّ فيها لنا الغرامُ نظاماً

لا تموتُ القلوبُ إن سكّبت في  
نظرتُ نظرة الوداع إليه  
ورأت من جبينه، الجرح يدمي  
ورأت، يا لهول ما قد رآته،  
شبح الحبّ حاملاً في يديه  
هو رمز لقلب مريم، رمز  
فتواري ينام في الموت لكن  
صرخت مريم بقلب جريح  
جثت توحى روح السلام إليهم  
يا حيبي، إجعل جروح فؤادي  
فأرويك من دمائي بكأسٍ  
يا حيبي، ما للزهور حزاني  
والغدير المنساب يجري رهيباً  
ما لعيني تغشيان رويداً  
آه، إنّ العيون بالحبّ تحيا  
سأوافيك عن قريب فهبي  
فتعيد الزهور ذكر حياةٍ

\* \*

فإذا الشوك قد تخطّى العظاما  
هـ من المصل والدماء لثاماً  
ت بكياً ، والدمع كان هيّاماً

عند هذا رأس المسيح استقاما  
والجبين المشوك ينسج للوج  
ويجنح الدجى أفاق من المو

وَلَدُنْ أَبْصِرِ الْحَبِيبَةَ تَبْكِي أَطْبَقَ الْجَفْنَ فِي الْخُلُودِ وَنَامَا !!

بعد عشرين جيلاً :

في سماءِ الخلودِ خيمةُ زهرٍ	حيث عيسى ومريمٌ قد أقاما
خيمةٌ للهوى يبطنها الحُـ	بٌ ويأبى وجودها الإنصراما
نعمَ العاشقانِ فيها طويلاً	وتناسى قلباهما الأسقاما
فغداً الساعاتِ كانت خلوداً	أبدياً، ولم تكن أحلاما
وأستفاقَ المسيحُ من سكرةِ الحُـ	بٍ يخالُ السماءَ أمست ضراما
فرأى الكونَ باضطرابٍ عظيمٍ	ورأى في شعوبِهِ الإجراما
سنةَ الظلمِ سار كلُّ عليها	وغدا العدلُ شِرةً وغراما
وأستمرَّ اللثيمُ في حوبةِ اللؤـ	مِ فأمست كلُّ الشعوبِ لثاما
فرَّقَ الناسَ دينُهم، لا سلامٌ	يجعلُ الرفقَ بينهم، والوثاما
فسلامُ الوفاقِ صار حروباً	وصليبُ الوثامِ صار حساما
فبكى اليومَ للسلام، ولكنْ	ما بكاهُ بالأمسِ كان خِصاما

في ١١ تشرين<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٣

## إلى فيلكس فارس

عرفتُ فيك النبل يا شاعري فهل لإخوانك أن يعرفوك  
جاهدتُ جهد البطل الصابر فهل لعشاقك أن يعضدوك

\* \*

كتبتُ بالدمع نشيدَ الإخاء وبالدم الطاهر ما سجلا  
فإن همُ خانوك خانوا الإباء وإن أجابوك أجابوا العلى

\* \*

أنت سليلُ الصدق نبت الشرف في قلبك الخافق قلب البلاد  
كم خلقتُ في موطني من خزف تحطمه الغاي وكم من قواد

\* \*

يا منصلاً أغمدت عهداً طویل عار على الأمة أن تغمدك  
إخرج فقد آن أوانُ الصليل وحق للإخلاص أن يعضدك

## إلى بدوية جميلة

«كانت تدخن النارجيلة في حديقة شرقية».

— عن لامرئين بصرف —

مَنْ أَنْتِ؟ يَا بِنْتَ الْأَلَى وَجَلُوكِ  
أَنْتِ ابْنَةُ الشَّرْقِ الْمَكْلَلِ رَأْسَهُ  
تَدْعِينَ قِيثَارِي، وَقَدْ حَطَّمْتِهِ  
يَا زَهْرَةَ الشَّرْقِ الْمُضْمَخِ عَرْفُهَا  
وَالْبَلْبُلُ الْغَرِيدُ، يَسْكُبُ لَحْنَهُ  
الشَّعْرُ فِي الْحَاظِ عَيْنِكَ نَائِمٌ  
لَكِنْ إِذَا مَا شَاءَ لَحْظُكَ أَنْ يَرَى  
فَتَأْمَلِي فِي الْحَوْضِ حَسَنَكَ مَشْرِقًا  
قَدْ أَفْرَغَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ ضِيَاءَهُ  
وَالِى الْوَسَادِ مَذْ أَسْتَدْتِ لِرَاحَةِ  
أَدْنَتْ يَدَاكَ مِنَ اللَّمَى نَرِييْجَهَا  
لَمَّا نَشَقْتَ أَرِييْجَهَا بِتَدَلَّلٍ  
فِي رَوْضَةِ الدُّنْيَا بَغِيرِ شَرِيكِ  
بُورُودِ أُمِّكَ أَوْ سَيْوْفِ أَيْيِكَ  
لِيَحَرِّكَ الْأَوْتَارَ فِي نَادِيكِ  
يَلْهَوُ النَّسِيمُ بِخَصْرِكَ الْمَفْكُوكِ  
فِي كَمِّكَ الْمَفْتُوحِ، لِلْسَاقِيكِ  
وَإِذَا وَدَدْتَ يُفِيقُ بِالتَّحْرِيكِ  
فِي الشَّعْرِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ بِسَبِيكِ  
فَبِدَائِعِ الْأَشْعَارِ لَا تَحْكِيكِ  
فِي خِيَمَةِ الزَّهْرِ الَّتِي تَأْوِيكِ  
بِالنَّارِجِيلَةِ كُلُّهُمْ جَاوُوكِ  
مَتَبَطَّنًا بِالزَّنْبَقِ الْمَحْبُوكِ  
خَفَقَتْ عَوَاطِفُ صَدْرِهَا «الْمَهْوُوكِ»



إني استعدتُ لدُنْ رأيتُكَ صَبوتي  
لكن شبابي والغرامُ تلاشيا  
لم أنسَ يومَ علوتِ متنَ مطهمِ  
هو في جِادِ أيلِكِ سَيِّدِ قومه  
لم أنسَ زَنَدَكَ مثلَ حَلَقَةِ قربةٍ  
وأشعَّةً من بدرٍ ليلِكِ نَوَّرَتْ  
إني قطعتُ من الحياةِ ورودها  
فأتتُ غضابُ البحرِ تجرُفُها إلى  
كانت ورودُ الصدرِ تنفحُ مهجتي  
كم كنتُ أنشدتُ القريضَ مسلسلاً  
لعبارةٍ أو نظرةٍ من أجْلِها

فوجدتها أشهى وأعذبَ فيكِ  
فهما كنفخةٍ دُخْنَةٍ من فيكِ  
وكباحتِهِ بشكيمةِ المملوكِ  
ويسيرُ بين يديكِ كالصعلوكِ  
ولمى شفاهكِ مثلُ عُرْفِ الديكِ  
ياقوتَ خنجرِ خصرِكِ المشكوكِ  
ورميتُها في الشاطئِ المتروكِ  
اللججِ العميقةِ بالرياحِ النوكِ  
بأريجِ حبٍّ باسمِ وضحكِ  
لو كان في العشرينَ عمرَ أخيكِ  
عبدَ الرجالِ الطهرَ مذ عبدوكِ

في ٣ كانون أول سنة ١٩٢٤

## الحسون السجين

— ١ —

ماذا تُسرُّ إلى القمرُ      يا أيها الطيرُ السجينُ  
هل أنتَ مثلي في السهرُ      تشكو عذابكَ للسينُ  
أم تشتكي ظلمَ البشرُ؟

— ٢ —

في قلبكِ العاني الكبيرُ      سرُّ توارى في الدجى  
وحواجزُ القفصِ الصغيرُ      قد أطفأتُ نورَ الرجا  
لما غدوتَ به أسيرُ

— ٣ —

قد كنتَ حرّاً مطلقاً      في جوكِ الصافي الوسعُ  
تشدو هيامك شيقاً      لأريجِ زهرِكَ في الربيعُ  
وتومُّ غصناً مورقاً

— ٤ —

قل ما تُسرُّ إلى الظلام والزهر فيه سامعة  
والقوم كلهم نيام حتى الطبيعة هاجعة  
حتى فوادي المستهام؟

— ٥ —

أسألته ماذا يرى في ذلك الغاب الكثيف  
وعلى الهضاب وفي الذرى وهناك في الحقل اللطيف  
حيث النسيم تكوثر؟

— ٦ —

أسألته هل باقية تلك النضارة في الحقول  
ومياه تلك الساقية ورسوم هاتيك الطلول  
وزهور تلك الراية؟

— ٧ —

ورفاق ساعاتي العذاب سمار قلبي الشيق  
هل أصبحت قيد العذاب في مثل سجن الضيق  
أم لا تزال على الهضاب؟

— ٨ —

أَسَأَلْتُهُ عَنْ طَائِرٍ فِي كُلِّ لَيْلٍ أَوْ صَبَاحٍ  
فَوْقَ النَّسِيمِ السَّائِرِ حَمَلَ الطَّعَامَ عَلَى الْجَنَاحِ  
وَأَتَى بِهِ لِأَصَاغِرٍ؟

— ٩ —

تِلْكَ الصَّغَارُ شَقَائِقُ لَكَ يَا شَيْهِي فِي الْحَنِّ  
أَنْتَ الْأَسِيرُ الْخَافِقُ كَخَفُوقِ قَلْبِي فِي الْبَدَنِ  
وَالْفَرْقُ أَنِّي عَاشِقُ!

— ١٠ —

يَا طَيْرُ إِنَّكَ فِي الْأَلَمِ رَمَزٌ لِهَذَا الْمَرْقَمِ  
يَبْكِي وَيَنْحُبُ بِالنَّعَمِ وَبِمَدَمٍ مِنْ عَنَدِمْ  
وَفَوَادِ ظَالِمِهِ أَصَمُّ!

كُنْتُ أَكْتُبُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَنَا أَمَامَ قَفْصِ الطَّائِرِ السَّجِينِ ، وَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَقْطَعِ قَرَأْتُهَا عَلَى  
الْحَاضِرِينَ ، فَهَضَّتْ سَيِّدَةُ الْمَنْزِلِ فِي الْحَالِ وَأَتَتْ بِالْحُسُونِ لِيَشْكُرَنِي عَلَى عَاطْفِي نَحْوَهُ ، غَيْرَ أَنَّهَا مَا  
كَادَتْ تَقْرُبُهُ مِنِّي حَتَّى أَفْلَتَ مِنْ يَدِهَا وَطَارَ تَارِكًا فِي أَنْأَمِهَا وَعَلَى الْأَرْضِ نُتَارًا مِنْ رِيْشِهِ الْمَلَوْنِ ،  
فَعَدْتُ كُتِبَتْ مَا يَلِي :

— ١١ —

يَا طَيْرُ أَيْنَ الْمَقْصَدُ وَاللَّيْلُ مَنْسَدُ الْجَنَاحِ

فطيرور عشك ترقدُ حتى يفاجئها الصباحُ  
ولدن تفيقُ تغردُ...

— ١٢ —

يا طيرُ ما تستنظرُ في الحقلِ، واليوم الشتاء  
أترك لا تستأسرُ ولو أن عندك ما تشاء  
وتحب من يتحررُ؟

— ١٣ —

ولما ترى أبقى لنا من ريش حُسنك جانحاً  
ألقي يذكّرنا الغنا ء لعلنا نبكي غناك  
ولعلنا ولعلنا؟

— ١٤ —

يا طيرُ إنك صادقُ والمرءُ غدارُ كذوبُ  
فلذا عشقتَ فعاشقُ تضع الصداقةَ في القلوبُ  
والمرءُ باغٍ فاسقُ!!

في ٦ كانون<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٤

## جرس الحزن

أيا جرساً في هوةِ الدمعِ ناحباً  
سمعتك جهراً تسكب الدمع في الوري  
أصغ، عندما الحفّارُ بعد تهديمي  
بقايا هي الآلامُ والدمعُ والأسى  
ترحمّ ولا تجعل رنينك محزناً  
وشابه دويّ القيد حين رمى به  
نحيبك ألحانُ الطبيعةِ والعمرِ  
ولكنّ هذا الجهرَ روحٌ من السرّ  
يعيد بقايا العفر منّي للعفرِ  
هي أبنّةُ ليلٍ تنتحي عالمَ الفجرِ  
ودقّ بألحانِ الجبورِ على قبري  
على سُدّةِ السجنِ، الطليقُ من الأسرِ

في ١٥ كانون<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٤

## حديث الزهرة الذابلة

لقد مرّ بي أمس بالصدفة  
فلم تتردّد بأنّ قطفتني  
ولم يمض يومان حتى ذبلتُ  
وصرتُ أداسُ بأقدامِها  
فتاةٌ لها الحسنُ في الوجنة  
فشعّت على شعرها نجمتي  
فأسقطتُ صفراءَ كالميتة  
إلى أن رمّني من الشرفة

\* \*

وفي الصبح أبصرني عابراً  
فحنّ عليّ، وقرب منّي  
وقد لمّني بخشوع وقال :  
تعال فإنيك رمزٌ لقلبي  
تعال فإنّ ذبولك يحكي  
يعفركُ الناسُ تحت النعالِ  
فكلّ الذين أسأوا إليك  
تعال فبستانك الصدر، والقلب يرويك، من منهل المهجة  
وقد شمّ بي أَرَجَ النكهة  
عيونَ التساؤلِ عن حالتي  
تعالّي أروك من دمعتي  
ورمزٌ لعمري في شقوتي  
ذبولَ الفضيلةِ والنعمة  
وأنت تجودين بالنفحة  
أجدت عليهم بالرحمة  
فبستانك الصدر، والقلب يرويك، من منهل المهجة

في ٢٦ كانون<sup>١</sup> سنة ١٩٢٣

## إلى شاعر حزين

نظم الشاعر الرقيق شفيق أفندي معلوف أبياتاً في فتاة بكت لقصيدة من الشعر فأجابه صاحب الديوان بهذه الأبيات عن لسان الفتاة .

شاعرَ الدمع ، ما جنيتُ بشيءٍ	فدموعي الخرساء أطيّبُ لحن
أنا قيشارةٌ ، ضربتَ عليها	فبكى لحنها ، وأنت المغني
فكلانا نشدو على مسمعِ الحُد	بٍ و نتلو آياته بتأنٍ
ودموعي رسامةٌ في خدودي	نغماتِ الهوى بأتقن فنٍ

في ٢١ ك٢ سنة ١٩٢٣



## لا تعطِ الحب

مدام مرسلين ده بورد قلمور شاعرة إفرنسية وُلدت في دوى سنة ١٧٨٦ من عائلة شريفة وغنيّة، غير أن الثورة الإفرنسية أخت على تلك العائلة، فرحلت بها أمها وكانت في الرابعة عشرة من عمرها، الى الغوادلوب حيث لجأتا إلى قريب أثري هناك، ولكنّ النحس ظلّ تابعهما إذ أن القريب مات بعد أن احترق محلّه وانكسر اسمه، وبعد أسبوع ماتت الأم بالحمى، وهكذا ظلت مرسلين شقيّة إلى أن قيّض الله لها امرأة غنيّة أعادتها معها إلى فرنسا، وكانت ذات صوت شجي فنّت في الأوبرا ومثلت مع جوقات عديدة الى أن صادفت الرجل الذي تقدّم له قلبها نقياً طاهراً وهو الممثل قلمور، ولكن حبها وعطفها لهذا الممثل ماجوزيا بغير الحيانة فهجرها، عند هذا أخذت تكتب قصائده بدموع قلبها، ومنها هذه القصيدة :

ما أرى ؟ إنَّ ما أراهُ وجيعُ	ووجيعُ ما تحتويه الضلوعُ
أوما حُبُّه الذي أقتفيه	بعيونٍ تبكي وقلبٍ يجوعُ
أوما صوته الذي حملته	نسماتُ مع الأثيرِ تضوعُ
فانتهى في الدّجى إليّ لطيفاً	ولطيفُ صوت الحبيبِ المطيعُ
أينَ مَنْ كانَ ساكناً في عيوني	أينَ حُبِّي وأينَ ذاكَ الهجوعُ
كلُّ شيءٍ إلا النفوسُ تلاشي	ذائباً مثلما تذوبُ الشموعُ
إنَّ للنفسِ في الحياةِ خلوداً	ليس للنفسِ ميتةٌ أو نزوعُ
فكأنَّ الخلودَ يُثقلُ نفسي	وقعه المرُّ في فؤادي فظيعُ

لم يعدْ سهدُ أعيني لحبيبي      لم يعدْ للهوى إليَّ رجوعُ  
فبكتني عروسةُ الشعر لكن      لا ترّوي الفؤادَ تلكَ الدموعُ  
أيها الحبُّ قد وهبتك قلبي      يوم كان الهوى وكان الربيعُ  
قل لي قد أضعتُهُ يا ظلوماً      كلَّ شيءٍ يُعطى إليك يضيعُ

في ٢٥ تشرين<sup>٢</sup> سنة ١٩٢٣

## يا أرغن الوادي

هل إنَّ فكرك من يراعك أسرع  
لله موهبةً يحارُّ بها الحجي  
يا ابنَ الربيعِ ، وفي الربيعِ أزهراً  
كيف أنشيتَ عن النظيمِ مخيراً  
يا ابنَ الخيالِ ، وفي الخيالِ حقيقةً  
كم مرّةً وقَّعتَ شِعركَ نغمةً  
يا أرغنَ «الوادي» وفي الوادي هوى  
لقننتَهُ شدو الهيامِ مودّعاً  
أشفيق ، لا «بردى» ولا «فيحاؤه»  
إسمعْ أنيناً صادراً من غوره  
يا شاعرَ الآلامِ ، لا تكُ يائساً  
لا تقطعِ الأوتارَ من قيثارةٍ

أم إنَّ نثرَكَ من نظيمِكَ أبدعُ  
أرجُ الشعورِ بروضِها يتضوُّعُ  
مثل الكواكبِ في سماءِكَ تلمعُ  
وتركتَ شعركَ في دماغِكَ يهجعُ  
بصرُ الوجودِ أمامها يتخشعُ  
والليلُ أنصتَ مُصغياً يتسمعُ  
يصبو إليك فؤادُهُ والأضلعُ  
ورحلتَ عنه ، والعيونُ تودّعُ  
إن كان «بردوني» وحيك يدمعُ  
فلإذا سمعتَ أنينَهُ تتوجّعُ  
فكواكبُ الإلهامِ فوقكَ تسطعُ  
نغماتها في الشعرِ لا تقطعُ

في ٣ أيار سنة ١٩٢٣

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر الرقيق شفيق أفندي معلوف بدمشق

## أنشودة العمال

بينما كان فتى المستقبل  
بَدَرَتْ من مُقْلَتَيْهِ لَفْتَةً  
هو ظبيُّ يَتَشَنَّى بِاسْمًا  
ذاك ظبيُّ العِزِّ في المستقبلِ  
سَكَبَ الفَجْرُ عليه كَأَسَه  
بين عَيْنَيْهِ تَرَاءَى هَيْكَلُ  
أَرْسَلَ الشَّعْرُ إِلَيْهِ رَاهِبًا  
ثَغْرُهُ قَارورَةٌ من عَسَلٍ  
ولهُ في وَجْنَتَيْهِ آيَةٌ  
عِنْدَهَا هَاروتُ أَلْقَى طَرْفَهُ  
وَأَنْشَى من وَجْهِهِ مُسْتَعْجَلًا  
أَقْبَلَ الظَّبْيُ على ذَاكَ الْفَتَى  
وَأَرَاهُ مُنْجَلًا في يَدِهِ  
إِنْ تُرْمَ تَقْرَنَ بِالْمَجْدِ الْهُوَى

سائرًا بين غياضِ الجبلِ  
فَرَأَى وَجْهَ غَزَالٍ مُقْبِلِ  
بين زَهْرٍ بِاسْمٍ لِلطَّلَلِ  
يَتَرَاءَى قَادِمًا في عَجَلِ  
وسقاهُ من رَحِيقِ سِلْسِلِ  
سَجَدَ الحَسَنُ بِذَاكَ الهَيْكَلِ  
فَغَدَا مُحْتَفَلًا بِالْمَرْسَلِ  
مَزَجَتْ مَرْشَفَهُ بِالْعَسَلِ  
هَبَطَ السَّحَرُ عَلَيْهَا من عَلِ  
صَاحَ من وَهْلَتِهِ وَآخِجَلِي  
رَاغِبًا في مَشْيَةِ المُسْتَعْجَلِ  
مُسْتَرْقًا فِيهِ قَلْبَ الرَّجُلِ  
قَائِلًا: سُرُّ الْهُوَى في الْمُنْجَلِ  
فَتَجَنَّبَ عَادِيَاتِ الْكَسَلِ

هوذا المنجلُ فاطلبُ عملاً  
شاركِ العمالَ في مهنتِهِم  
إنما العمالُ أركانُ إذا  
حينذا هبتْ نسيماتُ الصبا  
وتوارى الظبيُّ عنه عندما  
شعر الصبُّ بحُبِّ لم يكن  
غلبَ الحزنُ عليه إنما  
قال لا بدَّ لجفني مرةً  
سأضحِّي كلَّ ما عندي فلا  
حينذا أصغى لصوتِ قائلٍ :  
إن ترمْ تهوى غزالاً فاقترنْ

إنما المنجلُ رمزُ العملِ  
وأجتهدْ في كلِّ أمرٍ تصلِ  
هبطتْ يهبطُ مجدُّ الدولِ  
مُنشِداتٍ معَ لحنِ البلبلِ  
حرَّكتْ لطفاً مياهَ الجدولِ  
غير سهمٍ من فؤادِ المبتي  
لم يكنْ يقطعُ حبلَ الأملِ  
أن يراه راتعاً في منزلي  
بدَّ لي من قلبه ، لا بدَّ لي  
لن تنالَ الغايَ فوقَ المحملِ  
قبل هذا بعروسِ العملِ

في ٢١ نيسان سنة ٩٢٣

## ماذا أودّ لكِ

أودّ لعينيكِ نورَ الهلالِ  
وللشعرِ منكِ سوادَ الظلامِ  
أودّ لقلبكِ حبّاً شريفاً  
وللنفسِ منكِ إباءاً وحلماً  
أودّ لرجلكِ ليلَ الوجودِ  
لكيما إذا دستِ صدري يوماً  
يُنارُ بهِ الحلكُ الأدهمُ  
يضلُّ بهِ العاشقُ المغرمُ  
فيرحمُ حُبِّي ولا يظلمُ  
إذا ما رأتِ مُدنباً تحملُ  
حذاءً، مساميرهُ الأنجمُ  
تنارُ بداخله الأعظمُ

في ١٣ آذار سنة ١٩٢٣

## لا ترحم

الليلُ في صدري بدا يُظلمُ  
يعثرُ قلبي، هائماً في الدجى،  
إن يكُ ظمآنًا فما من دمٍ  
وإن يكنْ جاعاً فلا مأكلاً  
يشقى ولا يعلمُ ماذا به  
ورغمَ هذا عند مرأى الهوى  
طوائفُ الجنِّ تراءتْ له  
وأنخذتْ في جنبه مسكناً  
لما رآه حُبُّه، قال لي  
قال: وأين الله؟ قلتُ أقتضى  
قال: وأين العدل؟ قلتُ أنثنى  
قال عجيبٌ، ليس من راحمٍ

لا كوكبٌ فيه ولا أنجمُ  
بأعظمِ الصدرِ، فلا يسلمُ  
جفتْ عروقي ليس فيها دمُ  
يغذوه إلا ذلك العلقمُ  
يذوبُ كالشمعِ، ولا يعلمُ  
يُقدمُ كالنمرِ ولا يُحجمُ  
فخافَ منها الحلكُ الأدهمُ  
تُفشي إليه الويلَ، لا تكتُمُ  
هذا عظيمٌ، قلتُ بل أعظمُ  
في الشرعِ ألا يُرحمَ المغرمُ  
من هذه الدنيا فلا يقدمُ  
وأين سلمى؟ قلتُ لا ترحمُ!

في ١٧ آذار سنة ١٩٢٢

## مناجاة بلبل

ثملتُ بشدوك يا بلبلُ  
أعدتَ إلى القلبِ ذكرى الجمالِ  
نقلتَ إلى مسمعي صوتَ حبي  
كأنك أرسلتَ تلعبُ دوراً  
تنقلُ، تنقلُ على الغصنِ وأرقلُ  
فعمماً قريبِ ستارِ حياتي  
ولكن غداً حين أمسي رفاتاً  
تعال فتلفي فؤادي حياً  
تعال وأنشد قليلاً، فإني  
فصوتك شعرٌ يجولُ بفكري  
تعال تجدُ فوقَ قبري صخوراً  
وصفصافةً تنحني تارةً  
وبالقربِ من ذلك القبرِ وادٍ  
تمرُّ عليه السنونو عجالاً

وكيف بشدوك لا أثملُ  
فأنتَ بتذكاري أجملُ  
نعمتَ ونعمَ الذي تنقلُ  
جميلاً بقلبي يا مُرسلُ  
فشدوك في مهجتي يرقلُ  
على كلِّ ما مرَّ بي يُسدلُ  
ويحجبني قبري المقفلُ  
كزهرة «توتنخ» لا يذبلُ  
على رغمِ ما حلَّ بي أجزلُ  
موحى من الله أو مُنزلُ  
كهمي الثقيلِ الذي أحملُ  
وطوراً تلاعبها الشمالُ  
رهيبٌ تخلَّله جدولُ  
ومن مرَّ كالطيرِ يستعجلُ



فهذي الطيورُ، كأفراح قلبي  
ويخلفها الألمُ المستزيدُ  
تعالَ غداً حينَ أمسي وحيداً  
وأسمعَ فؤاديَ لحناً شجياً  
تطيرُ سراعاً ولا تمهلُ  
فيفعلُ في الصدرِ ما يفعلُ  
وزرنيَ زورةَ مَنْ يسألُ  
فيحيا به حُبُّه الأولُ

في ٢٣ شباط سنة ١٩٢٣

## ما لي جلد

قالوا لها ماذا فعلتِ  
قراه ينشرُ دمعَه  
قالت، وقد بسمت لهم  
أنزلته في وهدية  
قالوا لها أو ما حرامٌ  
عبثَ الغرامُ به ولم  
قالت دعوه وشأنه  
عهدي به رجلاً، إذا  
قالوا لها أضنيته  
دمه لديك وقد بدا  
فتململت ليلي وقد  
حسناً أجابت فأرجعوا

يجفن ذِيَاكَ الأسدُ  
في كلِّ يومٍ كالبردِ  
وَقَعَ المتيمُّ في فَنَدُ  
منها هواهُ ما صَعَدُ  
أَنْ يُلَازِمَهُ النَكَدُ  
يُبْقِي السَقَامُ له جَسَدُ  
مَنْ خَالَ أَنَّ الحُبَّ دَدُ  
هو في مصائبه وَلَدُ  
فهواك من دمه أَسْتَمَدُ  
أثرُ له في كلِّ خَدُ  
فقدت من الغيظِ الرشدُ  
عن محنتي ما لي جَلَدُ

## إنتسيه، فهو مذهب

رفينا<sup>(١)</sup>، تعالي، كأسَ خمِرٍ ونارَ  
ولا تدعي أُمي تفيقُ من الكرى  
لنرجلتي، ثم أغلق البابَ وأذهبي  
فإني سأقضي الليلَ داخلَ مكنتي

\* \*

هو الليل، لا حسَّ هناك، وليس من  
سرى في فضاء اللانهاية هائماً  
سميرٍ يؤسّي شقوتي غيرَ كوكبٍ  
سعاد، لقد مرّت شهورٌ عديدةٌ  
نظيرَ فؤادِ العاشقِ المتعذبِ  
تحفُّ به الأشواكُ من كلّ جانبٍ  
وقليّ يمشي في دُجّةٍ غيّهٍ  
ألا ذوّبي إن شئتِ جوركِ في الهوى  
كأنّي بها قد خبأتُ ألفَ عقربٍ  
إذا كان أبلاني من الدهرِ مخلّبٌ  
وهذا فؤادي يشهدُ اللهُ فأسْكُبي  
فلا بدّ أن يقوى على الدهرِ مخلي

\* \*

سعاد، أرى الأسقامَ تنخرُ هيكلي  
ألم تنظري الشبانَ كيف تواردت؟  
وفوقي غرابُ الموتِ يشدو، فطّبي  
ولكن لكلّ مأربٍ غيرَ مأربي

(١) خادمة صاحب القيثارة.

دعيني ، دعيني وأتبعي غيرَ عاشقٍ      يكون كبيرَ القلبِ حلوَ الحبِّ  
أنا لم أزلْ والعمرُ في أولِ الصبا      أنتظرينَ السعدَ من شاعرٍ صبي؟

\* \*

سعادُ، غداً تلقينَ عنقكِ طاهراً      على صدرِ ذاكِ الطالبِ المتصبِّبِ  
وتنسينَ مَنْ كانت تذوبُ دموعه      على إثمٍ في مُقلتيكِ مذوّبِ  
نعم فانتسيه فهو ولهانُ مذنبُ      وأجدرُ بالنسيانِ من كلِّ مُذنبِ  
أليسَ الهوى ذنباً كما قالَ بعضهم،      إذن أنا جانٍ فالهوى فوق منكبي  
ولكن غداً لا تذكرِ الزهر والرُّبى      ولا يسمينَ الحقلِ ما بعدَ مغربِ  
فتذكّارُ هاتيكِ الرسومِ مقدّسُ      فلا تلمسيه باذكّارٍ مكذّبِ!!

في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٣

## إِبْنِ لِنَفْسِكَ مَقْرَأَ شَرِيفَا

إِنْ تَرَمَّ مَجْدًا وَفَخْرًا      وَأَقْتَدَارًا      مُسْتَمِرًّا  
وَإِذَا مَا شَتَّ تَحِيًّا      مُطْلَقَ الْأَجْنَحِ حَرًّا  
فَوْقَ أَطْبَاقِ الْأَثِيرِ  
جَنْبَ أَبْرَاجِ الْبَدُورِ  
وَعَلَى مَرَأَى الضَّمِيرِ  
إِبْنِ لِنَفْسِكَ مَقْرَأَ

\* \*

إِتْبَعْنِي يَا فَتَاتِي      وَأَبْخَلِي بِالْعِبَرَاتِ  
فِرَارًا قَدْ بَكِينًا      تَحْتَ أَقْدَامِ الْحَيَاةِ  
إِنَّ مِنْ دَمْعِ الْعَذَارَى  
مَلَكُ الطَّهْرِ أَسْتَعَارَا  
فَحَرَامٌ أَنْ يُوَارَى  
فِي تَرَابِ الْكَائِنَاتِ

\* \*

نحن في عمرِ الشبابِ      نحن في عهدِ التصابي  
وأرى آمالَ قلبي      تتلاشى كالضبابِ  
إتبعيني ، إتبعيني  
فدموعي وجفوني  
شيدت قصرَ السكونِ  
فوقَ أطباقِ السحابِ

\* \*

مذ رأى الناسُ هُزالي      وجمودي المتوالي  
ضحكوا مني وقالوا      هو يحيا في الخيالِ  
لو دروا معنى نشيدي  
لرأوني ابنَ الخلودِ  
ورأوا جسمَ الوجودِ  
يتمشى للزوالِ

\* \*

إتبعيني ، إتبعيني  
فدموعي وجفوني  
شيدت قصرَ السكونِ  
فوقَ أطباقِ السحابِ

في ٢ آذار سنة ١٩٢٣

## الدمعات الثلاث

### الدمعة الأولى

أَلدَّمْعُ مِنْ عَيْنِيَّ لَمْ يَذُرْفِ  
تِلْكَ دَمَوْعُ الْقَلْبِ ذَوَّبَتْهَا  
كَمْ لَيْلَةٍ أَحْيَيْتُهَا سَاهِرًا  
طَوْرًا أَنَا جِي نَارِ سِيكَارَتِي  
وَفِي قَوَادِي مِنْ شَجُونِ الْهَوَى  
يَا مَيُّ مَا لِلْأَهْلِ مِنْ مَدْخَلِ  
نَحْنُ لَنَا فِي حُبِّنا شِيْمَةٌ  
فَلْيَتْرَكُونَا فِي مَنَاجَاتِنَا  
فَلْيَتْرَكُونَا نَجْتَنِي حِلْمَنَا  
يَا دَهْرُ إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَمْرَدًا  
مَا فَتَحْتَ أَزْهَارَهُ فِي الضَّحَى  
لِي نَفْسٌ يَعْسُرُ تَرْدَادُهُ  
إِلَّا عَلَى وَرْدِ الْهَوَى الْأَشْرَفِ  
وَفِي دَمَوْعِ الْقَلْبِ سِرٌّ خَفِي  
مَا مِنْ سَمِيرٍ لِي سِوَى مُصْحَفِي  
وَتَارَةً أَرْنُو إِلَى الْأَحْرُفِ  
مَا فِي قَوَادِ الشَّاعِرِ الْأَحْنَفِ  
بَيْنَ كَسِيرِ الْجَفْنِ وَالْمَدْنَفِ  
بَغَيْرِ هَذَا الْحُبِّ لَمْ نَكْلَفِ  
وَلِيَحْفَظُوا حَرَمَةَ حُبٍّ وَفِي  
بَيْنَ زُهُورِ الْفَلِّ وَالْمُضْعَفِ  
أَمْتُ لِي حَظِّي وَلَمْ تَكْتَفِ  
حَتَّى أَحَالَتْهَا يَدُ الْحَرْجَفِ  
كَنُورِ مُصْبَاحٍ بَدَا يَنْطَفِي

يَكَادُ لَوْلَا ثَوْبُهُ يَخْفِي  
نَظِيرَ لَيْلِي الْمَظْلَمِ الْمَسْدُفِ  
فَفِي الدُّجَى رَسْمُ الْحِمَامِ الْحَفِيِّ  
أَقُولُ لِلظُّلْمَةِ فِيهِ قَفِي  
أَشْكُو وَمَا مِنْ سَامِعٍ مِنْصَفٍ  
بِحَادِثٍ أَعْيَبَ مُسْتَنَكِفٍ  
أَحْبَبْتُ فِيهَا حُسْنَهَا الْيُوسُفِي  
وَرَدَّتْهَا مِنْ أَدْمَعِي الذَّرْفِ  
فَإِنَّ هَذَا الْعَارَ مَا أَصْطَفِي

وَجَسَدُ أَيْلَى بِهِ سَقَمُهُ  
وَلِي حَيَاةٌ حَظَّهَا أَسْوَدُ  
أَمْسَيْتُ مِنْ يَأْسِي أُحِبُّ الدُّجَى  
حَتَّى إِذَا أَلْفَيْتُهُ رَاحِلًا  
رَبَّاهُ ! لَمْ تَخْلُقْنِي تَاعِسًا  
كَأَنْتِي فِي الْكَوْنِ جَانٍ أَتَى  
وَلَيْسَ ذَنْبِي غَيْرَ أَنِّي فَتَى  
أَحْبَبْتُ فِيهَا رُوحَهَا سَاقِيًا  
إِنْ كَانَ عَارًا مَا دَعَوَهُ الْهُوَى

في ٥ أيار سنة ١٩٢٢



## الدعة الثانية

— ١ —

كيف لا أندبُ أمسي ومماتي في غدي  
فأنا مذ حلّ تعسي فرّ حظّي من يدي

— ٢ —

ضعفت روحي بصدري وتلاشت في الفؤاد  
فأنطفت جذوة عمري وأستحالت لرماد

— ٣ —

منيّتي هل تذكرينا وقفاً قرب الغدير  
حيث ألفينا الغصونا هامسات في الأثير

— ٤ —

والسنونو راحلات تلمس الماء الركود  
مثلها تلك الحياة مخّرت بحر الوجود

— ٥ —

يا له وقتاً تَقْضَى بين لهُوٍ وَدَدٍ  
يَوْمَ كَانَ الْحُبُّ فَرَضاً صَافِياً كَالْعَسْجَدِ

— ٦ —

أيها المنشدُ رِفْقاً فَلَقد وَلَّى الشَّبَابُ  
مَنْ قَضَى فِي الْكُونِ عَشْقاً لَا يُؤَاسِيهِ الرِّبَابُ

— ٧ —

إنما قَبَلَ المَآتِ ذَكَّرَ الصَّبَّ بِمَيِّ  
عَنْ لِي لَحْنِ الْحَيَاةِ ظَبِيَّةَ الْأُنْسِ إِلَيَّ

في ٣ أيلول سنة ١٩٢٢

## الدمعة الأخيرة

ما لسلمى التي أَسْتَبَدَّتْ، وما لي  
كُنْتُ أَمْشِي معَ الهيامِ ولكنْ  
ذلكَ الحُبُّ كانَ بالأَمْسِ بَدْرًا  
ذلكَ الحُبُّ كانَ رَسْمًا شَرِيفًا  
يا لسلمى، كيفَ أَسْتَبَدَّتْ وأَذَرَتْ  
ما كفاها أَنِي هَزِيلٌ، ولكنْ  
بنتَ حَوَاءَ، إِنَّ قَلْبَكَ صَخْرٌ  
لو حباكِ السُّلْطَانُ رَبُّكَ يَوْمًا

أنا في الحُبِّ مَيِّتُ الآمالِ  
كنتُ أَمْشِي على طريقِ الضلالِ  
فغدًا اليومَ ناقصًا كالهلالِ  
فغدًا اليومَ سلعةَ الدُّلالِ  
بِحَيَاتِي ومدمعي الهَطَّالِ  
سَمَرْتُ نعلها وداست هزالي  
كيفَ عَدُوُّكَ من ذواتِ الدلالِ  
لاستَحَلَّيْتُ مصرعًا للرجالِ

\* \*

يا صديقي خُذِ الرِّبَابَ وأنشُدْ  
فأنا راحِلٌ عن الكونِ عَلَيَّ  
لا أَرى في المِراةِ وجهيَ حتَّى  
آه! وآسوءَ حالِي اليومَ، إِنِّي  
يا صديقي ماضِي كانَ جَمِيلًا  
أَطْرَبَ الحُبِّ كِي يَكْفَنَ ماضِيهَ، بثوبٍ من جنسِهِ غيرِ بالِ

«كلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِلزَّوالِ»  
أجد المَكْرَ نائِبًا في ارتحالي  
يعتريني خَوْفٌ لِفِرْطِ اعتدالي  
أَطْلُبُ الموتَ، آه! وآسوءَ حالِي  
فأَسْتَبِدُّ الهوى بِذاكِ الجَمالِ

في ١٩ ك' سنة ١٩٢٢

## أيها القلب

أيها القلبُ مُتٌ فخيرٌ وأبقى      لك موتٌ يقيك شرَّ العبادِ  
إنْ تكنُ طاهراً فحسبُكَ ما لا      قيتَ في الكونِ من عظيمِ الفسادِ  
ما ترجي، وقد شعرت بأنَّ الـ      مكرَ يثوي حتى بقلبِ سعادِ  
يا فؤادي خيرٌ لجسمي حياةٌ      في شقاها تبقى بدونِ فؤادِ

في ١٩ ك' سنة ١٩٢٢

## قلب الملاك حبر

بروحي مَنْ مَضْنِي ونَفَرُ  
إذا ما نظرتُ إلى وجهه  
غزالٌ من الأنسِ قد هدَّ حيلي  
فقلتُ له يا ظلومُ كفاك  
فقالَ وفي جفنيه غمزةٌ  
إذا لم أكن عارفاً كلهُ  
ففي كبدي علَّةٌ من جفاهُ  
ملاكٌ، وهل بعد ذلك ريبُ  
له مقلَّةٌ علَّمتني السهرُ  
رأيتُ على كلِّ خَدٍّ قرُ  
وما تابَ عن فعلِهِ وأعتذرُ  
أما أنتَ تعلمُ ماذا صَدَرَ  
وللهزءِ في مِرشفيه أثرُ  
فعندي من ذاك نصف الخبرِ  
رأها طيبي تحت الخطرِ  
بأنَّ فؤادَ الملاكِ حَجَرٌ؟

في ٢٧ ك١ سنة ١٩٢٢

## أغنية الموت

أسمعيني لحنَ الرّدى أسمعيني  
وأذرفي دمعاً عليّ فبعد الـ  
يا سُلَيْمى، وقد أثار نخولي  
ما تقولين عندما تنظرين  
وأنا جثّةٌ بدون حراك  
يا سُلَيْمى، أنا أموت ضحوكاً  
إنّ مَنْ عاشَ فيه عمراً قصيراً  
يا سُلَيْمى، وكم أنادي سُلَيْمى  
لكِ عندي وصيّةٌ فأحفظها  
وإذا هزّك التذكّر بالرّغ  
فأخُذني في الظلام قيثارَ وحيي  
وأنقري نقرةً عليه يُسمَع  
ذاك قيثار صبوتي وشبابي  
يا سُلَيْمى، أغنيّةُ الموتِ هذي  
فأسمعيني أعيدها عن قريبِ

فحياتي على شفاكِ المنونِ  
موتٍ لا أستحلُّ أن تبكي  
كأماناتِ الرّدى على العشرينِ  
القومَ جاءوا إليّ كي يحملوني  
وخيالِ الحِمام فوق جبيني  
ليس هذا الوجودُ غيرَ مجونِ  
كالذي عاشَ فيه بعضُ قرونِ  
فأسمّها بلسمٌ لقلبي الحزينِ  
هي بعد الماتِ أن تنسيني  
سمِ وشاء الودادُ أن تذكّرني  
وأقصدي القبرَ في ظلالِ السكونِ  
لكِ أنيناً كزفرتي وأنيني  
وأحني إليهِ، إيّ وأحني  
ومراراً أنشدتها في جنوني  
فقريباً يحينُ يومُ البدينِ

## يا ليل العمر متى غده

حتى مَ أحوِلُ أرقدهُ  
وعيونُ غزالي نائمةُ  
حلَّتْ معقودَ صفائِها  
وتغنَّتْ ترقصُ مُنشِدهُ  
مولاي، ومن ضلَّتْ عيناه  
فعلامَ وعبدك في سقمِ  
فكأنَّ البدرَ رآكَ تَمِيسُ  
وهوى يسترشفُ شهدَ لَمَّا  
مولاي، إذا أُحِبْتَ فتى  
أنسيتَ العبدَ ديانته  
ديني قد رقَّ فوا تَلَنِي  
أبدًا يشتاقُ إليك فتى  
فلإذا ما شئتَ تزوده

ليلُ يتمرّدُ أسودهُ  
تضني جفني وتسهدُه  
أبكارُ الشعرِ وخردهُ  
يا ليلُ العمرُ متى غدهُ  
هواك فلحظك يرشدهُ  
تُدنيه منك وتُبعدهُ  
فهامَ بقدك يُنشدهُ  
فذابَ بشغرك عسجدهُ  
فلوكُ العالمِ تحسدهُ  
فأغتاظَ المولى سيدهُ  
هل باق غيرك أعبدُه  
تتاوهُ يأساً عودهُ  
تعبَ الدنيا يتزودهُ

في ٨ أيار سنة ١٩٢٠

## ميروبا في الصيف

وقفاً بميروبا على أطلالها  
تجري مياه النبع بين رياضها  
كيف التفتت سعت إليك جداولُ  
فهناك نهرٌ قد تسلسلَ ماؤه  
تتايلُ الأشجارُ حولَ ضفافِهِ  
شجرٌ لها أرجٌ يفوحٌ معبراً  
وخائلُ الصفصافِ ظلَّتِ الثرى  
«صنين» يرمقُ أرضها وسماءها  
فكأنها تحيا لأجلِ وصالِها  
وأنظر إلى وديانها وتلالِها  
حتى تحالَ الماء من أصلالها  
ضحكت على قيل الطيور وقالها  
مثل اللجين يسيل بين جبالها  
فيخطُ فيه الماء رسمَ خيالها  
فيجدد الأرواح في عمالها  
قتربَ المصطافُ تحتَ ظلالها  
بلحاظٍ صبَّ هائمٍ بجبالها  
وكانه يحيا لأجلِ وصالها

\* \*

هي غادة في كسروانَ مقيمةُ  
أخذت من التفاحِ أحمرَ خدّها  
سحرت بأطرافِ اللحاظِ رفاقها  
أنى «لفاريّا» جمالُ مروجها  
تصطادُ أرباب الهوى بجبالها  
ومن اخضرارِ الجوزِ أخضرَ خالها  
فحسدت في الألحاظِ سحرَ حلالها  
ومناظر ضحكت لدى شلالها

في ١٥ آب ١٩٢١



## تذكّري

— عن ألفرد ده موزه بتصرّف —

تذكّري حين يزفُّ الضُّحى	على جفونِ البشرِ الراقدة
مروّعاً يفتحُ قصرَ الضياء	أمام شمسِ النُّهرِ العائدة
تذكّري والليلُ في حُلُمِهِ	مستجمعاً أفكارَهُ الشاردة
منثنياً خلفَ رداءٍ له	قد فضّضتُهُ الأنجمُ الساهدة
وإنْ تَرَيْ صدرَكَ في خلجة	لدى نداءِ اللذّةِ الواجدة
والظِّلُّ يدعوكِ إلى لذّة	الأحلامِ في ليلتِهِ الهاجدة
أصغي إلى أنغامِ صوتِ الهوى	من غابةِ الحبِّ سمّتْ صاعدة
هامسةً فيك: أذكري حُبّه	في كلّ ليلٍ مرّةً واحدة

\* \*

تذكّري حينَ صروفُ القضا	تفرّقني عنكِ السنينَ الطوال
وعندما حزني وأعراضُهُ	تدبُّ في قلبي ذبولَ الهزال
تذكّري حُبِّي، وآلامُهُ	تذكّري وحيي أمامَ الخيال

وموقف التوديع في ساعة  
لا البعد في أوصابه والأسى  
تُنسيك تذكارات حُب مضي  
ما زال قلبي خافقاً في الهوى  
لا ينثني يهمس فيك أذكري  
كان لها صمتٌ مهيبُ الجلال  
ولا الثواني في طريق الزوال  
مُضيَّ أشباحٍ بماء زلال  
وقد تمشى فيه داءُ عُصال  
فالذكرُ جزءٌ من لذيذ الوصال

\* \*

تذكري يومَ أُلقي الفنا  
يومَ فؤادي مُثَقلاً بالأسى  
تذكري إمّا تَري فُتِّحتُ  
ففي زهورِ الحقلِ طهرُ الهوى  
لن تنظريني بعدُ في موضعٍ  
سوفَ «كأختٍ صادقٍ حبُّها»  
أصغي إلى صوتِ دوى في الدجى  
حفيضةُ قال: أذكري دمعهُ  
في ذي الحياةِ الرثّةِ البائدهُ  
ينامُ في حفرتِهِ الباردةِ!  
على ضريحِ الزهرةِ الزاهدهُ  
ما لامستهُ نفحةُ فاسدهُ  
فهذه الدنيا غدتْ جاحدهُ  
ترعاكِ دوماً نفسي الخالدهُ  
أنينُهُ في الظلمةِ السائدهُ  
في كلِّ ليلٍ مرّةً واحدةُ

في ١٠ كانون الأول سنة ١٩٢٤

## والعين بحيرة أحلام

أسرعتُ لبابك أقرعُهُ في ليلٍ أظلمَ برقُهُ  
وقصيدة شيلي<sup>(١)</sup> مُصغيةً لنشيدِ فؤادي تسمعهُ  
فأفاقَ أبوكُ وفي يدهِ مصباحُ الغرفةِ يرفعهُ  
وأجابَ «رشيدٌ» لم يرجعِ و«جميل» أواه مضجعهُ  
فكتمت السرَّ وفي كبدي قيثارُ الحظِّ أقطعهُ  
ورجعتُ وفي حُيَّ خرقُ ثوبٍ ما كنتُ أرقعهُ

\* \*

مولاي وفي يدهِ ولد ما شاء هواه يلوّعهُ  
فلإذا أدناه بتبسمَةٍ منه، فبعنْفٍ يدفعهُ  
ثمراتُ الطُّهرِ مراشفهِ وغصونُ الزنبقِ أذرعهُ  
والعينُ بحيرةُ أحلامٍ تنموجُ فيها أدمعهُ

(١) للشاعر شيلي مَلاط قصيدة على هذا الروي.

لا أنسى ليلة أنشدني لحناً والحبُّ يوقِّعهُ  
والأفقُ سريرٌ قد فُرِشت فيه الأزهارُ تُضوِّعهُ  
يا هندُ، فؤادي ذو عِلَلٍ فأقلُّ جفاءً يوجِّعهُ  
فأهديه إلى عينيكِ ففي عينيكِ دواءٌ ينفعُهُ  
يا هندُ، كفى قلبي حججٌ سيثورُ عليكِ ترفُّعهُ  
فأرشيهِ بعاطفةٍ يقنعُ فالحجَّةُ ليست تقنعهُ

## رسالة

إلى الأستاذ فيلكس فارس .

أشكو إلى قلبك يا سيدي  
أطلقته طفلاً، ولما نمت  
أهكذا كنت وكان الهوى  
تنهج نهج الطير في مرجه  
والمرج بسام بأزهاره  
يربك ساعاتك هزاجة  
قلباً ثوى في حظي الأسود  
أصبح محتاجاً إلى مرشد  
في عهد سلطان الصبا الأيد  
لا تنمي يوماً لغير الدد  
لنشوة في طرفك الأغيد  
ويكتم اليأس مصير الغد

\* \*

فيلكس، ما للحر من راحة  
بنائه مستعبدات به  
بنائه!! يا ويحها من دمي  
ذوبت الدنيا بأجفانها  
وغادة أحببها ضلة  
في وطن يرتاح للأعبد  
تؤثر أن تعزى لمستعبد  
جردها الظلم من الأكبد  
رحيق جهل أكدر مفسد  
ولم يكن قلبي الفتى في يدي

أَحْبَبْتُ فِيهَا مَا يَحِبُّ النَّدَى  
 مَا أَسْتَحْكَمُ الْقُلُوبَانِ حَتَّى مَضَتْ  
 وَأَنْفَجَرَ الْبِرْكَانُ حَتَّى أَنْثَتْ  
 فَخَفْتُ أَنْ يُقْضَى عَلَى عَزِّي  
 فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ أَنْتَبِهْ إِنَّ لِي  
 وَالْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءُ صَيَّادَةً  
 ثَائِرَةً كَالْمَوْجِ إِنْ تَلْعَبُ  
 فِي خَطَرَاتِ النُّسَمِ الشُّرْدِ  
 تَلْقَى بِأَحْلَامِي فِي مَوْقِدِ  
 تَدْبُ نَارُ الْيَأْسِ فِي مَرْقَدِي  
 وَأَنْ يَعِثَ الْعَارُ فِي مُحْتَدِي  
 مَجْدًا ثِيَابَ الْحَزِي لَا يَرْتَدِي  
 تَصْطَادُ قَلْبَ الْبَاسِلِ الْأَصِيدِ  
 الْأَرْوَاحُ فِي طَيَّاتِهِ يُزِيدُ

\* \*

لَمَّا رَأَيْتُنِي مُلْقِيًا عَهْدَهَا  
 وَالْيَأْسُ فِي عَيْنِي مُسْتَحْكِمًا  
 أَلْقَتْ بَوَاهِي رَأْسِهَا الْمَجْهَدِ  
 كَأَنَّهَا ، وَالْيَأْسُ يَعْتَادُهَا ،  
 أَوْصَدْتُ دُونَ الْحُبِّ قَلْبِي ، فَمَا  
 بَيْنَ ضُلُوعِي حَجَرٌ بَارِدٌ  
 خَمْسَةُ أَعْوَامٍ تَقَضَّتْ بِنَا  
 حَسَبْتُهَا مِنْ فَرَطٍ أَثْقَالِهَا  
 أَقْعَدَنِي عَنْ نَيْلِ مُسْتَقْبَلِي  
 وَيْلُ الشَّبَابِ الْغَضُّ مِنْ قَلْبِهِ  
 الْقَلْبُ جَرْمٌ فِي حَيَاةِ الْفَتَى  
 مِنْ وَاجِبِ الْأَيَّامِ تَحْطِيطُهُ  
 عَلَى ضَحَايَا حُبِّهَا الْأَرْبَدِ  
 لَا يَرِدُ الْأَمَالَ مِنْ مَوْرِدِ  
 عَلَى بَقَايَا جَسَدِي الْأَمْلَدِ  
 تَلْقَى بِأَشْلَاءٍ عَلَى جِلْمَدِ  
 يَرْجُو الْهَوَى مِنْ قَلْبِي الْمَوْصَدِ  
 رَمَيْتُهُ فِي ظِلْمَةٍ أَبْرَدِ  
 بَيْنَ عَذَابٍ مَجْحَفٍ مُلْحَدِ  
 خَمْسَةُ أَجْيَالٍ بِصَدْرِي النَّدَى  
 هَمٌّ ، وَلَوْلَا الْهَمُّ لَمْ أَقْعُدِ  
 إِذَا أَضْلَوهُ وَلَمْ يَهْتَدِ  
 وَصَانِعُ الْقَلْبِ هُوَ الْمُعْتَدِ  
 عَلَى حِفَافِ الْمَهْدِ فِي الْمَوْلَدِ

\* \*

يا سيدي فيلكس، ذي حالي،  
إمّا رآه الحبّ مستنزفاً  
بشئتُ حياتي في بلادٍ غدتْ  
تؤثرُ صوتَ اليومِ في نحسِهِ  
يا شاعرَ الآلامِ هذا دمي  
هذي عباراتُ الأسي سَطُرَتْ  
هذي شكاتي يا خطيبَ العلى  
أرفعُها للمجدِ في أوجهِ  
وجدتُ في نفسك ما لم أجد  
لامستُ في أناتِها ثورةً

ذي حالةُ الشاعر، يا سيدي  
أدمعهُ قال له غرّد  
ترتاحُ للأنذالِ من حُسدي  
على أغاني البلبِلِ المُنشدِ  
ذوبتهُ شمعاً على مَعبدي  
بالدمعِ من أجفاني الزهّدِ  
أرفعُها للرجُلِ الأوحَدِ  
لأنها جذوةُ قلبِ صدي  
في أنفسي مُخمدةٌ هُجِدِ  
أخمدتِ النارَ ولم تخمُدِ

## أمام جثة البستاني

ختمت بالصمت آياتِ وعرفانا  
آثرت جيرة إبراهيم فأفتخرت  
مضيت حيث المعري قبل ذاك مضى  
فأقبلت للقاء العرب قاطبة  
وخفت هومير بالالإلياذ محرقها  
فصافحتك أثينا وهي باسمه  
يا ابن الألى رفعوا للضاد منزلة  
ناداك مجدك والأجيال مصغية  
نلت الإمارة في الدارين عن ثقة  
كنت الأمير على جناتنا فغدت  
جلست عهداً على عرش الجبال فطر  
تركت يا نسر إيوان الفناء وقد  
ما زال طيفك والأبصار مضجعه  
والعرب تجمع من أنفاسه نسماً

لما نزلت جوار الله سبحانه  
بأن تكون لك الأفلاك جيرانا  
والبحتري وأعشى وابن سفيانا  
مهللات زرافات ووحدانا  
أمام عينيك بخوراً وقربانا  
حباً وعانقت اليونان لبنانا  
وشيدوا لجلال العلم بنيانا  
ترمي إليك أزهيراً وريحانا  
فكنت فخراً لموتانا وأحياناً  
لك الإمارة في جنات رضوانا  
وأجلس على سدة الأنوار أزمانا  
حلقت كي تنتحي للخلد إيوانا  
يرود حول قصور العلم يقظانا  
وتستعيد بها للفضل ما كانا



يا واضعاً نفسه في تَرْبِ بلدته  
عظامه كثر غسانٍ ومفخرة  
فرجيل قبل عينيه وجهته  
وأنشدته بنات الشعر أغنية  
وجاء داتي وهوغو يسجدان له  
والفارضُ الزاهد الصوفي خفَّ إلى  
من للجهاد وللأقلام في وطني  
من للسياسات تأتيه فيصدقها  
هل الفقيدُ سوى ركنٍ نعزَّ به  
لا العينُ تنفعُ في منعه إن دمتُ  
عرائس الشعر في برناس باكية  
كانَّ أرجاءه بعد الألى ذهبوا

رفقاً وضع نفسه في قلبِ غسانا  
إذا هزرتَ بلاها عاد مرجانا  
وقام يلثمه موسى بن عمرانا  
ووقعها على القيثارة ألحانا  
والماجنُ بنُ نواسٍ جاء سكرانا  
تقبيله وأناه المجدُ ظمّانا  
بعد الفقيدِ فقيدِ العلمِ سلمانا  
ويستعيدُ بها مجداً وسلطانا  
هوى فأسقط للآدابِ أركانا  
ولا النواحُ يُعيدُ اليُسَ ريانا  
تضمّ من حزنها صخراً وصوانا  
أمست عليهم دياجيراً وأكفانا

في تموز سنة ١٩٢٥

## رقاد القلم

جثا الليلُ ملتقاً ببردِ السرائِرِ  
كأنِّي بهِ — والصمتُ في جنباتِهِ —  
وفي القبةِ السوداءِ لحفٌ كثيفٌ  
كأنِّي بهذي اللحفِ جَبَّةُ سارقٍ  
هفا شبحُ الأحلامِ من غورِ كهفِهِ  
كأنَّ غطيطَ النائمينَ نواسمُ  
لَدُنْ فتحت أُمِّي نوافذَ مخدعي  
كأنَّ مصاريعَ الكوى وهي شرعُ  
أنا في سريرٍ من قماشٍ مطرَزٍ  
كأنِّي مَيّتٌ في رخامٍ ضريحِهِ  
أرى قلَمي المظلومَ في هدأةِ الدجى  
بماذا تُراه يحلمُ الآن؟ إنني

وفي صدرِهِ المفؤودِ رِيشةُ جائِرِ  
مواكبُ كفّارٍ أمامَ الضمائرِ  
على مهدِها نامت عيونُ الزواهرِ  
وقد أُخفيت فيها عقودُ الجواهرِ  
وقد علقت أذيالُهُ بالمحاجرِ  
يحركها الصفصافُ فوقَ المقابرِ  
تمشَّى إلى قلبي أريجُ الأزاهرِ  
جفونُ يَتيمٍ موجعِ القلبِ حائرِ  
تدلّت على جنبيه يبيضُ الستائرِ  
تكفُّنُهُ شَفَافَةٌ من حرائرِ  
ينامُ مع الأوراقِ قربَ المحابرِ  
لأسمعُ منه مثلَ زفرةِ شاعرٍ؟

\* \*

أيا قلَمي ما ضرَّ لو كنتَ سَكَّةً  
تطوفُ شريفاً في الحقولِ النواضرِ

تَحْيِيكَ أَسْرَابُ الطَّيُورِ وَتَنْحَنِي أَمَامَكَ أَعْنَاقُ الزُّهُورِ السَّوَاحِرِ

\* \*

أَيَا قَلَمِي مَا ضَرَّ لَوْ كُنْتَ سَكَّةً  
فَأَرْفَعُ نَفْسِي عَالِيًا بَعْدَ خَفْضَةٍ  
وَيَا صُحْفًا يَجْرِي مَدَادُ عَوَاطِفِي  
فَقَدْتُكَ، هَلَّا كُنْتُ أَرْضًا خَصِيْبَةً  
يُذِيبُ عَلَيْهَا الْفَجْرُ كَوَثْرَ طُحْرِهِ  
فَكَوْثَرُهُ يُحْيِي الْفَقِيرَ، وَكَوْثَرِي  
تَخْلُدُ لِي بَيْنَ الْجِبَالِ مَاثِرِي  
وَتُظْهِرُ أَسْمَى فِي السَّهُولِ مَفَاخِرِي  
عَلَيْهَا وَيَلْقِيهَا الرِّيَا فِي الْمَسَاخِرِ  
يَسِيلُ عَلَيْهَا مِنْ جِبَاهِ الْجَبَابِرِ  
أَرْقٌ وَأَصْفَى مِنْهَا مِنْ كَوَاثِرِي  
يُشِيرُ حَيَاةً فِي جِمَادِ الدَّفَاتِرِ

\* \*

أَيَا قَلَمِي، نَمَ فِي الْخُمُولِ وَلَا تُفِقْ  
وَيَا فَجْرُ لَا تَطْلُعْ عَلَيَّ، فَنِي الدَّجَى  
وَيَا صُحْفِي، نَامِي فَقَدْ نَامَ خَاطِرِي  
مَدَافِنُ فِيهَا تَسْتَكِنُ شَوَاعِرِي

في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥

## معارضة قصيدة شوقي

أَمِيرَ الشَّعْرِ لَا نُورٌ وَحَقُّ      وَلَكِنْ سُوءٌ مَنْقَلَبٍ وَخِرُّ  
إِذَا أَيْدَتَهُمْ أَيْدَتَ حَقًّا      أَبِي تَأْيِيدُهُ شَرَفٌ وَخُلُقُ

\* \*

أَمِيرَ الشَّعْرِ وَالثُّورَاتُ تَرْقَى      عَلَى نُظْمٍ يَمَهِّدُهَا الْحَقُّ  
وَلَا تَرْقَى عَلَى مُهَجِّ الْأَيَامَى      فَلِنَّ دَمَ الْأَيَامَى لَا يَحِقُّ  
أَبَاحُوا فِي الْقِتَالِ دَمَ النَّصَارَى      وَفِي أَجْفَانِهِمْ لِلْبَغْضِ وَدَقُّ  
وَمَا رَفَقُوا بِأَيْتَامٍ صَغَارِ      فَجَازَوْهُمْ بِمَا لَمْ يَسْتَحِقُّوا  
وَقَالُوا نَهْضَةُ الْأَوْطَانِ تَقْضِي      وَعَاثُوا فِي بِلَادِهِمْ وَشَقُّوا  
وَقَدَّرُ الدِّينِ فِي الْجَهَّالِ تَغْلِي      وَلَمْ يُسْمَعْ لَطْلِبِ الدِّينِ طَرَقُ  
أَتَحْتَرِّمُ الْحَقُوقَ وَفِي فَضَاهَا      مِنْ الْأَحْقَادِ زَوْبَعَةٌ وَبَرْقُ  
وَفِي رَايَاتِهَا لَهْفُ الْبَيْتَامَى      لَهُ فِي كُلِّ ثَانِيَتَيْنِ خَفَقُ  
الْإِسْتِقْلَالُ يَنْمُو بِالتَّآخِي      وَيَضْمُرُ بِالشَّقَاقِ وَيَسْتَدْقُ  
وَبِالْحُبِّ الصَّحِيحِ يَشِيدُ صِرْحًا      أَسَاسُ خُلُودِهِ شَرَفٌ وَصِدْقُ

\* \*

أَلَسْنَا فِي الِاهْمومِ أُولَى اتِّافِقِ  
وَلَمْ يَسْعَى إِلَى التَّفْرِيقِ قَوْمٌ  
أَعَادُوا سُوءَ الْمَاضِي بِسُوءِ  
كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا نَفِيَّ رِقٍّ  
كَلَانَا شَاعِرٌ بِالظُّلْمِ يَرْتِي  
وَنَحْنُ نُوَيِّدُ الثُّورَاتِ لَكِنْ  
فَلِمَ لَا يَنْتَحِينَا الْيَوْمَ وَفَقُ  
يُوحِدُ بَيْنَهُمْ وَطَنٌ وَنُطْقُ  
وَلَمْ يَنْبُضْ لَهُمْ فِي الْحُبِّ عِرْقُ  
بِجَهْلِ فِيهِ لِلْأُوطَانِ رِقُ  
بِلَاداً بِالْمَظَالِمِ تَسْتَرِقُ  
نَخْطُئُهَا إِذَا هِيَ لَا تَرُقُ

\* \*

أَمِيرَ الشَّعْرِ حَسْبُ دَمَشَقَ حَزْنُ  
فَأَزْهَرُهَا مِنَ الْأَرْزَاءِ صَفْرُ  
وَمَا فِي الْغُوطَتَيْنِ سِوَى زَفِيرِ  
وَمَا فِي الْجَامِعِ الْأُمُويِّ إِلَّا  
كَأَنَّ الْجَنَّ تَخَطَّرُ فِي دُجَاهِ  
وَأَجْفَانُ السُّمُوءِ فِيهِ تَبْكِي  
بِأَنَّ جَنَّاتِهَا يَبْسُ وَطَرَقُ  
وَأَنْهَرُهَا مِنَ الْأَهْوَالِ بَلَقُ  
يَصْعَدُهُ مِنَ الْآلَامِ عُمُقُ  
صُرَاخُ مَنْ تَفَجَّعَهُ وَشَهْقُ  
وَفِي جَنْبَاتِهِ لِلْبُومِ نَعْقُ  
وَأَدْمَعُهَا شَكَايَاتُ وَعَشْقُ

\* \*

أَلَا أَيْنَ الْخَرَائِبُ مِنْ قُصُورِ  
وَأَيْنَ مِنَ السُّمُوءِ جَلَالُ نَسَقِ  
وَأَيْنَ مَعَاهِدُ الْآثَارِ فِيهَا  
جَلَائِلُ كُنَّ فِي الْمَاضِي مَزَاراً  
مُطَهَّرَةً الْعُصُورِ بَغَى عَلَيْهَا  
عَلَى مَنْ تَبَعَهُ الْآثَامُ تُلْقَى  
لَهَا بِمَذَاهِبِ الْآفَاقِ سَبْقُ  
هُوَ رِضْمًا، فَمَا بِدَمَشَقَ نَسَقُ  
وَأَيْنَ الْحُسْنُ وَالْفَنُّ الْأَدَقُّ  
جَمُوعِ حَجِيجِهِ خَلْقُ فَخَلْقُ  
حَزَازَاتُ مِنَ التَّدْنِيسِ حُمُقُ  
وَكُلُّ هُوًى يَقُولُ أَنَا الْحَقُّ

غَمَزَتْ إِبَاءَهُمْ فَضَى حَقُوداً      وَضَجَّتْ مِنْ صَغَارَتِهِ دِمَشْقُ  
 وَلَوْ عَقَلُوا لَحَرَّرَهُمْ نِظَامُ      عَلَى أَبْوَابِ حَقِّهِمْ يَدْقُ  
 تَخَذَتِ الشَّعْرَ لِلْإِصْلَاحِ مَرْقَى      فَهَلْ أَصْلَحَتْ خُلُقَهُمْ لِيَشْقُوا  
 وَهَلْ عَلَّمَتْهُمْ رَمَى الْقَوَافِي      لِيَرْمُوا بِالْيَتِيمِ وَلَيْسَ رِفْقُ

\* \*

سَلِّ الْأَهْرَامَ يَا أَبْنَ الْمَجْدِ عَنَّا      يُجْبِكَ الدَّمْعُ وَالنَّفْسُ الْأَرْقُ  
 فِي الْأَهْرَامِ يَا «شَوْقِي» بَقَايَا      مِنْ النِّسْبِ الْمُؤَثِّلِ لَا تَعْقُ  
 وَفِي النِّيلِ الْمَرْقَرِ عَاطِفَاتُ      مَشَى مِنْهَا إِلَى لَبْنَانَ رَزَقُ  
 يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ تَشْقَى بِلَادُ      بِهَا مِنْ شِيْمَةِ الْأَجْيَالِ عَتَقُ  
 أَلَسْتَ تَرَى أُمِّيَّةَ كَيْفِ تَرْنُو      إِلَى لَبْنَانَ عَنْ مُقْلٍ تُشَقُّ  
 وَلَّ مِنْهَا يَهُوِي بِنَزْعٍ      وَفِي دَمِهِ مِنَ الْأَهْوَالِ حَرْقُ  
 وَلِلْمُسْتَقْبَلِ الْآتِي عَجِيجُ      عَلَى قَدَمِيهِ لِلْأَوْطَانِ زَهَقُ

\* \*

أَمِيرَ الشَّعْرِ حَسْبُ الشَّعْرِ فَعُزُّ      بَأَنَّ لِمَاكَ لِلْإِحْيَاءِ فَتَقُ  
 أَنَا مُصْنَعٌ إِلَى قَطَرَاتِ سَحَرٍ      لَهَا مِنْ شَعْرِكَ الْعُلُويِّ دَفَقُ  
 أَلَا هَذَّبُ شَبَابَ الشَّرْقِ هَذَّبُ      لِيَرْقَى مَوْطِنُ لَهُمْ وَيَرْقُوا  
 وَقُلْ لَهُمْ: أَخَاكُمْ فَأَعْضُدُوهُ      تَنَالُوا الْمَقْصِدَ السَّامِي وَتَبْقُوا

# المَرِيضُ الصَّامِتُ

الطبعة الأولى

١٩٢٨





## مقدمة المريض الصامت

أيها القارئ

إن ما تقرأ في هذه الصفحات هو حقيقة أليمة نطقت بها الروح المتألّمة في ليلة من ليالي الأرق ، وألبسها القلم رداءً شفافاً من أرديته الحمر . في كلّ شطر من أشطارها نقاط من الدّم ما تزال نديّة ، وفي كلّ مقطع من مقاطعها مشهد من مشاهد الألم ما يبرح نصب العين . ليس عهد «المريض الصامت» ببعيد ، فتراب القبر لمّا يجفّ بعد على جسده الطاهر ، وتذكّاره الموجه ما فتى يرود في مخيلة عارفيه .

الياس أبو شبكة

## أيتها الفتاة

إن الروح التي تلامسين خلال هذه السطور  
إنما هي صورة مكبرة لروحك الحساسة ؛ والخيال  
الصادق الذي تستشفيين ، إنما هو رمز ناطق  
لخيالك السامي الشريف . فتقبلي هذه القطعة  
الدائمة تذكراً لحبنا المدمى ، فأنت أحق بها من  
سواك لأنك أوحيتها بلفظة ملؤها الشعور ،  
خرجت من بين شفتيك في ساعة من ساعات  
حُب جريح . أسأل الله أن يحتم عليه بلطفه  
ورحمته ، إنه أرحم الراحمين .

## الملك الصامت

شاعرُ القلبِ ضاقَ عنه البيانُ  
صامتٌ يُرسلُ التنهَّدَ شعراً  
تقرأُ الوحيَ في عذوبةِ عَيْنِهِ  
نفسُهُ جذوةٌ من الله لم تد  
فهو في موكبِ الحياةِ حكيمٌ  
يجدُ التائبونَ فيه عزاءً  
لقنته الأيامُ موعظةَ النبا  
غيرَ أنَّ السماءَ قالتْ له «أصمتْ»  
شيدتْ قصرَ وحيهِ الأشجانُ  
زاهدٌ في الحياةِ، في بردتيه  
ملكٌ، عرشه المصائبُ والهـ  
صولجانُ الآلامِ في قبضتيه  
لجربِ في روحهِ شهقاتُ  
وبقايا من المعري تمشتْ

والقوافي واللفظُ والأوزانُ  
كلَّما هزَّ قلبه خفقانُ  
هـ فآياتُ عينِهِ قرآنُ  
نَسْ فتمحو نقاءها الأضغانُ  
وهو في مركبِ الدجى ربَّانُ  
وأماناً إذا تلاشى الأمانُ  
رِ فثارت في صدره النيرانُ  
إنظروا كيفَ يصمتُ البركانُ  
وطلاه من الدموعِ دهانُ  
جسد شفه الضنى جوعانُ  
سمٌ وياقوت تاجه الأحزانُ  
ويحَ ملكِ آلامه الصولجانُ  
ولقيسٍ في قلبه تحنانُ  
في دماه لم تمحُها الأزمانُ

## المريض العاشق

في ربيع الحياة، حلّو الخصال  
أوشكت صورة الألوهة أن تك  
قلبه قلبُ ربّه، حينَ يقرى  
في حناياه للفقيرِ حنو  
لفتاة تبكي على شاطئ النـيـر  
لفتاة عنراء لم تدرِ لولا  
لفتاة أحبها وأحبّت  
في ربيع الحياة يقضمه الدا  
صامتٌ يسأل الرؤى في سرير  
عرف الموتَ قبل أن يتحيه  
فأصطفاه خلاً له، وكثيراً  
صامتٌ، إنما المحدثُ فيه  
فكرة من خلال عينيه تبدو  
يا جلال النفوس، أنتَ من الخـلـد

طبيبُ الخلقِ، واسعُ الآمالِ  
حملَ فيه لولا اعتراض الزوالِ  
يطعمُ اليتيمَ قلبه، لا يبالي  
وحنينٌ لآيةٍ في الجمالِ  
لـ، وراء النخيلِ، فوق الرمالِ  
هُ معاني العذابِ والأهوالِ  
هُ فعاش القلبانِ بعضَ ليالٍ  
هُ وللداءِ قسمةٌ في الرجالِ  
يستخطى به إلى الآجالِ  
فلإذا الموتُ منفذٌ للكمالِ  
ما تمنّاه، في الليالي الخوالي  
يتراءى له وميضُ خيالِ  
غلّفها شفافَةٌ من جلالِ  
لـ ولو كنتَ في غلافٍ بالِ

## أم المريض

أَيُّ دَاءٍ يَشْفُهُ، أَيُّ دَاءٍ  
أَيُّ دَاءٍ يَشْفُهُ، فَعَلَى عَيْنِ  
كُلِّ لَيْلٍ، يَمُرُّ يَسْلُبُ مِنْهُ  
قِيلَ لِي: إِنَّهُ سَيَشْفَى، وَلَكِنْ  
فِي غِشَاءٍ يَشْفُ عَنْ بَعْضِ رُوحِ  
لَوْنِهِ أَمْسٍ غَيْرِهِ الْيَوْمَ، إِنَّ الـ  
رَبَّ رُحَاكَ! لَا تُذَلِّ فَوَادِي  
رَبِّ، لَا تَضْرِبِ الْحَزِينَةَ بِالثَّكَبِ  
لَا تَدْعِنِي—يَا رَبُّ—أَحْمِلْ أَوْجَا  
لَا تَلْطَخِ بِالْيَأْسِ بَيْضَ شَعُورِي  
وَأَصَاخَتْ حِينًا لِتَسْمَعَ صَوْتَ اللَّهِ  
فَكَأَنَّ السَّمَاءَ بِنَاءَ نَحَاسٍ  
وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِي شَرْقَةِ اللَّيْلِ  
وَعَيُونُ الْمَرِيضِ تَزْدَادُ نَزْعًا

يَا إِلَهِي، يَا مُنْقَذَ الْأَبْرِيَاءِ  
هـ طَيْفٌ ذُو جِهَةٍ سَوْدَاءِ  
زَهْرَاتٍ تَعَهَّدَتْهَا دِمَائِي  
مَقْلَتَاهُ تَوَارَتْ فِي غِشَاءِ  
لَيْسَ فِيهِ لِلْأُمِّ بَعْضُ رَجَاءِ  
دَاءٍ يَمْحُو عَنْهُ جِالَ الْفَتَاءِ  
بِحَبِيبِي، وَلَا تَجْهَمِ مَسَائِي  
لِ وَلَا تَبْلِيَنِي بِهَذَا الْبَلَاءِ  
عِي أَمَامَ الْبَاقِينَ مِنْ أَبْنَائِي  
يَا عِزَاءَ الْأُمُومَةِ الْبَيْضَاءِ  
هـ وَاللَّهُ مُعَرِّضٌ فِي السَّمَاءِ  
وَكَأَنَّ الظَّلَامَ عَرْشُ قَضَاءِ  
لِ شَمُوعُ الْأَكْفَانِ لِلْأَحْيَاءِ  
كَلِمَا أَزْدَادِ رُوحِهِ فِي الضِّيَاءِ

## أخت المريض

وتُوالي بكاءها والزفيرا  
معُ صوتاً، فتستغيثُ النذورا  
بعضَ نور، فلا ترى فيه نورا  
سُ كَأَنَّ الرجاءَ باعَ الضميرا  
ها بحرَّ الأنينِ، تلكَ الزهورا  
خشيتُ منه أن يكون الأخيرة  
تِ لُتخفي عن أمِّها المقدورا  
تُحجبُ الحزنَ عن بنينا شهورا  
مأً فأعطى الآلامَ قلباً كبيراً  
آلَفَتْ رهبةَ الدُّجى والسريرا  
عندما أوشكَ الأسى أن يثورا  
في أشدَّ الآلامِ ظلَّ صبورا؟  
تَهَبُّ الجهدَ، لا تبالي العسيرا؟  
في ليالي الأسى، وأسمى شعورا؟

تسألُ الغيبَ أن يُريها المَصيرا  
تستغيثُ الإلهَ حيناً، فلا تسـ  
وإذا خيَّم الدُّجى سألته  
تستعينُ الرجاءَ، فيبدو لها اليأ  
أبسَّ الليلُ في نقاوةِ خديـ  
كلِّما أطلقَ المريضُ زفيراً  
حَجَبَتْ حزنَها وراءَ ابتساما  
وكذا الأمُّ بالتبسُّمِ كانتُ  
غيرَ أن الفتى تجاهلَ إليها  
أنكرَ النومَ مقلةَ الأختِ حتى  
لم تحوّلْ عنه النواظرَ إلا  
أيَّ قلبٍ أشدَّ من قلبِ أختِ  
أيَّ روحٍ أرقَّ من روحِ أختِ  
أيَّ صدرٍ أحنَّ من صدرِ أختِ

## رؤيا في حلم

حملَ الداءَ من شواطئِ مصرِ  
لم تُرعه طيوفُ بلواه لو لم  
حينَ يهوي الدُّجى يمرُّ به الأمرُ  
أيَّ جمرٍ أحرَّ من جمرِ حبِّ  
إن غفا مرَّت الفتاةُ برؤيا  
تارةً تفجرُ الدموعَ، وطوراً  
تتخطى أمامَ قبرٍ جديدٍ  
بدلَ الحزنِ وجهها، فهو لم يبق  
وإذا ما استفاق حدَّقَ في الظلمةِ حيناً كمن توقع أمراً

\* \*

وأجالَ العيونَ، في الغرفةِ السو  
ثمَّ أصغى لنغمةٍ في حنايا  
وهو يدري أنَّ الرؤى أيقظته  
ذاتَ ليلٍ أحسنَ في رثيته  
وترأت له فتاةً هواه

داءً، علَّ الظلامَ يكشف سرّاً  
هُ تلوَّى لذكرِها وأقشعراً  
من شجونٍ إلى شجونٍ أخرى  
خلجةً مرّةً، فخفقاً أمراً  
شبحاً دامياً، فأوجس ذعراً

## هذيان في الظلام

عند ذا هبّ جالساً وتبها  
وحفيف الصفصاف يهمس في التّه  
قال : «أصغي إليّ، إني فإن  
أنا أمشي إلى الضريح حيثاً  
أيّ نفعٍ ترجينه يا عروسي  
أيّ نفعٍ، والموتُ ينسجُ ثوبي  
إرجعي، إرجعي فتذكّار حُبّي  
إرجعي، إني بليتُ وما أصـ  
في شواطئ النيل السعيدِ مياهُ  
وأستعيدي به هوى وشباباً  
وإذا ما مررتِ تحت نخيلِ  
حيث كنا نبي قصور الأمانِ  
حيث كنا نلقنُ القلبَ درساً  
فأحذري وقفةً هناك لثلاً

لسناجي غرامه العذريّا  
رِ كلاماً عن الحياة خفيّا!  
فالقوى لن تعودَ بعد إلّا  
فعذابي يشورُ في رثيّا  
من بُكاءٍ ما عاد ينفعُ شيئاً؟  
بخيوط الظلام من مقلتيّا  
ولباليّ، بات ثقلاً عليّا  
سبحَ غير الديدان يرغب فيّا!  
فاسألها غداً زلاًلاً شهياً  
«نيلك» العذب غير «بردونيّا»  
النهر يوماً حيث أبسّمنا مليّا  
حيث كنا نجني الشبابَ النديّا  
فيعيه النخيلُ من شفتيّا  
تسمعي من فم النخيلِ نعيّا



## أمام الفجر

وَأَسْتَفَاقَ الْمَرِيضُ مِنْ هَذْيَانِهِ  
وَحُمَاتُ الْأَوْجَاعِ تَنْزَعُ مِنْهُ  
وَأَمْرَ الْبَنَانِ — يَسْتَرْجِعُ الرُّشْدَ  
إِنَّمَا الْأَصْغَرُ الَّذِي نَهَكَتُهُ  
وَلَهِيْبُ النِّيرَانِ فِي أَجْفَانِهِ  
مَا تَبَقَّى مِنْ عَمْرِهِ فِي جَنَانِهِ  
دَعَا عَلَى أَصْغَرِ نَبَا عَنْ مَكَانِهِ  
حُمَةُ الدَّاءِ ضَلَّ فِي خَفْقَانِهِ

\* \*

وَأَتَى الْفَجْرُ فَوْقَ عَرْشٍ مِنَ النُّوْ  
وَخِيَوُطُ الضَّبَابِ تَنْسُجُ أَعْلَا  
فَاطَلَّ الْمَرِيضُ مِنْ شَرْقَةِ الْبَيْتِ  
فَلِذَا بِالصَّبَاحِ يَحْمِلُ رَمْزًا  
وَطَفَتْ مَقْلَتَاهُ فَوْقَ مِيَاهِ الدِّ  
قَرَأَى لَهُ الْمَصِيرُ قَرِيبًا  
وَتَرَأَى لَهُ ضَرْيَحُ رُخَامٍ  
زَهْرَةٌ حِينَ ضَلَّ عَنْهَا نَدَاهَا  
وَتَرَأَى لَهُ عَلَى صَفْحَةِ الْمَا  
أَفْصَحَتْ عَنْ نَبْوَةٍ تَمَّتْهَا

رَ تَسِيرُ الْكُرُومُ فِي رَكْبَانِهِ  
مَا لَوَتْهَا الصَّبَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ  
تَ يَنَاجِي الصَّبَاحَ فِي مِهْرَجَانِهِ  
أَسْوَدَ الْوَجْهِ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ  
نَهْرٍ، وَالنَّهْرُ سَائِرٌ فِي أَمَانِهِ  
شَفَّ عَنْهُ الزَّلَالُ فِي جَرَيَانِهِ  
رَقَدَتْ زَهْرَةٌ عَلَى جِدْرَانِهِ  
ضَلَّ عَنْهَا الشَّبَابُ فِي رِيْعَانِهِ  
سَطُورٌ مَسْوَدَةٌ ، كَرَمَانِهِ  
نَزَوَاتُ الْمَسَاءِ فِي إِبْسَانِهِ

## رعشة في الظلمة

### أيتها الفتاة

«كيف حال المريض، ماذا جرى له  
إنَّ قلبي لدى سؤالك هذا  
ما يُفيدُ النواحُ يا أخت نفسي  
كلَّ ليلٍ أرى خيالَ ضريحِي  
كنتُ قبلاً أُعلِّلُ النفسَ لكنَّ  
أُحقي ذكرياتِ أَمَسٍ، فخيراً  
أُحقيها بحقَّ روحي وحُبِّي  
وأعلمي أن دمعاً فوق مَنْ تهوين،  
تحت الترابِ تؤذي خياله»

— المريض —

قرأتها فأُمسكت عبراتٍ  
عبرات من ذوبِ قلبٍ مُدْمَى  
أُمسكتها عن الرسالة حتى  
وكانَ الدُّجى مريضٌ يوالي  
وإذا رعشةُ أُمِّرتَ عليها  
وأنتى الفجرُ شاحباً فوق موجاتِ كأنَّ السُّعالَ أشغل باله!

## ليلة عصبية

أوكصدر، خلا من العطف، حاقداً  
على فندقٍ بزحلة حائداً  
لـ بجفنٍ ساه، وقلبٍ واجداً  
وإذا النهر، ساكن الماء، جامداً  
خلجةً في صميم فكرٍ شارد  
جهمة أشباح تلك المشاهد  
ناً من الشاي في السكون السائد  
هو للسهد والشجون موارد  
من حفاف الفجانٍ فاها الحامداً  
وحفيف الصفصاف في النهر هاجداً  
القبر مأواه، منذ يومٍ واحد! »

\* \*

ذات ليلٍ كثرة القبر بارد  
عرجت عادةً ملثمة الوج  
وأطلت ترى المدينة في اللي  
فإذا زحلة كمقلة ثكلي  
فأحست برعشة عقبتها  
وأملت عن المدينة وجهاً  
وأناها الغلام يحملُ فنجنا  
نظرت نظرةً إليه بجفنٍ  
ثم قالت: «كيف المريض؟» وأدنت  
فأجاب الفتى ببعض آرتياب :  
«رحم الله من تُسمين، أمسى

جمدت جمدة الدمي في المساجد  
فخاف الغلام — واليأسُ جاحداً  
لو عرفت القلوب ماذا تكابد!

لم يكذب يلفظ العبارة حتى  
وأرتمت لا تفيق من شدة اليأس —  
أيها الليلُ ما ظلمت قلوباً

## على القبر

وترامى الصباحُ فوق الهضابِ  
وبياضُ الثلوجِ تحت ضياءِ الـ  
وأطلَّ الرهبانُ من شرفةِ الديـ  
فراوا نقطةً على القبرِ سودا  
قال صوتٌ: «هذي عروسٌ من الجـ  
قال ثانٍ: «لا بل ذه روحٌ ميتٍ  
ومضى ثالثٌ يقول: «هي  
وأخيراً مضوا إلى القبرِ حتى  
فراوا جثةً مبعثرةً الشعـ  
لم يُبقِ السقامُ والحزنُ منها  
ما جرى للفتاة بعد فتاها  
ما جرى للفتاة؟ أين هي اليو  
هل طواها الذي طوى مَنْ أُحِبَّتْ  
عشٌ طويلاً، وضحَّ ما شئتَ، يا حبُّ، إلى أن يشنك يومٌ حسابِ

# أفابعي الفردوس

الطبعة الأولى

١٩٣٨



## ففي حديث الشعر

لا أكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر ، أو لأعلم الشاعر كيف ينبغي له أن يشعر ، وأي طريق يجب عليه أن يسلك ليصل الى هيكّل النور الأسمى ، أو لأجيء بنظرية أتعصب لها وأعلن لأجلها حرباً . فالشعر كائن حيّ تحتشد فيه الطبيعة والحياة ، فلا يقاس ولا يوزن ، والنظريات مذاهب وأغراض لا تعيش إلّا على هامش الأدب ، كما يعيش العَرَض على هامش الجوهر أو كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الأمة الأزلية .

وقد تصحّ النظريات أو المذاهب في كتاب سياسي ، أو وصية سياسية موجّهة الى شعب له أوضاعه الخاصة ، وحدوده المقرّرة ، وثقافته ، وجنسيته ، ولا تصحّ في شعر يعبر عن الحياة . فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود ، وهي أوسع من أن نضع لها حدوداً ومقاييس ، والدائرة غير المحدودة لا تنحصر في الحديقة الضيقة .

ليس للفكر حدّ ولا تخوم ، فكيف نضع للحياة حدّاً وهي هدف الفكر؟ كيف نحدّد هذه القوة المتحوّلة في اللانهاية ، هذه القوة المجهولة؟

وربّ قائلٍ إنّ الإنسان دائم الشوق الى معرفة المجهول . وهذا صحيح . على أنّ الشوق الى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري ، إلّا عندما يقتنع الإنسان بأن إدراكه الحسيّ للعالم الخارجي لا يكشف له حقائق الأشياء التي يراها ويلمسها ، ويضطر الى

الاعتراف بأن إدراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته . ولكن الجاهل لا تمرّ في خاطره أية شبهة بشهادة حواسّه الذاتية ، ويعتقد كل الاعتقاد أنّ الأشياء التي يراها ويلمسها ، هي الحقائق بعينها . ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد ، لأن نظريته في مبحث المعرفة تمثّل أخطّ دركة من المادية التافهة ، ولأنّه يصرّ على إدراكه ما لا يُدرّك بل يُحسّ ، يصرّ على إدراكه الحقيقة المطلقة ورؤيته إياها من وراء المظهر المتحوّل في الحياة .

كيف نستطيع إدراك ما لا يُدرّك بل يُحسّ ، لنقيّده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية ، ثم نوزّعه مذاهبَ وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته ؟ أليس من الخرق أن نحاول بلغةٍ وضعيّة تحديد لغة المجاز والكناية ، لغة الروح ، لغة الحس الوجداني العميق ؟

وقد يعتمد بعض هواة النظريات الى تحديد الشعر بالطريقة الفلسفية ، وفي هذا دليل على شكّ هذا البعض في الشعر نفسه : في جوهر الحياة . فالمرء لا يلزم جانب التفلسف إلّا عندما يخالجه الشكّ ، مزعزع الاعتقاد بمطابقة المدارك الحسيّة لحقيقة الأشياء المدركة . وهذا الشك الفلسفي ينمّ في حدّ ذاته عن الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها . وهذا الاعتراف يرغمنا ، في نهاية الأمر ، على التسليم بأننا لن نتمكّن من معرفة حقائق الأشياء بوسائلنا المحدودة ، وأنّ ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص ... وعندئذٍ يصبح المجهول في نظرنا ، السرّ الغامض ، أي الحدّ الأخير الذي يقف عنده الذكاء البشري .

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية ، عندما تصدر عن الشك لتخلص الى الشوق لمعرفة المجهول . وإذا أضفنا الى هذه البيّنات ، التأثير المحيّب لتقلّب الحياة في هذا العالم ، ندرك في الحال أنّ من العبث والجهد الضائع التشبّث في البحث عن الحقيقة المطلقة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلّب ، وعندئذٍ يغمرنا هذا الإدراك بكآبة عميقة ، فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميق الذي يستولي عادةً على الشعراء .



إذاً، ثمة حقيقة غامضة، من العبث البحث عنها لتحديدها. وقد قال الأب بريمون: «إن كل قصيدة مدينة بطابعها الشعري لتألق هذه الحقيقة الغامضة». وربما أراد الأب بريمون أن يعني، بهذه «الحقيقة الغامضة»، الوحي. وهو في ذلك لم يجهل بنظرية، بل عبّر عن شيء يجهله ولكنه يشعر به، خلافاً لبول فاليري الذي تعمّد الإتيان بنظرية، عندما قال: «إذا آمن الشاعر بالوحي قتل الإبداع». فإذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثرها المباشر بقدرة خارقة، وشئنا أن ننكر هذه الحالة، أنكرنا جوهر النفس ذاته: أنكرنا مبدأ الحياة. وأية غضاضة على الشاعر أن يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة؟ فالأنبياء كانوا يتسقطون كلام الله. والقدرة الخارقة ليست منفصلة عن الإنسان، فهي جوهر نفسه. فإذا أرسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة، واجترّت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض، ثم خبزه على نار هذا الجوهر، فيكون قد أعطاك من نفسه. والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالإنسان. فإذا كانت النفس مفطورة على الصفاء، وتبأت لها العوامل الثقافية المكّلة، فإنها تنقيّ الشعور من أدرانها، وتقوم بهذا العمل من تلقائها، فلا تكلفك إجهاداً ولا تعملاً... شأن المعدة الصحيحة تهضم الطعام وتتولى توزيع الدم النقي في الجسد وإخراج الفاسد منه.

قلت إن القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الإنسان، فهي جوهر نفسه. فعلى هذا الجوهر تنصهر المراتب وتشترك في هذا العمل جميع الحواس. إذاً، فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر، هي نفسه. والنفس قوة لم يدرك كنهها لتحدّ، فكيف نني الوحي الشعري ما دامت النفس مصهر الشعور؟ ويقول فاليري أيضاً إن الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء، وليس الشاعر وقفاً للمصادفة، وإنه لمن الخطأ القول بأن الشاعر منفعل لا فاعل، ومتسقط ما يُلقى عليه.

كأنني ببول فاليري، يريد أن يُنزل الشاعر منزلة النجار أو الحدّاد يُقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل أو ساعة يريد العمل، فيكون فاعلاً لا منفعلاً. وهذا أبعد

حدود الخطل ، وامتهان فاضح لجوهر الشعر . وأبان هو هذا الشاعر الذي يصطنع  
العاطفة اصطناعاً ، ليعطيك كل ساعة إنتاجاً كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق  
عليه ؟

أبان هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله ، فلا هجر حبيب يؤثر فيه  
فيحرك شعوره ، ولا موت صديق أو صديقة ، ولا نكبة عزيز ، ولا كارثة أمة ولا فرح  
شعب ، لا الظفر ولا الانكسار ، لا الذل ولا الكرامة ، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها ،  
لا صيفها ولا خريفها ؟

وأية غضاضة على قريحة الشاعر إذا هي مرت بساعات خدر ؟ أفيكون الشاعر ملتزم  
أشغال ، في يده مقياس الزمن لإنجاز عمله ؟ أفلا يتفق للقريحة أن تمر في ساعات خدر  
فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية ، ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر  
والانفعال ؟ وإلا فقيم لا يترك الشعراء من الروائع إلا ثلاثاً أو أربعاً لا تسليخ من العمر  
أكثر من سنة ؟ قال أحد الشعراء الخالدين : « إذا أحصي الوقت الذي وقفته على نظم  
قصائدي ، فلا يعدو تسعة أشهر » . وقال فاليري أيضاً : « إن الشاعر الموهوب من يختار  
اللفظة الصالحة لإحداث الرعدة النفسية وإحياء العاطفة الشعرية » .

على أن الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة ، فله من شعوره الزاخر ما  
يصرفه عن هذه الأهلية . وعندي أن الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل . وهذا الثوب جزء  
من الشعور لا يتجزأ . وقدر ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق الموسيقي في  
روحه ، يكون البيان راقياً في شعره . وهذه اللفظة التي يريدنا بول فاليري على أن  
نختارها ، تتكاتف العناصر الروحية فينا على اختيارها ، فلا تكلفنا هذا العناء أو تصرفنا  
عما تراه بصائرنا خلال الأحلام والرؤى . فكل ما يكتسبه المرء يصهره جوهر نفسه ،  
القدرة الخارقة ، فيصير عضواً فيه .

سوى أن فاليري ما لبث أن نقض نظريته في الوحي الشعري ، في محاضرة له عن

«إلهامات البحر المتوسط». وفي هذا دليل على فساد النظريات في الأدب. فقد وصف الشاعر الفرنسي الزوارق الماخرة عباب بحر الروم، والجيف الحمراء تركها الأسماك المبقورة، وأهرام البرتقال المصدّر من إسبانيا، ودلّل على إقطاعات الروح البشرية والأساليب التي تتكوّن منها هذه الإقطاعات، وعلى تطوّر النور الناشئ والسماء والشواطئ، وأثر هذه المشاهد في روحه.

وشاء أن يحدّثنا عن جميع العوامل والمؤثرات التي كان لها الفضل الأكبر في تكوين مخيلته وإحساسه، فأخبرنا أنّ جمال البحر جذبه في صباح يوم. وفيما هو يغتسل ويمتّع الطرف والروح بتموّج النور على سطح الماء، إذا بمشهد تقزّله النفس يعترض نظره. فقد رأى على مقربة منه، في قعر الماء الصافي الشفاف، أشياء حمراء بلون الورد الخفيف أو الأرجوان العميق، وعلم بكثير من المقت أنها كتل فظيعة من أحشاء الأسماك التي طرحها الصيادون في البحر. ولم يقوَ على الهرب مما رأى، ولا على تحمّله، لأنّ عاملين في نفسه كانا يتنازعان الشعور بالجمال الحقيقي الغريب في فوضى هذه الألوان الأصلية. وفيما هو مستسلم الى المقت والرغبة في الاستفادة، يتقاسمه عامل الهرب وعامل التحليل، كان يفكر في ما يستطيع استنتاجه من هذا المشهد. ثم انتقل بالفكر الى ما في شعر القدماء من الوحشية والدم، وتذكّر أنّ الإغريق ما تورّعوا عن وصف أفظع ما تقع عليه العين... وأنّ الأساطير الإغريقية وشعر الملاحم والمآسي طافحة بالدم، ولكن الفنّ أشبه ما يكون بسطح الماء الصافي الذي رأى خلاله تلك الأشياء الفاحشة.

وانتقل بول فاليري الى الدور الذي مثله البحر المتوسط بما اتصف به من الخصائص الماديّة في تكوين الفكر الأوروبي الذي حرّر العالم البشري بأسره. ومما قاله إن طبيعة البحر المتوسط والعلاقات التي قرّرها أو فرضها، كانت أساس التكوين النفساني والفني، هذا التكوين المدهش الذي استطاع ببضعة قرون أن يميّز الأوروبيين من سائر الخلق، والزمن الحاضر من الأزمان الغابرة، فأقوام البحر المتوسط هي التي خطّت

الخطوات الأولى الواثقة لإيضاح الأساليب والبحث عن الظواهر الطبيعية باستخدام قوى الفكر.

وبعد أن وصف الشاعر مواقع البحر المتوسط ومزاياه الطبيعية ، انتهى إلى القول بأن إبداع الشخصية البشرية ورفّعها إلى مستوى من الرقي والتطور الأكمل ، كانا من مبتدعات هذه الشواطئ. ويتضح لنا من هذا ، أن فاليري أصبح مؤمناً كلّ الإيمان بـ «الوحي الشعري» بدليل أن البحر والشمس والسماء هي مصدر تكوينه وتنقيفه ، وأن طبيعة البحر المتوسط كانت أساس التكوين النفساني والفني الذي ميّز الأوروبيين من سائر الخلق...

ولن أعمد هنا إلى مجادلة هذا الرأي في تمييز الأوروبيين من سائر الخلق ، فلكل في تمييز عنصره مدلولٌ يخالف به الآخر بل أقصر الكلام على الوحي الشعري من غير أن أذهب مذهب العرب القدماء في أن الوحي يلقن من فم شيطان ، وأن الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الألسنة.

فالوحي يتولد «على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة النور في النفس» ، على حدّ قول المسعودي. وأضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي : لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره ، كأنّ هذه السماء وما عليها هاتف في أعماق نفس الغدير. وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية وأثرها الكامل في الحس ، وليس في المبروءات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة.

وفي الطبيعة أسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دقّ ، بل يشعر بها إذا قويت النفس. والنفس مهما قويت ، لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرّها اللطيف إلا إذا تجرّدت من أدران هذا العالم. وهذا مستحيل.

إذا تجرّدت النفس من هذه الأدران ، بلغت النسبة النورانية الكاملة ، بلغت مستوى الطبيعة ، بلغت ذات الله. والنفس النقية هي الله.

على أنّ للنفس هنيئات تصفو فيها ، فينعكس عليها من الطبيعة جمال محبوب . وهذا الجمال يهتف في النفس أسراراً تُنطق لسان الشاعر الثقيف بمعانٍ شريفة . وعبثاً نحاول معرفة هذه الأسرار ، فهي من الغموض واللفظ بحيث تدقّ على أدقّ حس ، ويكفي أن نسمع من هذه الأسرار ما يُنطق ألسنتنا ويفتح أذهاننا لمشاهد نراها بأمر العين .

وربما أراد الأب بريمون بقوله : «إنّه لا حاجة لفهم معنى الشعر ، فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً» ، ربما أراد بقوله هذا ، أن يعبر عن تأثر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها ، ويظهر أنّ هذا الجمال الغامض إنّما هو موسيقى الطبيعة تعزف على أوتار النفس معزوفات غامضة من نوع ذلك الجمال .

على أنّ هذا ، وإن يكن حقيقياً ، لا ينبغي جعله أساساً للشعر . فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كلّ . وهذا العنصر غامض ككلّ شيء ، يُسمع ولا يرى . ومن الخرق الفاضح أن نكتفي من الشعر بموسيقاه ، ونقدّم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره . فللشعر عناصر متساوية يجب أن تجري كلها في حلبة واحدة ، فلا تنحطّ الفكرة عن الموسيقى ، أو الصورة عن الفكرة .

ومن الخرق أيضاً ، أن نتخذ الشذوذ قاعدة للشعر ، فنذهب مثلاً مذهب الأب بريمون القائل بأنّ الشعر الجميل يخلو أحياناً من المعنى ، أو إذا انطوت أجزاؤه على معنى فلا ينطوي عليه في مجموعه . فالشعر إذا اقتصر على الموسيقى لا يلبث أن يشيع الملل حتى في الأذن . ولا بدّ هنا من القول إنّ الشعر يرافق جميع وجوه التفكير . فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ولا ينحطّ عن الشعر . على أنّ هذا الشاعر ليس بأيّ العلاء العرب مثلاً ، فأبو العلاء يقحم الفلسفة في شعره فيناقش فيها كالمعلم العالم ، ولا يلزم المزاج الفني فيلمع الى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع أنواع المجازات والاستعارة والرموز بحيث يُحدث التأثير النفساني المنشود .

وقد يطرق الشاعر أيضاً باب الزراعة ولا ينحطّ عن الشعر، كما فعل فرجيل في «الجيورجيات». فقد نظم هذا الشاعر قصيدته هذه، ليحمل الرومانين على تعشق الأرض نزولاً على رغبة أوغسطس. على أنه سيرّ معارفه الزراعية في موكب من الألفاظ الموسيقية حمّله من عذوبة الحنان ورائع الوصف، ما أدرج قصيدته في عداد الروائع الشعرية الخالدة.

وما أقوله عن فرجيل، أقوله عن جميع الشعراء الأقدمين والمتأخرين الذين استخدموا مواهبهم لاكتشاف كنوز الطبيعة والحياة. فالطبيعة هي قيثارة الشاعر، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن أوتاره في غير هذه القيثارة. والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحقاً، فلولا الشعر ما عُرف تاريخ العرب في الجاهلية، ولولا ما عُرف تاريخ الفروسيّة والكرامات عند الرومان، ولولا ما عُرف تاريخ الإغريق. ولما أراد الكاتب الفرنسي إتيان باسكيه وضع كتاب عن الحياة الوطنية في القرون الوسطى، اضطرّ إلى قراءة الملاحم الشعرية.

قرأت أخيراً مقالاً للكاتب الفرنسي إدمون جالو عن شاعر عظيم من شعراء القرن الثاني عشر يدعى شوتا روستافيلي، عاش تحت السماء التي أظلت الفردوس الأرضي وجبل أراوات الذي وقف عليه فلك نوح. يقول إدمون جالو إنّ لهذا الشاعر الذي اكتُشف أخيراً، قصيدة أو ملحمة رائعة هي أمدوحة للإنسان كما كيّفته أواخر القرون الوسطى، في قوّته، وشعوره بالشمم والعدل، وسذاجته على عتبة الانبعاث. قال: «حالماً نقرأ هذه القصيدة (إنسان في جلد نمر)، نقع في ذهول حيال هذه السكرّة الشرقية، ذلك بأننا نحن الغربيين المساكين، فقدنا عادة التشجّع الكلامي، ونكاد نخنق في هذا الجوّ من البخور والألوان». ونحن الشرقيين، فقدنا بدورنا ذلك التشجّع الكلامي ونكاد نذوب في هذا الجوّ من البخور والألوان الغربية... هذا الجو الذي اجتاحت غيومه السامة بلدان الشرق مندفعة بقوة الاجتياح السياسي.

وإني لأتساءل: ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق، هذا القاموس المستورد

تشبّث فيه للتعبير عن أعمق حقائق النفس ، فزفع الكلفة بيننا وبين اللغة ، ولا نتورّع عن سلوك مهامه غائمة كأننا في حلم ؟ وقد يحلّ إلينا ، ونحن نسلك هذه المهامه ، أننا نسير في الطريق الشعري السويّ ، بينا نحن ، في الحقيقة ، لا نحاول إلا الخروج من أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرة تحرّر منها حتى مبدعوها أنفسهم . فبول فاليري الذي جاءنا بمشاريع نظريات خلقت في الأدب العربي جيلاً مضعضعاً ، لم يحد عن صراط ماليرب ، ولم يتمرّد على القاعدة الكلاسيكية في النظم . وإني لأجد في شعر فاليري أبياتاً كثيرة يستطيع دسّها في شعر لامارتين ، كما إني أجد في شعر البرناسين أمثال غوتيه وبودلير ما يستطيع نسبته الى شعر أعدائهم الرومانطيين كلامارتين وهوغو وفينيبي ، وشعر الرمزيين كفرلين ومالارميه .

قلت في مستهلّ هذا الحديث ، إني لا أكتب هذه المقدمة لأحدّد الشعر أو لأجيء بنظرية أتعصب لها وأعلن لأجلها حرباً ، بل أكتبها لأردّ صادراً إلى مصدره ، لأردّ الشعر إلى الطبيعة أمّه . فمنذ اليوم الذي تأزمت فيه المشادة بين أدباء الغرب ، وطلعت وحوش النظريات من أوجارها يكشر بعضها في وجه البعض الآخر ، التوى الشعر عن قصده ، وأصبح زياً يتلون بتلون الأهواء . ولكنّ النفس لا تخطئ لأنها معكس ومصهر لحقايق أبدية هي الطبيعة والحياة . ففي المدارس الشعرية منصرفة إلى التطاحن ، إذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الفرضيات الزائلة الى المصدر الأبدي . فرأينا بودلير البرناسي يصدر عن نفسه ويلتقي بفرلين الرمزي على صعيد واحد ، ورأينا جميع الشعراء الحقيقيين من زعماء المدارس يتفلّتون في الأودية المظلمة ، ويجمعون أنقياء على قمة واحدة هي الشعر .

فالمدارس الشعرية سجون ، ونظرياتها قيود ، والشاعر لا يعيش في جوّ العبودية هذا . فالطبيعة ، هي جوّه الفسيح تتكيّف إحساساته بتكيّف المظاهر المتقلّبة فيه ، وإذا خرج الشاعر من هذا الجوّ ، خرج من نفسه وكذب على نفسه .

الياس أبو شبكة

## شمشون

مَلَّقِيهِ بِحُسْنِكَ الْمَاجُورِ وَأَدْفَعِيهِ لِلانْتِقَامِ الْكَبِيرِ  
إِنَّ فِي الْحُسْنِ، يَا دَلِيلَةَ، أَفْعَى كَمْ سَمَعْنَا فحِيجَهَا فِي سَرِيرِ  
أَسْكَرَتْ خَدْعَةَ الْجَمَالِ هَرْقَلًا قَبْلَ شَمَشُونِ بِالْهَوَى الشَّرِيرِ  
وَالْبَصِيرُ الْبَصِيرُ يُخْدَعُ بِالْحُسْنِ وَيَنْقَادُ كَالضَّرِيرِ الضَّرِيرِ

\* \*

مَلَّقِيهِ، فَالْلَيْلُ سَكَرَانُ وَاهٍ يَتَلَوَّى فِي خِدْرِهِ الْمَسْحُورِ  
وَنَسُورُ الْكَهَوفِ أَوْهِنَا الْحُبُّ فَهَانَتْ لَدَيْهِ كَالشَّحُورِ  
وَعَنَا اللَّيْثُ لِلْبُوءَةِ، كَالظَّبْيِ، فَمَا فِيهِ شَهْوَةٌ لِلزَّئِيرِ

\* \*

شَبَقَ اللَّيْثُ لَيْلَةً، فَتَنَّى ثَائِرًا فِي عَرِينِهِ الْمَهْجُورِ  
تَقْطُرُ الْحَمَّةُ الْمَسْعُورَةَ الشَّهْءَاءُ مِنْهُ، كَأَنَّهُ فِي هَجِيرِ  
يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِالْبَرَاثِنِ غَضْبًا نَ فَيُصْدِي الْقَنُوطَ فِي الدِّيْجُورِ  
وَوَمِيضُ اللَّظْيِ يُغْلَفُ عَيْنَيْهِ فَعَيْنَاهُ فَوْهَتَا تَنْوِرِ

\* \*



ونزا من عرينه، تتشظى  
واللهاتُ المحمومُ من رثيته  
فسرى الذعرُ في الذئاب، فقرت  
وإذا لبوة، مخدرة الحس  
تنضح اللذة الشهية منها:  
فتنتُ العبيرَ في مخدع اللي  
فتلاشى اللهبُ في سيد الغا  
والعظيمُ العظيمُ تُضعفه أنثى فينقادُ كالحقيرِ الحقيرِ

\* \*

ملقيه، في أشعة عيني  
وعلى ثغركِ الجميلِ ثمارُ  
ملقيه، فبينَ نهديكِ غامت  
هوةُ أطلعتَ جهنمُ منها  
ملقيه، في ملاغمكِ الحم  
يسربُ السمُ من شفاقتها الحررى إلى ملمسِ الردى في الثغورِ

\* \*

خيم الليل، يا دليلة، في الغا  
فأنشقي فورة الحرارة من جس  
أنتِ حسناء، مثل حية عدن،  
وكغفر الوعل الوديع، وإن كذ  
لستِ زوجي، بل أنتِ أنثى عُقاب

فأشتهي ، كلَّ ليلة ، مخلبي الدامي على خَرِّ جسمِكَ المخمورِ

\* \*

وأنتى الصبحُ ضاحكُ الوجه يرغبي      زَبَدُ النورِ في ضحاه الغريرِ  
أينَ شمشونُ يا صحارى يهوذا؟      أينَ حامي ضعيفِكَ المستجيرِ؟  
أينَ قاضيكِ ، دافعُ الضيمِ ، طاغي      المستبدين ، صائنُ الدستورِ؟  
أَعَوَّرَتْ شهوةٌ من الحبِّ عَيْنَيْ      هِ وكم أَعَوَّرَ الهوى من بصيرِ  
إنَّ قاضي المستعبدين لعبدٌ      وقضاةُ عورٍ قضاةُ العورِ

\* \*

حَفَلَتْ قاعةُ العقابِ بجمعٍ      من سُراةِ المسودين غفيرِ  
هم رموز الشقاق والفتنِ الحمى      راء والغدر والزنى والغرورِ  
أقبلوا يشهدون مصرعَ شمشو      نَ على لذةِ الطَّلا والزمورِ  
أيدينُ الحاطي جناةُ صعاليد      لكُ ويقضي الفجورُ ذنبَ الفجورِ؟  
وَسَرَتْ خمرةُ الوليمةِ في الحفدِ      لى لتقدیس ساعةِ التكفيرِ  
وكانَ النسيمُ شوقَ اللحمِ      رةً فأنسلَّ من شقوقِ الخدورِ  
ولنقرِ الدفوفِ صوتٌ غريب      يتحدَّى صوتَ العقابِ الأخيرِ  
واذا قينةٌ تخالجهما السك      رُ على مشهد من الجمهورِ  
فتشتت تضاجعُ الجوّ نشوى      من تَلَوَّى قوامِها المحرورِ  
رقصة الموت ، يا دليلة ، هذي ،      أم تُراها اختلاجةً في الحمورِ؟

\* \*

وصفاً الجمعُ للأسير يُنادي هـ بشتى مطاعن التحقير:  
«هيه شمشون، أيها الفاجر الزنديق، يا عبدَ يهوه المقهورِ

\* \*

أحكيمٌ من العتاة، تذرّي شعرةً قينةً من الماخور؟»  
فتلوى شمشون في القيد، حتى حلّ فيه روح الإله القدير  
فنزا نزوة الوميض من الغلّ ودوى كنافخ في صور:  
«بددي، يا زوابع النار، أعدا ء إلهي، ويا جهنم ثوري  
وتنفّس، يا موقد الثأر، في صدّ ري وأغرق نسل الرّيا في سعيري  
وأمصصي، يا دليّة الخبث، من قلدي، فكم مرة مصصت قشوري  
وأرقصي، إنما البراكين تغلي تحت رجلِك كالبحيم النذير  
وتغنّي بمصرعي، فكثيراً ما سمعتُ الفحيح في الزمور  
أصبح الليث في يدك أسيراً فاطرحيه سخريةً للحمير  
وأجعلّي الغلّ رمزَ كلّ صريح واليواقيت رمزَ كلّ غدور  
إن أكنّ سقت في غرامك شراً فالبرايا مطيّة للشور  
غير أني أجني من الجيف الجر داء — مهما قدزت — شهد قفير  
هيكّل الإثم، لم أبح لك ذلي، شبح الرق، لم أسلمك نيري  
فأسقطي يا دعائم الكذب الجا ني وكوني أسطورة للدهور  
محقّ الله في شرّ ظلامي فلتضئ في الحياة حكمة نوري  
إن تكن جزّت الحيانة شعري في ضلالي، فقوّتي في شعوري»

## القاذورة

حلمتُ بدنيا — ليتها لا تبددُ  
أضنّ بإنشادي على الناس سحرها  
وأوقظتُ مذعوراً إلى شرّها جس  
نفیقُ من الحلم الشهیّ إلى رؤی  
فألفیتُ دنيا من فواجعها الوری  
قرأتُ عليه أحرفاً خطّها اللظى  
فطوّفتُ في عمرٍ من الليل والحنّا  
وللحمّا الغالي نشيشٌ ورغوةٌ  
وأغمدتُ في صُلبِ الدجّةِ ناظري  
فأبصرتُ أطباقاً تُعمّدها يدُ  
صباغُ يفور الخزيّ منه ملاصقاً  
وشاهدتُ في الأطباقِ مفسدةَ الوری  
مقاذرُ تمشي في الحياة طروبةً  
همُ الناسُ في الدنيا تهاويلُ حنّطتُ  
وما هذه الدنيا، يذرى رمادها

لذائذُ أحلامي ، ولا كان لي غدُ  
وهل في الوری أذنُ إذا قتُ أنشدُ؟  
كأنّي روح ، في جُثامٍ ، مُسرّدُ  
كوابيس في يقظاتنا تتسرّدُ  
على بابها ، لوحٌ من الرقّ أسودُ  
يروعك منها اثنان : «سجنٌ مؤبّدُ»  
يعربد ، والأرجاس تُرغي وتُزبدُ  
كأنّ الوری مستنقعٌ يتنهدُ  
وفي كلّ جفنٍ لي من الهدبِ مبردُ  
أصابع من عظمٍ ، وتصبغها يدُ  
إذا علّقتُ فيها النواظرُ تجمدُ  
تمورُ بها الديدانُ سكرى تعربدُ  
تغني ، وأصداءُ القبور تُردّدُ  
بكيّتُ عليهم في جحيمي ، وعيدوا  
لريح الفنا ، إلا جحيمٌ مرمّدُ

تلاشت به النيرانُ، غير بقيّة  
ففي طبق، مستنقع في صقيعه  
نساء أقلت في الصدور مراضعاً  
عواهر أفنت في الفجور شبابها  
مراضعها فطساء، فهي ضفادع  
على ما بها من شهوة النار تجلد  
تشبّ، لها في شهوة الطين موقد  
نمت حشرات فاجرات توقد  
على فيها الوردى للإثم مورد  
فما روحها إلا عجوز تقود  
على ما بها من شهوة النار تجلد

\* \*

وداعاً، عذارى الحب، في خيم الهوى  
فقدتُك حتى في أغاني مزهري  
ألا أغلتي الفردوس في وجه شاعر  
لئن تك نار البغض تلظى بعينه  
يחסّ فراديس الحياة بروحه  
كما يثبت الصفصاف في عاصف الدجى  
وللريح في الغابات زعق، كأنه  
كذلك يبقى، في دجى النفس، ثابتاً  
جألك محذور، وعدنك موصد  
وكان لشعري منك ما يتجود  
يضمّ طناير الجحيم وينشد  
ففي قلبه النوار للحب مزود  
وليس يرى إلا جحيماً يهدد  
وللافتق وجه هابط الغيم أربد  
صدى الجنّ في وادي الجحيم يزغرد  
جمال، له في قبة النفس فرقد

\* \*

وفي طبق، وادٍ تكدر ماؤه  
ولا تسمع الأرواح في شعفاته  
فثمة جردان ترى النور آفة  
ملوك يقاضون النفوس الى السما  
على فمهم سفر السماوات مشرع  
فلا عشبة تنمو ولا غصن ينقد  
خلياً يغني أو هزاراً يغرد  
فتؤثر أوجار الظلام وتلد  
وينهي بأيديهم ضمير مدود  
وفي روحهم سيف الجحيم مجرد

إذا ما لحاهم مؤمنٌ، فهو فاجر  
وَتَمَّ خفافيشٌ، مواليدُ بؤرة  
سلاطينُ حَفَّتْ بالسياطِ عروشُهُم  
تري منهمُ العاني بقيءٍ نخاعه  
وَتَمَّ جراداتُ عطاشٍ غوارثُ  
محبّةِ الأردن، مفعوجة الحشا  
لها في مقاصير السماء مطامحُ  
تفرّش فيه وَقَحُ الوجه والسماءُ  
قياصرةٌ عور الملاحم، زُيِّفتُ  
مجانينُ تستافُ البلى من خيالهم  
مواليدُ فردوسٍ أراغوا نفوسَهُم  
عائيرُك من نور الفراديسِ عبقرُ  
وتُشعل في عينيك نَارُ نقيّة  
وصدغُك مدهونٌ بزيت مطهر  
رأيتك تمشي في المساخر شاعراً  
وروحُك ممسوخ، ونورك ذاهلُ  
وشاهدتُ أشباحَ السماء كثيةً  
فقيمَ أزعّت النفسَ عن نهج قدسها

وإن نَدَّ من أغلالهم، فهو ملحدُ  
إذا غارَ فيها سيّدٌ، بان سيّدُ  
فسيدهم—هول الصعاليك—مجلدُ  
صباغاً على شسع الغزاة ويسجدُ  
ينكرها وهجُ الجناحِ فتمردُ  
توابيت يطليها لُجين وعسجدُ  
وليس لها في مسلك الجوّ مقودُ  
لأنسرها، لا للصراصير، مصعدُ  
يواقيت في تيجانهم وزمردُ  
يُناط بهم، من نسلِ عبقر، سؤددُ  
فلم يبقَ للوجدانِ فيهنّ مولدُ  
ومغناك في متنِ السماءِ مشيدُ  
بمقدسيها طيف السماءِ مجسدُ  
وبالبلسم الشافي هواءُك مضمدُ  
وتاجُك محطوم عليك، مكمدُ  
وشعركَ بالغلّ الدنيء مصفدُ  
عليك، بأسواط الأراجيفِ تُطرَدُ  
فصارت مغاراً سافلاً وهي معبدُ؟

## الأفصى

أجيبه ، أني ما أزال مقرباً  
وأنني لم أنسلّ في سرب الدجى  
ولم أغشأ أخدار النساء من الكوى  
وما رغتُ من زوجٍ ، فدارجته على  
فلما قطرتُ الصدقَ خبثاً بصدرة  
بنفسي ، إلى نجمٍ يقال له الشعرى  
بغاءً لألقيه على دَعْرِي سِتْرا  
فأجعل سيّين: المغارة والحدرا  
ولائي ، وفي هذا الولا بُغية نكرا  
قطرتُ له في نسله قطرةً أخرى

\* \*

أقول لها : أعراق زوجك لم تزل  
ولم يبرَ إحساس الرجال بصدرة  
أقول لها : ثوب العفاف تذكّري  
لبستِ رداء العرس ، أبيض ناصعاً  
وفي قلبه عطف الأبوة لم يبرَ  
فحبُّك يجري منه في الجهة اليسرى  
ففي ساعة الإكليل لم يكُ مغبراً  
فمن أين جاءت هذه اللطخة الحمرا؟

\* \*

رسائلك الحمقاء ، أصبحن في يدي  
لقد أيسس التكفير أزهار عهديها  
أعذك بالشيطان من هذه البُشرى  
فسلّمت المجنون أحلامك الحضرا

لَحْتُ عَلَيْهَا مِنْ نَدَامَتِهَا طَمَرَا  
وَتَمَتَّصَهَا حَتَّى تُصِيرَهَا قَشْرَا  
شَفَاهُكَ ، حَتَّى تُبْرِزَ الْأَعْظَمَ الصَّفْرَا  
لِتَجْعَلَهَا لِلْمَوْتِ مَصْلًا فَيَجْتَرَا  
سُقَاطَةُ عَارِ تَلْهَمُ الْخَوْفَ وَالذَّعْرَا  
وَيَبْصُرُكَ الْمَصْبَاحُ تَعَصْرُهَا عَصْرَا  
قَدْ التَّصَقَّتْ فِي بَطْنِهَا حَيَّةٌ سَمْرَا  
فَإِنَّ أَبْنَاهَا لَمَّا يَزَلُ يَجْهَلُ الْأَمْرَا  
فَيَرْقُدُ مَغْبُوطًا بِذِي الْهَبَةِ الْكَبْرَى  
تَلْهَى بِهَا ، كَانَتْ لِمُوبِقَةٍ سَعْرَا

١٩٢٩

لَقَدْ نَدَمْتَ ، لَكِنْ سَتَرْجِعُ ، إِنِّي  
سَتَمْلِكُهَا مَا شِئْتَ بَعْدُ ، فَلَا تَخَفْ  
سَتَحْفَرُ مَصْقُولَ الرِّخَامِ بِجَسْمِهَا  
سَتَمَزْجُ بِالسَّمِّ الزَّعَافِ دِمَاءَهَا  
وَتَرْمِي بِهَا فِي حِمَاةِ الْوَيْلِ وَالْخَنَى  
أَجَلُ ، سِيرَاكَ اللَّيْلُ ، بَعْدُ ، تَضَمُّهَا  
وَسَوْفَ تَرَى فِيكَ الْمَائِثُ نَعْجَةً  
سَتَمْلِكُهَا مَا شِئْتَ ، بَعْدُ ، فَلَا تَخَفْ  
صَغِيرٌ ، بَرِيءُ الْعَيْنِ ، يَرْضَى بِلَعْبَةٍ  
يَنَامُ ، وَلَا يَدْرِي بِأَنْ سَخَافَةً



## فِي هَيْكَلِ الشَّهَوَاتِ

مَا لِي أَرَى الْقَلْبَ فِي عَيْنِكَ يَلْتَهُبُ      أَلَيْسَ لِلنَّارِ، يَا أُخْتَ الشَّقَا، سَبَبُ؟  
بَعْضُ الْقُلُوبِ ثَمَارُ مَا يَزَالُ بِهَا      عَرَفُ الْجَنَانِ، وَلَكِنْ بَعْضُهَا حَطْبُ

\* \*

ذَكَرْتُ لَيْلَةَ أَمْسٍ، فَأَخْتَلَجْتُ لَهَا      وَاللَّيْلُ سَكْرَانُ مِمَّا سَحَّتِ السَّحْبُ  
ذَكَرْتُهَا، غَيْرَ أَنَّ الشَّكَّ خَالَجَنِي :      إِنَّ النِّسَاءَ إِذَا رَاوَعْنَ لَا عَجَبُ  
فَهَنَّ مِنْ حَيَّةِ الْفَرْدُوسِ أَمْزَجَةً      يَثُورُ فِيهِنَّ مِنْ أَعْقَابِهَا عَصَبُ

\* \*

أَخَافُ فِي اللَّيْلِ مِنْ طَيْفٍ يَسِيلُ عَلَى      مَوَاجَاتِ عَيْنِكَ حِينًا، ثُمَّ يَغْتَرِبُ  
طَيْفٌ مِنَ الشَّهْوَةِ الْحَمْرَاءِ تَغْزِلُهُ      حَمْرُ اللَّيَالِي وَفِي أَعْمَاقِهِ الْعَطْبُ  
وَوَجْهُكَ الشَّاحِبُ الْجَذَابُ تُرْهَبُنِي      أَلْوَانُهُ، يَتَشَهَّى فَوْقَهَا اللَّهَبُ

\* \*

مَا زِلْتُ تَغْتَصِينِ اللَّيْلَ فِي جَهْدٍ      حَتَّى تَجْمَدَ فِي أَجْفَانِكَ التَّعَبُ  
وَمَا السَّوَادُ الَّذِي فِي مُحْجَرِكَ بَدَا      إِلَّا بَقَايَا مِنَ الْأَحْشَاءِ تُغْتَصَبُ

وَحَقُّ طِفْلِكَ ، لَمْ أَشْمِتْ بِإِمْرَأَةٍ  
فَرَبَّ أَنْثَى ، يَخُونُ الْبُؤْسُ هَيْبَتَهَا  
لِي مَهْجَةً ، كَدَمُوعِ الْفَجْرِ ، صَافِيَةً  
فَكَيْفَ اخْتَلَسَ الْحَقُّ الَّذِي اخْتَلَسُوا  
لِي ذِكْرِيَّاتٌ ، كَأَخْلَاقِي ، تَوَدِّبُنِي  
أَبْقَى لِي الْأَمْسُ مِنْ غِلْوَاءِ عَقَّتِهَا  
زَلَّتْ بِهَا قَدَمٌ ، أَوْ غَرَّهَا ذَهَبُ  
وَالْبُؤْسُ أَعْمَى ، فَتَعَيَّى ثُمَّ تَقَلَّبُ  
نَقَاوَتِي وَالتُّقَى : أُمُّ لَهَا وَأَبُ  
وَكَيْفَ أَذَابُ عَنْ لَوْمٍ ، كَمَا ذُتِبُوا؟  
فَلَا يَخَاجِنِي رَوْغٌ وَلَا كَذِبُ  
وَلَمْ يَزَلْ فِي دَمِي ، مِنْ رَوْحِهَا ، نَسَبُ

\* \*

وَحَقُّ رَوْحِكَ ، يَا غُلُوءَا ، وَلَوْ غَدَرْتُ  
إِنْ كُنْتُ فِي سَكْرَةٍ ، أَوْ كُنْتُ فِي دَعْرِ ،  
بِي اللَّيَالِي ، وَأَصْمَتُ قَلْبِي النَّوْبُ  
وَمَرَّ طَيْفُكَ ، مَرَّ الطَّهْرُ وَالْأَدَبُ

\* \*

وَأَنْتِ ، يَا أُمَّ طِفْلٍ ، فِي تَلَفُّتِهِ  
صَبَّيْ الْخَمُورَ ، فَهَذَا الْعَصْرُ عَصْرُ طَلَا  
لَا تَقْنَطِي ، إِنْ رَأَيْتِ الْكَأْسَ فَارِغَةً  
صَبَّيْ الْخَمُورَ ، وَلَا تُبْقِي عَلَى مُهْجٍ  
أَمَّا أَنَا ، وَلَوْ اسْتَسَلَمْتُ أَمْسٍ إِلَى  
قَدْ أَشْرَبُ الْخَمْرَ ، لَكِنْ لَا أَدْنَسُهَا  
وَفِي غَدٍ ، إِذْ تَنْيرُ الطِّفْلَ مِيعَتَهُ  
سَوَّلُ الْعَفَافِ ، وَفِي أَجْفَانِهِ لَعِبُ  
أَمَّا السَّكَارَى ، فَهَمُّ أَبْنَاؤِهِ النَّجْبُ  
يَوْمًا ، فَنِي كُلِّ عَامٍ يَنْضَجُ الْعَنْبُ  
مَوْجُ الشَّبَابِ عَلَى رَجْلِكَ يَصْطَخِبُ  
خَمْرُ اللَّيَالِي ، فَقَلْبِي لَيْسَ يَنْشَعِبُ  
وَأَقْرَبُ الْإِثْمِ ، لَكِنْ لَسْتُ أَرْتَكِبُ  
وَتَهْرَمِينَ ، وَيَبْقَى ذَلِكَ الْخَشْبُ  
قُولِي لَهُ : « جِئْتُ فِي عَصْرِ الْخَمُورِ ، فَلَا تَشْرَبْ سِوَى الْخَمْرِ ، وَأَشْحَبْ مِثْلَمَا شَحَبُوا »  
قُولِي لَهُ : « هَذِهِ الْأَيَّامُ مَهْزَلَةٌ      وَلَيْسَ ، إِلَّا لِمَنْ يَنْشَى بِهَا ، الْغَلْبُ »

قولي له : « عَفَةُ الأجساد قد ذهبت  
قولي لطفلك ما تستصوبين غداً  
ولكن اليوم، صَبِي الحمر، وأنتخي  
ولا تخافي عَذولاً، فالعذول مضى  
طريقه الشك، أنى سار، يملكه  
مع الجدود الأعفَاء الألى ذهبوا»  
فكلّ أمرٍ له في حينه خُطْبُ  
من المِلذّاتِ، ما الآثامُ تنتخبُ  
والعصر سكران، يا أخت الشقا، تعبُ  
وحلمه الشهوات الحمرُ والقربُ

## سدوم

مغناكِ ملتهبٌ، وكأسُكِ مُترَعَةٌ  
لم تُبقِ في شفتيكِ لذاتُ الدِّمَا  
قومي أدخلي، يابنت لوط، على الخنى  
إن تُرجعي دمك الشهيَّ لنبعة  
لا تعبأي بعقاب ربِّكِ، إنه  
في صدرِكِ المحمومِ كبريتٌ، إذا  
في صدرِكِ الدامي، مناجمٌ للخنى  
فبكلِّ صقعٍ من ضلوعك قسمة

فأسقي أباكِ الحمر، وأضطجعي مَعَهُ  
ما تذكُرِينَ به حليبَ المرصعة  
وآزني، فإنَّ أباكِ مهَّد مضجَعَهُ  
كم جِدولٍ في الأرضِ راجعٍ منبعُهُ  
جرثومةٌ من نارِكِ المتدفِّعة  
لعبتَ به الشهواتُ، فجرَّ أضلَعَهُ  
أورثتها نارَ الذراري المزمعة  
خَلَعٌ على لُهبِ الشبابِ موزَعُهُ

\* \*

إليه سدومٌ، بُعثتِ من خللِ اللظى  
في كلِّ جيلٍ من لهيبِكِ سُنَّة  
عقبتَ بي الذكري إليك، فأشعلتَ  
شاهدت، من خللِ اللهبِ، حداثقاً  
نشقتَ من الفردوس عبقة سحره

حمراء في شهواتكِ المتسرَّعة  
سكرى محطَّمة عليه مخلَّعة  
قلبي وأجفاني رؤاكِ الموجهة  
كانت نواصرَ في الفصولِ الأربعة  
ومن السماء طيوبها المتضوِّعة

خضراء طاهرة الغراس كأنها  
وكأن من تكفير آدم نفحة  
ورأيتُ غدراناً: مراضع تربة  
ومراوح الفجر الجميل على الذرى  
ورأيتُ حوراً في شفوف زنايق  
نفخ الصبا بنهوها، فتكوّرت  
بصفاء عدنٍ لا تزال مبرّقة  
فيها، ومن صلواتِ حواءِ دِعه  
بأجنّة الزهر النديّ مرصّعه  
يلقى عليها كلّ طيرٍ مخدعه  
بيضاء، من لبن الجنان مشبّعه  
وتبسّمت عن وردةٍ مترقّعه

\* \*

ماذا فعلتِ، سدومُ؟ أين جواذبُ  
فيمَ استحالَ لبّانك النامي، إلى  
ذوّبتِ خمركِ، لا ليصبح طاهراً  
وجعلتِ غرغرةَ الأفاعي كأسه  
كانت على تلك الخدور مجمّعه؟  
خمر، بكاساتِ الفجور مشعّشه؟  
لكن ليستهوي النفوسَ فتجرّعه  
ليذوق منها كلّ قلبٍ مصرّعه

\* \*

سكّرتُ بك الدنيا، سدومُ، فكلّها  
وأثّرتِ حنجرة الفجور، فأطلقت  
أغنيةَ حمراء، أنشدها الحنى  
زمرُّ على طرق الحياةٍ متعّعه  
حِمماً على نغمِ الجحيمِ موقّعه  
مِرْقاً على أوتارِكِ المتقطّعه

\* \*

أسلومَ هذا العصر، لن تتحبّجي  
كانت منكّرة كوجهك، عندما  
قدفتك صحراء الزنى بحضارة  
بؤرُ مستّرة الفساد بخدعة  
فبوجه أملك ما برحتِ مقنّعه  
هبتَ عليها من جهنّم زوبعة  
ثكلى، مشوّهة الوجوه مفعّعه  
نكراء، بالخزّ الشهويّ مرقّعه

\* \*

أَسْلِيلَةَ الْفَحْشَاءِ ، نَارِكُ فِي دَمِي  
 أَنَا لَسْتُ أَخْشَى ، مِنْ جَهَنَّمَ ، جَنُودُ  
 طَوَفَتِ بِي ، مَيِّتًا ، بِأَرْوَاقِ اللَّظَى  
 وَعَصَبَتِ بِالشَّبَقِ الْمَجْمَرِ جِهَتِي  
 عَلَّمَتْنِي لُغَةَ النَّبُوءَةِ ، عِنْدَمَا  
 مَهَلًا ، كَلَانَا يَا سَدُومُ ، مَسْلَحُ  
 سَيَّرَتْ قَلْبِي ، فِي الْمَهَازِلِ ، شَاعِرًا  
 فَكَأَنَّ غَضَبَهُ أَنْبِيَاؤُكَ ، عِنْدَمَا  
 فَتَضَرَّمِي ، مَا شَتَّ أَنْ تَتَضَرَّمِي  
 مَا دَامَ جَسْمِي ، يَا سَدُومُ جَهَنَّمِي  
 فَحَمَلْتُ تَابُوتِي ، وَسَرْتُ بِمَاتَمِي  
 فَرَفَعْتُهَا فِي عَصْرِي الْمَتَهَكِّمِ  
 فَجَرَّتِ الْغَامَ السَّمُومِ بِمَنْجَمِي  
 فَلِظَاكِ فِي جَسْمِي ، وَثَارِكُ فِي فِي  
 وَذَرَرْتَ مَسْحُوقَ الْعِظَاتِ بِمَرْفَعِي  
 أُحْرِقْتَ ، عَاشَتْ فِي اللَّظَى الْمَتَكَلِّمِ

\* \*

أَبْغِيْ هَذَا الْعَصْرَ ، خَمْرُكَ فَاعْرِفِي  
 وَبِمَضْجَعِ الْغَرْبَاءِ ، نَامِي حَقْبَةَ  
 وَتَرْتَمِي مَا شَتَّ ، فِي حِمَا الْبَلَى  
 حَتَّى تَضَاجَعَكَ الْأَفَاعِي فِي الدَّجَى  
 حَتَّى يَفُورَ الدُّودُ مِنْكَ ، وَيَنْثِي  
 حَتَّى يَدْبُ الْمَوْتُ فِيكَ ، وَتَمَّحِي  
 وَأَسْقِي ذَرَارِيَّ الْوَرَى ، وَأَسْتَسْلِمِي  
 ثُمَّ أَعْلِي عَنْهُ لآخرَ ، وَأَرْتَمِي  
 حَتَّى يَجِفَّ بِكَ الرِّضَاعُ ، وَتَهْرَمِي  
 وَيَصِيرَ حَسْنُكَ ، مَخْدَعًا لِلْأَرْقَمِ  
 يَمْتَصُّ جِيْفَةَ عَرْضِكَ الْمَتَهَضِّمِ  
 ذَرِيَّةُ الْمَهْدِ الْأَثِيمِ الْمَجْرَمِ

## الخيال النقي

يا أبنَةَ الإِثمِ ، هذه شفتايا  
وأعصري ، ما استطعتِ ، قلبي ، فقلبي  
وتَوَقِّي إحدى زواياه ، لا تَقْدِ  
إنَّ في قلبي البغيَّ ، خيالاً  
إن تكن حفتي المدمَّاهُ ملكي  
فأرشني منها رحيقَ الخطايا  
لم يزل فيه من غرامي بقايا  
سي في حرمةٍ بإحدى الزوايا  
من عفافٍ ما فاجرتَه البغايا  
فخيال العفافِ ملكٌ سوايا

١٩٢٩

## عهدان

أولاً تراهم يَرتدونَ الليلَ حتى مشتهاهُ  
يستنزفونَ دمَ الشبابِ ويرقصونَ على قواه؟  
هذا فتى، كانت تموجُ بالجواذبِ وجنتاهُ  
كان الندى يطفو على آماله وعلى صباهُ  
كانت أزاهيرُ الربى بالأمسِ تسكّرُ من شذاهُ  
وذرى الجبالِ، إذا رآته، تقول: «ما أعلى ذُراهُ!»  
ماذا دهاهُ اليومَ؟ الشهواتُ تعرفُ ما دهاهُ  
أما الجمالُ، فإنه لم تبقَ تعرفه دُمَاهُ  
ولكم سمعتُ الوردَ، ينكره فيسأل: «مَن تُراهُ؟»  
والفجرُ، أصبح يعرف الدنيا جميعاً... ما عداهُ

\* \*

عهدان: عهد هوى نقيّ مات في شرف وجاهُ  
وهوى يعربدُ في دمي وتنشّ في كأسِي دُمَاهُ



لم أَدْرِ مَنْ هِيَ أُمُّهُ الْعَرَّى، ولم أَعْرِفْ أَبَاهُ  
بِحَرِّ مِنَ الشَّهْبَاتِ: مَرَّاةً لِأَهْوَالِ الْحَيَاةِ  
أَلْهَمَّ صَخْرَتَهُ الصَّغِيرَةَ وَالْمَسَاخِرَ شَاطِئَاهُ

\* \*

لَا تَطْعَمِ الْحَبَّ اللَّجَامَ وَدَعُهُ يَدْلُجُ فِي سِرَاهُ  
دَعُهُ، فَأُمُّ الطِّفْلِ تَمْلِكُهُ كَمَا مَلَكْتَ سِوَاهُ  
لِسِرِّيَّهَا خَلْجَاتِهِ وَلِمُرْشِفِيَّهَا مَرْشَفَاهُ  
وَنِسَاءَ هَذَا الْعَصْرِ، إِنْ أَحْبَبْنَ، أَطْعَمْنَ الشَّفَاهُ  
أَمَّا قُلُوبُ الْعَاشِقَاتِ، فَلَيْسَ... وَآخِجَلَّتَاهُ!

١٩٢٩

## الشهوة الحمراء

أطفئ ضيالك، وأظلم، مثل إظلامي  
 فرب نيرة، يا ليل، توقظني  
 أحس في جسدي، شوقاً يعذبني  
 لم يبق في حفني نارٌ لغير هوى  
 حي النقي، كإيماني القديم مضى :  
 وخلني في كوابيسي وأحلامي  
 إلى العفاف، فأنسى عبء آثامي  
 في دمي سورة، كالخمر في جامي  
 يودي بجسمي كما أودى بأجسام  
 وهم هذيتُ به من بعض أوهامي

أترى الغصنَ مذ يمر عليه

عاصف الريح، كيف تنوي زهوره؟

هكذا القلبُ، حين تلبسه

الآثام يقسو، وقد يحف شعوره

يا حسرة الليل، كم توحين من حلم  
 أو قلب أرملة، جار الزمان على  
 مها يكن سبب استسلامها، أهوى  
 فلتنقض شهوتها، حتى يهدمها  
 ميت، لقلبٍ بغى أخت آلام  
 عفافها، فأمات قلبها الظامي  
 في النفس، أم كان إنقاذاً لأيتام  
 ما كان في صدرها من عهرها الدامي

وَتُنَجِّزُ الشَّهْوَةَ الْحَمْرَاءَ دَوْرَتَهَا فَيَمَحِي رَجْمٌ مِنْ بَيْنِ أَرْحَامِ

\* \*

أُمِيرَةَ الشَّهْوَةِ الْحَمْرَاءِ، إِنَّ دَمِي مِنْ نَسْلِكَ الْهَادِمِ الْمَهْدُومِ، فَأَحْتَرِمِي  
خُلِقْتُ تَحْتَرِفِينَ الْمَوْتَ، فَأَقْتَرِبِي مِنِّي، فَإِنِّي أَحْتَرَفْتُ الْمَوْتَ مِنْ قَدَمِ  
حَمَلْتُ مِنْجَلَهُ فِي الْعَهْرِ مُنْتَقِماً مِنْ النِّسَاءِ، فَهَاتِيهِ لَتَنْتَقِمِي  
هَاتِي مِنَ الْعَهْرِ أَشْكَالاً مَلَوْنَةً نَمُورُ بِهَا بَعْضُنَا بَعْضاً، وَنَهْدِمِ  
لَقَدْ تَعَبْتُ مِنَ الْأَحْلَامِ، فِي جَسَدِ مَلِّ الْعَفَافِ بِالْوَانِ مِنَ الْأَلَمِ

وَلِنُعَاطِ الْهُوَى، لَعَلَّ عَصِيراً  
مِنْ ثَمَارِ الشِّفَاءِ وَالْأَكْبَادِ  
أَوْ لَعَلَّ الْآثَامَ تَشْرَبُ مِنَّا  
مَا تَبَقَّى مِنْ طَهْرِ مَاءِ الْعِمَادِ

إِنَّا اتَّحَدْنَا لِيَوْمٍ وَاحِدٍ، وَغَدَاً يَأْتِي فَيُخَلِّفُنِي قَوْمٌ بِجِبِهِمْ  
سَيَعِشِقُونَكَ يَوْمَماً يَغْنَمُونَ بِهِ مَا غَادَرْتُ مِنْكَ سَاعَاتِي لِلِيلِهِمْ  
وَسَوْفَ تَنْسِينَ، يَا أُخْتَ الدِّمَاءِ، فَهَمَّ عَشْرُونَ قَلْباً، شَرِبْتُ الْحُبَّ مِنْ دَمِهَا  
إِذْنِ، فَسَوْفَ تَظَلُّ النَّفْسُ جَائِعَةً حَتَّى يَجِفَّ دَمٌ فِي غِلْفِهَا النَّهْمِ  
كَمَا نَسِيتِ، عَلَى رَغَمِ الدِّمَاءِ، فِي مَا شَبِعْتَ، وَلَمْ يُشْبِعْكَ شَرْبُ دَمِي

\* \*

سَتَرْجِعِينَ... وَلَكِنْ مِثْلَ آمَالِي جَوْفَاءَ، مَشْلُولَةً فِي جِسْمِكَ الْبَالِي  
سَتَرْجِعِينَ، مَدْمَاءَةً مَشْوَهَةً أَدْنَى إِلَى الْمَوْتِ مِنِّي رَغْمَ أَثْقَالِي

سترجعين ، ولا أقصيك عن جسدي حتى تحلّ الليالي الحمر أوصالي  
حتى يحلّ وباء الخلد في كبدي ويعلق العار من بعدي بأذيالي

غير أني ، ولي يراع مدمي ،

سوف ينقي ذكري وتنقي دمائي

ستقول الأجيال : كان شقياً

فليقدس في جملة الأشقياء

ويرفع الحب لي ، في كل زاوية من القلوب ، ضريحاً خالداً عالي  
أما الشباب ، ففي أقصى سلالته لن ينتسي كيف كانت في الهوى حالي  
سينظر الغد في أمسي ، ويغفره لأن قلبي ، كنفسي ، غير محتال  
وكلماً ذكر أسمي ، مرّ في فمه ذكر التي صقلت للموت أغلامي  
ذكر التي اختصرت عمري بشهوتها وخلدت عهرها الدامي لأجيال

\* \*

أجل ستذكرك الأعقاب والحقب ما دام في الأرض ، من صلب الزنى ، عقب  
لا مثلاً ذكر الإفرنج «لورهم» ولا كما ذكرت «عفراءها» العرب  
بل مثلاً ذكرت روما قبائحها في مقلتي «مسلينا» وهي تضطرب  
هذا هو الليل ، فآستي السم هاتفة لعل في الناس قوماً بعد ما شربوا  
وسرحي يدك الصفراء ، فوق هوى يسيل في محجريه الجهد والتعب

ولتكن هذه الإشارة رمزاً

لاصفراً على الملذات مرّاً

لونها بالاصفرار الى أن

## يُخْتَمَ الموتُ نزعَها المستمرًا

أطفئُ ضيالكَ ، فإنَّ النورَ يُذكرني أمسي ، وتقلق رُوحِي هذه الشهبُ  
قد يوقظُ النورُ أعياداً مقدَّسةً تشعُّ من خلل الماضي ، وتلهبُ  
أطفئهُ يا ليلُ ، وأغمرنِي بحالِكَةِ من الظلامِ ، فأنسى حين أحتجبُ  
أشقى بلذَّتي الحمراء في جسدي وأمحي ، لا هوى يبقى ولا وصبُ  
خرَّبْتُ قلبي ، وأطعمتُ الوحوشَ دمي في كلِّ مخلبٍ وحشٍ ، منها ، خربُ

## شهوة الموت

ناقمٌ على السماء	حاقدٌ على البشر
ساخطٌ على القضاء	ثائرٌ على القدر
غيرَ قطرةِ المساء	لا أحبُّ في السحر
صرتُ أمقتُ الصفاء	صرتُ أعشقُ الكدر
غيرَ مشهدِ الدماء	لا أحبُّ في الصور

ناقمٌ على السماء والبشر!

\* \*

جملي لي الجسد	وأسكي لي الرحيق
لا تفكري بغد	قد يجي، ولا نفيق
ما لنا وللأبد	إن سرّه عميق
ألهوى إذا اتقد	كان لليلي طريق
فلنمت يداً بيد	ولنغيب البريق
بين شهوة الجسد	والرحيق!

## حديث في الكوخ

سمعتني أقول شعراً شقيّاً يستفزّ الآلامَ في سامعيهِ  
فتلاشت، وتمتّت في سكون الـ ليل: «الله! ما الذي يشقيه؟»  
ثمّ أخفّت، في ضفة العين، دمعاً شاء سرّ الوقار أن تخفيه

\* \*

قلتُ: «في مقلتيكِ خمر العذارى فهي أكسركِ الذي تحجبيهِ  
ما خمر الكؤوس، مهما تلظّت كخمر القلب الذي تعصرينه  
تسكين الشعر الطروب من العيـ ين، وفي النفس غير ما تسكينه  
إنّ فيها آياتِ حزنٍ أليمٍ ورموزاً من الليالي حزينة!»

\* \*

وتمادى السّمّار في خمرة الكأ سٍ وكلّ منهم سها كأخيه  
وعزيفُ الأوتار، يمزجُ بالخـ رٍ عصيراً أرقّ من شاربـ  
قلتُ: «في مهجتي فراغ رهيب فاعصري فيه فلذة تملأه!»  
فأمالت عني عيوناً سكارى وأمالت إليّ قلباً شقيّاً

وأذابت، من مقلتيها، رحيقاً  
ثم قالت: «خبرتَ حُبَّ البغايا  
جرعته الشجون في مقلتي  
فنظمتَ العذابَ شعراً بغياً»  
فتبيّنتُ كلَّ ما أضمرته  
حين مالت عني، ومالت إليّ

\* \*

وتراءى في رفر الليل، مولو  
فأطلت من كوة الكوخ، واللي  
قلت: «في ما تفكرين؟» فقالت:  
دُّ عليه غلالة من أبيه  
لُ يزفُ الضحى إلى ساهريه  
«في سكون الدجى وفي ما يليه!»

\* \*

واشرأبت من الكوى الأعناقُ  
وأستفاقت، من نومهنّ، العذارى  
والعاشقون أستفاقوا  
وبطرف اللواحظ، العشاقُ  
وأستفاق الجميع من نشوة الخمرة حتى الآمال والأشواقُ

\* \*

قلتُ: «في ما تفكرين؟» فقالت:  
في يراعٍ سحرُ الهوى من ذويه  
صرتُ أهواه، صرتُ من عاشقيه!  
فذكرتُ الماضي، وقلتُ لقلبي:  
«إنها يا شقيّ، تهواك فيه»

\* \*

أيها الفجر، يا حبيب الشقيّ  
أيها الشاطئ المسرّ إلى المو  
ن، ويا مشعل الهوى والشباب  
ج حديث العشاق والأحباب



أيها الكوخ، والعيون السكارى  
لا تجسّي قلبي، فلم يبقَ فيه  
بخمورٍ لم تمتزج بعذابٍ  
من بناء الماضي، سوى أخشابٍ

\* \*

وأنصرفنا، وقبل أن أتواري  
قلتُ للمرأة التي آلتني  
عن جمال الشاطي، وعن ساكنيه  
«لي قلب أفرغته، فأتركيه»  
حين قالت «الله! ما يشقيه؟»:  
في الهوى فارغاً ولا تملأه!

١٩٢٩

## الصلاة الحمراء

رباهُ ، عفوكَ ، إني كافرُ جانٍ      جوعتُ نفسي ، وأشبعْتُ الهوى الفاني  
تبعْتُ في الناسِ ، أهواءَ مُحَرَّمَةٍ      وقلتُ للناسِ ، قولاً عنه تنهاني  
ولم أُفِقْ من جنونِ القلبِ في سُبُلِي      إلا وقد محتِ الأهواءُ إيماني  
رباهُ ، عفوكَ ، إني كافرُ جانٍ !

\* \*

لكم دعَنتُني إلى الفحشاءِ أميالُ      وأنذَرْتُني تجارِبُ وأهوالُ  
إن التجارِبَ للألْبَابِ موعظةُ      لكنها ، لأُلي الأضلالِ ، أضلالُ  
تلك الليالي المواضي ، لا يزال لها      بين الخرائبِ ، في عيني ، أطلالُ  
وآحسرتها ! وقلبي لا يزال له      في لذة العارِ أوطارُ وآمالُ

\* \*

لما استفاقت عيوني      في ذلّتي وهواني  
عزمتُ أن أتعرّى      من شهوتي ، فثناني  
وقال لي : «الحكم حكمي      والأمر ، طوع بِناني

لا تستطيع التغني	في الحب عن سلطاني
والحب لا يتغذى	إن لم يكن شهواني»
فلم أجد لي مفيضاً	يوماً من الإذعان
فصرتُ أغذوه عاراً	والنفسُ في تيهانٍ
وصار يُسكر روعي	بنغمتي خفقانٍ
بنغمةٍ من لهيبٍ	ونغمةٍ من دخانٍ
حتى ظننتُ نعيمي	في ذلك البركانِ

رباهُ، عفوك، إني كافرُ جانٍ !

\* \*

وطأت لي كنفَ الدنيا ، فقلتُ : قبي	يا نفسُ في منهلِ اللذاتِ ، وأرتشي
ومال مذهب طبعي عن سجيته	حتى تقلّب في بطل ، وفي صلفٍ
وغابَ عني أني عشبةٌ نبتتُ	على جوانبِ إبريقٍ من الخزفِ
على جوانبِ إبريقٍ ، إذا نظرتُ	عين إلى عتقه ، انحطّت على تلفٍ

فخّارةٌ ذاتُ نتنٍ	قديمة كالزمانِ
مرّت قرون عليها	فحال لون الدهانِ
ومهدّ النتنُ فيها	مساربَ الديدانِ
فخّارةٌ دنسُها	خواطر الإنسانِ
تخاصمت جانيها	مظالم الأديانِ
كأنما الدينُ فيها	ضرب من الويلِ ثانٍ
كم مرةٌ أوعدها	ثوائر الغليانِ

وكم تفجّر فيها	بالأمس من بركانٍ
تبقى قروناً طوالاً	وتمّحي في ثوانٍ
خزّافها ذو حنانٍ	حيناً وذو سلطانٍ
ينهى ويأمر بالصا	عقات والنيرانِ
ديدانها مسكّرات	بخمرة التيجانِ
والتاج لو هي تدري،	معنى من البهتانِ

ربّاهُ، عفوك، إني كافرُ جانٍ!

\* \*

فخّارةٌ، جُبِلَتْ بالدمعِ والطينِ	من عهد قايينَ، أو من قبلِ قايينِ
نيرونُ أضرمَ فيها جمرَ مقلتهِ	تلك البراكينُ من أجفانِ نيرونِ
تبادرتّها، من الديدانِ، طائفةٌ	أبطال حرب من الغلب المجانينِ
ما كان إسكندرُ فيها سوى شبح	يحجّب الشمس عن عيني ديوجينِ

ما كان جنكيز إلا	شرارةٌ في الكيانِ
تضرّمت وتوارت	بين الرّمادِ الفاني
ربّ المغول ، إله ال	نيرانِ والعصيانِ
ثارت عليه ، كما ثا	ر، سنّةُ النيرانِ
والنارُ تمحقُ إلا ال	تذكار في الأذهانِ
أبقت لفارسَ ذكرى	كسرى أنوشروانِ
وقوّضت ما بناه	من شاهقاتِ المباني
لم تُبقِ إلا بقايا	خورنق النعمانِ

تلك البقايا، عظات الـ  
تلك البقايا رموزُ  
أين الذي شيدتهُ  
حُلم من المجد أبقى  
شرعُ المقدر : ألا  
أما الكمال ، فحلمُ  
يُرقى إليه رويداً  
على الإرادة والتضد  
حتى إذا حُكَّ كان الـ  
وكان للنار رأيُ  
أم الزلازل ، طوا  
آثارها باقيات  
والناسُ ، وآحسرتاهُ!  
أعمى له مقلتان  
ومبصرُ أظلمتهُ

زمانٍ للإنسانِ  
لسخریات الأماني  
جلائلُ الرومانِ ؟  
أسطورة في اللسانِ  
يبقى سوى الحُسرانِ  
في هجعة النقصانِ  
على متونِ الزمانِ  
حياتِ والعرفانِ  
كلامُ للطوفانِ  
وللدمارِ يدانِ  
فةٌ بكلِّ مكانِ  
وقفاً على الأجفانِ  
إثنانِ مختلفانِ :  
في العقلِ مبصرتانِ  
عينانِ لا تَريانِ

تُرى ، مشيئتك العليا تنادينني  
رباهُ ، هل ينتهي حلمي ببارقةٍ  
وهل أرى زاحفاً في الليل ملتهباً  
أدعوك ، والظلمةُ الحمراء تحرقني ،  
أعرضتُ عنك ، غداة القلب ضللتني  
وحين أوقظتُ من سكر الهوى خجلاً

بثورة النار في تلك البراكين؟  
من اللهبِ ، ويخبو الطينُ في الطينِ؟  
بجمرة السخطِ في أيدي الشياطينِ؟  
فلا تجيب ، وتلوي لا تنجيني  
كأن شهوة قلبي عنك تغنيني  
بحثُ عنك ، وكادَ العار يخفيني

وقلتَ: «تطلبني بين المساكين؟»

تكفيرٍ عن تَيْهَانِي  
كَثِيرَةِ الْأَلْوَانِ  
مُخَضَّبَاتِ بَقَانِ  
فِي الْمَوْبَقَاتِ عَنَانِي  
وَعَيْنُهُ لَا تَرَانِي  
يَنْقُضُ قَبْلَ الْأَوَانِ  
وَالْحُكْمَ لِلدِّيَانِ  
لِدَفَاعٍ عَنِ كُفْرَانِي  
عَنِّي سِوَى بَهْتَانِي

فَلَمْ تُحْمِلْ قَلْبَكَ الرَّحْمَنُ عَنِ أَلْمِي

لَكُنِّي عَدْتُ بَعْدَ الْ  
إِلَى ذُنُوبِ جَسَامِ  
مَلُوثَاتِ بَدْمَعِ  
وَقُلْتُ لِلْقَلْبِ: «أَطْلُقْ  
طَيْفَ الْإِلَهِ بَعِيدِ  
وَقِيلَ يَوْمَ عَصِيبُ  
تَنْفُذِ النَّارِ فِيهِ  
فَرَحْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي الْ  
فَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَحَامِي

رَبَّاهُ، عَفْوِكَ، إِنِّي كَافِرٌ جَانِ!

## الدينونة

حوّل خيالك عني      ولا تخيّم عليّ  
فليس أهلك منّي      ولا اللظى من يديّ  
لم أغش في النفس مأثم      ولم أنادم رجالك  
إيليسُ ليست جهنّم      داري، فحوّل خيالك

\* \*

قيشارتي لم ألطّخها بأقذار      على طوافي بها في بؤرة العار  
عذراء تتهم العرى بكارتها      في كل خمّارة أصغت لأوتاري  
وكلّ قاذورة، ترقى بعورتها      الى لسان ذريف الخبث سيّار  
تنكّر الخفر المسوخ في دمها      بزخرف عاقر، في منطق عار  
أوتار قيثارها الموبوء، فاجعة      كأنها حيّة لاذت بقيشار  
أفعى، أصيبت بحمّى الجحد، فانقلبت      من كهفها مِرْقاً سكرى على الغار  
إيليسُ، خذ هذه العرى، فإن بها      ما في جحيمك من زفت ومن نار  
خذها إليك وعقمها، فلا حبلت      أنثى من الأنس، بالكبريت والقار

\* \*

فراح يَملي بأنياب وأظفارِ  
معرف الشهوة السفلى بأزهارِ  
نَمَت سموماً على نحافاتٍ أوجارِ  
على الخفافيش في أشلاء أطارِ  
قامت لتأييده في ملكه الهاري  
فصاح : تلك على الأجيال آثاري  
فعينه للهوى ، والقلبُ للثارِ  
من صلبه أسرة شوهاء في دارِ

كم شاعر خبثت فيه عرائسه  
من المواخير أوحين الجمال له  
وجشنه بأكاليل مفعجة  
تاج من الدرك الأدنى يطوف به  
تسير في ركبته الأقزام : حاشيةُ  
تهتكت سُخْرِيَّاتُ الخلود به  
لا يضمّر الحبّ إلا في محاجره  
إبليسُ، خذه وعقمه ، فلا نشأت

\* \*

عَلَّت من الملا الأعلى بأنوارِ  
ثدي السماء رضاعَ الفاطر الباري  
وقامَ يَطرحها عن جسمه الضاري  
إما الضريحُ ، وإما العار ، فأختاري  
ترغي على زهده أرياقَ عشارِ  
فأظهرت حملاً في قلبِ جزّارِ  
وأرفع جناحك عن أبكار أوتاري  
وعقم النار ، يا إبليسُ ، بالنارِ

كم عاشقٍ راغ من عذراء طاهرة  
باكورة الحبّ ، أبقى في مراشفها  
حتى إذا أدنأت فيه ، وفاجرها  
أهوت على يأسها ، واليأسُ ينخرها :  
وكم وليّ رعى شعباً ، فأهلكه  
وحاكم ، سفلت فيه وداعته  
إبليسُ ، خذهم جميعاً في براقيهم  
خذهم إليك ، فلا عادت سلاتهم

\* \*

ولا تخيم عليّ  
ولا اللظى من يديّ

حوّل خيالك عني  
فليس أهلك مني



لم أغش في النفس مأثمٌ      ولم أنادمُ رجالكُ  
إبليسُ ، ليست جهنمُ      داري ، فحول خيالكُ

\* \*

وما سرى في مقاصير اللظى خبرُ  
إنّ الورى أطلقوا ريحاً إلى سقرِ  
حتى أطلّت ، من الأشباح ، طائفة  
بله العيون ، ضخام ، كلما وغلوا  
تجرهم بومة حمراء في يدها  
فشار ثائر أهل النار كلهم  
تدفقت من سراديب الجحيم إلى  
وكان في موكب الأشباح ذو بطر  
عليه قيشارة ثكلى ، مخلّعة  
يلقي على غرف النيران أخيلة  
فما أصاخ الى الأنغام ، يعزفها  
وصاح : « ما هذه الرؤيا ، وأين أنا ؟ »  
حملت قيثارة ، في الأرض ، كاذبة  
وريشة من جناح البوم ، مارست  
فأنت لي ، وجحيمي لي ، أوزعه

حار اللهبُ به ، واستسألت سقرُ  
تقود للنار قوماً دانه البشرُ  
في هودجٍ يتنزى تحته الشرُ  
في مسرب من دياميس اللظى ، صغروا  
فأس على جانبيها صوّر الدعرُ  
وجيشت زمراً في إثرها زمراً  
أيوان إبليس حيث الجنّ قد سكروا  
يفتح في شفتيه حية ذكرُ  
وصولجان ، من الأحلام ، منكسرُ  
من ثوبه الأحمر القاني فتستعرُ  
رهط من الجنّ ، حتى مسّه خدرُ  
فقال إبليسُ : « مهلاً هذه سقرُ  
من الحقيقة لم ينبض بها وترُ  
إلا خفافيش بالدياج تستترُ  
على الألى ، أنشدوا شعراً وما شعروا »

\* \*

وكان في موكب الأشباح ذو صلفٍ  
يجرّ ذيلَ قوانين مشوهةٍ  
فقال إبليس: «أطرق، إن من سفلت  
فأنت لي، وجحيمي لي، أوزّعه

في كفه سلع، في عينه قدرُ  
من الفضيلة لم يعلق بها أثرُ  
يداه في الأرض، لا يعلو له بصرُ  
على الألى أقسموا للشعب وأبتهروا»

\* \*

وكان في موكب الأشباح ذو خطَلٍ  
في مقلتيه، براكين مرّدة  
فقال إبليس: «أقصر، لم تكن غَضِباً  
فأنت لي، وجحيمي لي، أوزّعه

يرغي ويزبد لا يبغي ولا يذرُ  
وفي الجبين، خيال الله يندحرُ  
في منطق الرسل الآيات والسورُ  
على الألى، ما جزوا إلا ليثثروا.»

\* \*

وكانت الخمر ترغي في مقاصفها  
إذا بصوت من الأرض التي صفحت

والجنّ تعزف، والنيرانُ تنفجرُ  
يقول للنار: «أهل الأرض قد غفروا»

## الطرح

رَحِمُ الأمِّ ، لعنةٌ ، أنت منه  
أم عقاب لما تسحق من حُ  
حملت أمك القنوط إلى وج  
جئت في سحنة المسوخ ، فلم حط  
ألأني بذلت حبي ، ولم أط  
عشت في مقتلتي . ساعة هول  
وأرثني ، كأنني في جُشام ،  
فرايت المسخ الخفيف على أك  
ولسان الثعبان في قبلة الصّد  
وسمعتُ الفحيح في النغم العذ  
كم نفوس رأيتها ، تلفظ الأثر  
لذة الإثم ، كيف تمقتها النف  
كم فتى يسعر الجحيم بعينه  
ولقد ينصر الجحيم ، فيردى

في دمائي كانت ، وفي أعراقي ؟  
سبي ، في لذتي ، وفي أشواقي ؟  
هي وكنت الرجاء في أعماقي  
مت حلماً ، نما على أحداقي ؟  
عمك منه ، سوى الفتات الباقي ؟  
حجرت غصتي على إشفاعي  
عالماً فيك موحش الآفاق  
حمل حُسن ، والقزم في العملاق  
ديق والسّم في الشراب الوافي  
ب صوت العدو في الميثاق  
سم ، فيرقى منها إلى الأرياق  
س ويحلو عصيرها في المذاق ؟  
ه وفي القلب ، للسماء ، مراق  
بعضه ما يبعضه من خلاق

وسمعت الحياة تهتف في نفـ  
«أهلك المائتون في رَحْمِي الحُـ  
فطرحتُ الأقزامَ في أسواقـ  
ورأيتُ الفردوسَ لفت أفاعـ  
وتراءت لي الطبيعة ، دنـ  
فرأيتُ الجهاد شبعان حُبّاً  
إنَّ في الحُبِّ، صورةَ الله، لكنْ

سي فيصدي الهتاف في أبواقـ :  
بَّ وسمّوا الزلال في تـ  
عبراً للدمار في العشاقـ  
ه غصوني ، وكمشت أوراقـ  
من كمال ، نسيقة الأذواقـ  
كلُّ صدرٍ عليه ثديُّ ساقـ  
أين في الخلقِ ، صورةُ الخلاقِ؟»

# الأُحْثَانُ

الطبعة الأولى

١٩٤١



## الحصادون

الراعي :

حقولنا سهولنا، كلُّها طربُ، كلُّها غنى  
الشمسُ فيها ذهبُ ، والسواقي مُنى.

الحصادون :

الى الحصادِ  
جَنَى الجهادِ  
قلبُ البلادِ  
يحيا بنا  
هيا آحصدوا، وأنشِدوا: الحُبُّ قلبٌ ويدُ  
والعمرُ زرعٌ وجنى

حقولنا سهولنا، كلُّها طربُ، كلُّها غنى  
الشمسُ فيها ذهبُ ، والسواقي مُنى.

الراعي :

جبالنا نحُبُّها  
هذي العيونُ ، قلبُها  
هذي الجنانُ ، خصبُها  
حُلِيِّها : التفاحُ والعنبُ  
أَلحَانُها : الرياحُ في القَصَبِ  
وكلُّها لنا ، وللبنينِ بَعْدنا

الحَصَادون :

صَغِيرَةٌ بينَ الثُّولِ  
كَبِيرَةٌ مِثْلُ الأَمَلِ  
كانت لنا ولم تَزَلْ  
بِلاَدُنا : أَجدادُنا أولادُنا !

زَلالُها تَرياقُ ، تُرابُها أَخلاقُ ، وشَمسُها ذهبُ  
حُلِيِّها : التفاحُ والعنبُ  
أَلحَانُها : الرياحُ في القَصَبِ  
وكلُّها لنا ، وللبنينِ بَعْدنا  
هَيَّا أَحْصِلُوا ، وَأَنشِدُوا : أَلْحَبُّ قَلْبُ وِيدُ  
والعمرُ زرعُ وجنى



## الْحَانُ الشِّتَاءُ

أَمْطِرِي وَأَعْصُنِي  
وَأَرْقُصِي وَأَعِزِّي  
وَأَخْلُقِي الْجَمَالَ  
وَأَنْسِجِي الْحَيَالَ

الْقَمْحُ فِي أَعْدَانِنَا  
وَالزَّيْتُ فِي قِلَالِنَا  
وَالسَّيْنُ فِي السِّلَالِ  
وَكُلُّهَا حِلَالٌ، مِنْ  
جِبَالِنَا

\* \*

عَادَتِ الْمُزْنُ إِلَى الْأَرْضِ، وَبَاحَ  
بِالْأَعَاصِيرِ وَبِالثَّلْجِ، الْجِبَلُ

في الثرى جهدٌ ، وفي الجوّ كفاحٌ  
وعلى الدّنيا ، أُماني وأملٌ

فالشجرُ نشوانٌ ، ما  
نَفَضْتُ عنه الصِّبا إِلَّا عَسَلُ  
والمَطَرُ من السَّما  
على الأرض ، قُبَلُ

\* \*

أَمْطَرِي ، عَطَّرِي  
بِالْدَّمِ الْأَخْضَرِ  
بُرْعَمِ الزَّهَرِ  
وَأَمْلَأِي الثَّمَرِ

خَمُورُنَا فِي الْحَايَةِ  
جَنَى كَرُومِ الرَّايَةِ  
وَعِنْدَنَا الْكِبَرُ  
وَالْحُبُّ وَالْحَفَرُ وَالْعَافِيَةُ

\* \*

فَجَرَّ الْبَرْقُ مِنَ اللَّيْلِ جَرَّاحُ  
سَقَتِ النَّبْعَ زُلَالاً ، فَجَرَى

للربيعِ الطفلِ، عطرٌ في الرياحِ  
فارقُبي فيها الجنينَ الأخضرِ  
وأصطلي، في النارِ دفءٌ وهنا  
واللهُ يرعى طفلَنا  
أنتِ لي، والحبُّ والدنيا لنا

\* \*

خمرُنا في الحايه  
جنَى كرومِ الرايه  
وعندنا الكِبَرُ  
والحبُّ والخفرُ والعافيه

والقمحُ في أعدالنا  
والزيتُ في قلالنا  
والتينُ في السلالِ  
وكلُّها حلالٌ، من  
جبالنا

## الْحَانُ الرَّبِيعُ

نَمْ يَا حَبِيبِي نَوْمَ الْهَنَاءِ  
نَامَتْ عَيُونُ الزَّهْرِ  
وَنَامَ إِلَّا الْمُنَى وَالْقَمَرُ  
حَتَّى النَّدَى نَامَ وَالنَّسَمُ  
نَمْ يَا حَبِيبِي ، نَمْ

النَّهْرُ فِي الْوَادِي  
وَالْغَصْنُ وَالشَّحَرُورُ  
وَالْبَلْبَلُ الشَّادِي  
وَكُلُّ حَيٍّ نَامَ ، إِلَّا الْعُطُورُ  
وَالْهَيَامُ فِي فُؤَادِي

\* \*

قُمْ يَا حَبِيبِي ، لَأَحِ الضُّحَى

وباح: بالفَلِّ والأَقاخِ  
والوردُ في كُفِّهِ صَحَا، معَ الصِّباحِ  
وللصِّبا أريجٌ، من الرُّبى والخَلِيجِ  
هَبَّ عَلَيْنَا نَبَأُ كَأَنَّهُ عَنَّا  
أَذَاعَهُ التَّسْرِينُ والْيَاسَمِينُ والحَنَّا

قُمْ يا حَبِيبِي، يَدُ الظَّلَامِ، ودَّعْتَ مَهْدَكَ  
وخمرةُ الأحلامِ، ورَّدْتَ خَدَّكَ

\* \*

عُدْ يا حَبِيبِي، عادَ القَطِيعُ وغامتِ الدُّورُ والمِغاني  
وأنقلُ لِقَلْبِي من الرِّبيعِ، ما حَدَّثَ العِطْرُ والأَغاني

لأرجوانِ النِّهارِ في وِجنتِكَ  
ألوانُ

ومن حنانِ الهِزارِ في مِسمَعِكَ  
ألحانُ

والزَّهْرُ في بَهْجَةِ الشَّجَرِ يَلُوحُ تَكْوِينُهُ عَلَيْكَ  
رَأَيْتُهُ يانِعَ الثَّمَرِ في مُقْلَتِكَ

## الحن الصيف

أقبلَ الصيفُ وألقى في البطاحِ ، رحلَهُ  
قَوْنَا ، يا ربُّ ، وأجعلنا صِحاحُ ، مثلهُ  
وأجعل القلبَ نقيّاً كنسيمهُ  
وأسقنا الإيمانَ حياً من كرومه  
وليكنْ لنا ، زهرهُ قُبَلُ  
أرضه جنى ، شمسهُ أملُ

\* \*

للربى ظلُّ على الوادي بهي  
وعلى السَّهلِ عطورٌ وضياءُ  
ومن الجدولِ ترجيعُ شهيّ  
ترفعُ الإنسانَ أو تُدني السماءَ

والصَّخُورُ ، منتهى ماضٍ عظيمٍ رَمَدَا  
صُورٌ أبقت وجوهَ المُرَدَا

والنسور، تسأل الأجواء:  
أين كان الأقوياء؟

\* \*

والمراعي في النهار  
أيُّ بحرٍ أخضرٍ

واذا ما أقبل الليلُ الطَّري  
فعلى الأفقِ، من الزَّهر، غُبارُ  
والضُّحى يمشي الهوينا  
في الرُّبى، والصبَّاء  
تحمِلُ العطرَ إلينا  
من خلود الزَّهرِ، وعصيرِ الثَّمَرِ

## الحن القريه

أرجعْ لنا ما كانْ يا دهرُ في لبنانْ  
كانتْ لنا أحلامنا والمُنَى  
وكان صفوُ الزمانْ

كان الضمير الهني  
من كنزنا المزمين  
وراحةُ الوجدانْ  
وكان... كان الأمانْ  
والعيشُ حلوَ الجنى  
يا دهرُ أرجعْ لنا  
ما كانْ في لبنانْ

\* \*

أرجعْ إلى الأحداقْ  
أطيافها المبعدهْ



ولليالي الوجاقُ والموقدَه

أرجع إلينا الصاجُ  
والجرنُ والمهباجُ  
وخصبنا في الرُّبى  
ونورنا في السراجُ  
وأسترِجِعِ الكَهْرَبَا  
وكاذباتِ الغنى  
يا دهرُ أَرَجِعْ لَنَا  
ما كَانَ في لبنانُ

\* \*

ذاك النيذُ العتيقُ في الخايه  
وذلك الإبريقُ يَهْشُ في الزاويه  
والترجسُ المستفيقُ في الآنيه  
والريحُ لصُ مرقُ على رؤوسِ الحبقُ

كأنه ما سرقُ  
كأنه ما جنى  
يا دهرُ أَرَجِعْ لَنَا  
ما كَانَ في لبنانُ

\* \*

أَرْجِعْ إِلَى الْوَادِي  
فَلَّاحَهُ الْغَادِي  
وَطِيرَهُ الشَّادِي  
وَالرَّفْشَ وَالْمَعُولَا  
وَالْمَوْسَمَ الْمُقْبِلَا  
إِلَى الْقُلُوبِ الْبَاسُ  
إِلَى الْعَيُونِ الْجَمَالُ  
وَعِزَّةً لِلنَّفْسِ  
وَرَاحَةً لِلْبَالِ

أَرْجِعْ لَنَا وَجْهَنَا  
يَا دَهْرُ أَرْجِعْ لَنَا

مَا كَانَ      فِي لَبَانٍ

## الحن الطيور

الطيور :

نحنُ الحانُ الجنانِ  
نملأُ الدنيا أغاني  
في الفرداسِ وفيها  
أعينُ الحبِّ رَوانِ  
ريشُنا من عسجدٍ، من  
أرجوانٍ ، من جُمانِ  
صبغةُ الحسنِ علينا  
وعلى هذي المغاني

الشحور :

أنا الشحورُ أرقصُ الوادي حُبورُ  
أملأُ الغصنَ حياةً وشعورُ  
في حناني دسمُ الخمرِ وشذا العطرِ  
والأمانِي

كلُّها للحُبِّ تجري من لساني

الحسُون :

أنا الحسُونُ أَمَلًا الحَقْلَ جنونُ  
في تلاحيني وفي ريشي فتونُ  
يستفيقُ الصبحُ سكرانَ على صوتي الحنونُ  
ودُمى الزهرِ على حسني عيونُ

البلبل :

أنا البلبلُ أَرْمُقُ الوحيَ فيَهْمَلُ  
في لساني خضرةُ الغارِ وأعرافُ القَرْنَفُلِ  
شاعرٌ غنيتُ كلَّ حسنِ يَتِ  
من مبيتِي في الحميلةِ  
أُنشدُ الدنيا فتغدو مثلَ ألحاني جميلةُ

الحجل :

أنا الحجلُ ريشي ألوانُ الجبلِ  
على تُديّ الأرضِ أُلْقِيهِ قُبْلُ  
حَلَقِي الصَّدَاحُ أُرْغُنُ الوادي  
مُونِسُ الفَلَّاحُ والغادي !!

## المعصرة

يا عَيْنُ شَكَلَ الدُّمَى لَوْنُ السَّمَاءِ  
والذهبُ

اليومَ فيكَ النَّدى حَلَوَى، وخمرٌ غَدَاً  
عليكَ رُؤْيَا الحَبِّبِ  
يا عَيْنُ

\* \*

إعصروا العَيْنُ وَأَمْلَأُوا القِرْبُ  
شمسُنا نَدَى خمرُنا أَدَبُ!  
فيكَ انْعَصَرَ رُوحُ النُّجُومِ والقمرُ  
وفي الكرومِ مَرَّ النسيمِ فاختمِ  
وفيكَ ذَابَ الصَّبَاحُ مُعَطَّرَ الأَقْدَاحِ  
ودبَّ فيكَ اللَّهَبُ  
يا عَيْنُ

\* \*

إِعْصِرُوا الْعِنْبُ      وَأَمْلَأُوا الْقِرْبُ  
 شَمْسُنَا نَدَى      خَمْرُنَا أَدَبُ !  
 النَحْلُ لَاهٍ      سَكَرَانُ سَاهٍ  
 وَمَنْ فَمِكَ      يَمْتَصُّ حَلْوَى دَمِكَ  
 أُعْطِيَ أَنْقَى عَصِيرٍ      وَهَبْتَ أَشْهَى عَيْرٍ  
 وَلِلنَدَى مَا تَهَبُ  
 يَا عِنْبُ

\* \*

إِعْصِرُوا الْعِنْبُ      وَأَمْلَأُوا الْقِرْبُ  
 شَمْسُنَا نَدَى      خَمْرُنَا أَدَبُ !  
 فَجَرُ الْجَبَلِ نَدَى عَلَيْكَ أَحْلَى قُبَلِ  
 وَمَا أَتَصَلُ بِوَجَنَّتَيْكَ حَتَّى أَشْتَعَلَ  
 هَيَّا أَعْصِرُوهُ وَعَتَّقُوهُ  
 يَكُنْ نَبِيلاً إِذَا أَنْتَسَبُ  
 وَلَيْسَ أَصْدَقُ      مِنْ الْمُعْتَقِ  
 يَا عِنْبُ

## الفلاح

زَارَعَ الحَقْلَ فِي البُكُورِ  
عَيْشَكَ الدَّهْرُ أَخْضَرُ  
أَنْتَ فِي هَيْكَلِ الزَّهْوَرِ  
فِيْلَسُوفُ مُفَكِّرُ

\* \*

سَيِّدَ الْمَنْجَلِ الْحَقِيرِ  
أَنْتَ لِلنَّاسِ سَيِّدُ  
مَنْ ذِرَاعَيْكَ لِلْفَقِيرِ  
حَبَّةُ الْقَمْحِ تُولَدُ

\* \*

مَاؤُكَ الطَّاهِرِ الزَّلَالِ  
مَنْ سَوَاقِيكَ يَقْطُرُ  
كُلَّ مَا تَقْنِي حَلَالِ

بِأَسْمِكَ الْخَيْرُ يُذَكَّرُ

\* \*

أَنْتَ وَجْهُ مَخْلُودٍ  
لِلْجُدُودِ الْمَخْلُودِينَ  
مِثْلَهُمْ سَوْفَ تُلْحَدُ  
طَاهِرَ الْعَيْنِ وَالْجَيْنِ

\* \*

يَا بَعِيداً عَنِ الْبَشَرِ  
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ  
تَعْرِفُ الْمَاءَ وَالْحَجَرَ  
وَالْأَعَاصِيرَ وَالزَّهَوْرَ



## نهر الصليب

هُوَذَا الغَابُ ، والمجاري الجميلةُ  
والصخورُ الأطوَادُ ، والأدواحُ  
هوذا الكوخُ في ظلالِ الحميلةِ  
يتلاقى فيه الشذا والرياحُ  
هوذا المرجُ ، والمواشي كما كا  
نت ، وهذا غُدُوها والرَّواحُ

\* \*

هوذا الدلبُ ، والغصونُ الخِفَافُ  
حَابِكَاتٌ خِيَامَهَا للضيوفِ  
هوذا الظلُّ ، ظلُّهَا المِضْيَافُ  
كَرْدَاءِ مُلْقَى بِشَكْلِ لَطِيفِ  
بَيْنَ طَيَّاتِهِ وَعَنْ جَانِبَيْهِ  
يَهْرَبُ الْمَاءُ بَارْتِعَاشٍ خَفِيفِ

\* \*

هوذا النحلُ خارجاً من قفيره  
يرتدي الشمس حلةً من بريق  
سكب الغابُ في أغاني طيوره  
نغمةً من طنينه الموسيقى  
هي هذي مشاهدُ الأمس ، لكن  
أين زهوي ، وأين قلبي الحقيقي ؟

\* \*

زرتُ نهرَ الصليبِ أمسِ لأسمعُ  
كيفَ ينسابُ ماؤه الكوثرِيُّ  
فرآني صفصافه ، فتقنَّعُ  
بضبابٍ كأن وجهي نعي  
قلتُ للقلبِ : يا شقيُّ ، فرجَّعْ  
شاطئُ النهرِ هاتفاً : يا شقيُّ !

## المساء في الجبال

عرائسُ الدلبِ على الشاطئِ  
يُذَوِّبُ النومُ بأحداقِها  
هادئةٌ كالنَّهَرِ الهادئِ  
تحلمُ في خُضرةِ أوراقِها

\* \*

ودوحةُ الرابيةِ الآمنةُ  
صامتةٌ، ماذا تُرى تَكْتُمُ؟  
ساكنةٌ، في الساعةِ الساكنةِ  
كشيخَةٍ في أمسيها تحلمُ

\* \*

لا حسَّ للشحورِ بينَ الورقِ  
والبلبلِ الثَّثارِ لا يُنْشِدُ  
والريحُ ملَّت في الحقولِ الأرقِ

فَهِيَ عَلَى أَعْشَابِهَا تَرْقُدُ

\* \*

أَسْمَعُ فِي الْوَادِي رَيْنَ الْجَرَسِ  
يُذِيبُ رُوحَ اللَّهِ فِي الْمُتَعِينِ  
فَتَنْحِي نَفْسِي وَيُصْغِي النَّفْسُ  
وَيَطْهَرُ الْحُبُّ وَيَنْقَى الْحَيْنُ

## عرس في القرية

آوْها...  
الحُسْنُ لَوْحٌ قفي خدَّ الحبيبِ أسرارُ  
آوْها...  
والحبُّ سَلَحٌ دمَ الغصنِ الرطيبِ بالنارِ  
آوْها...  
زينُ الشبابِ المِلاحُ فاملاً لنا الأقداحُ  
آوْها...  
وأنثرَ عليه التَّهاني والزَّبيبُ يا جارُ  
لي لي لي لي لي...

زفة العروس

في روجِكَ العذْبِ طراوه  
أنقى من الصُّبحِ شهيه

وفي معانيك حلاوه  
كضمة الفلّ نديّه

\* \*

حليّك الحبّ الصافي  
سيفُ الأبقاة الأسلافِ  
وأنتِ، دُرُّ الأصداغِ  
تفتّحت عنك طريّه

\* \*

لونُ السماء كلّك  
كالخلم زُرقة منديك  
حلاك من قلب حليّك  
فأنتِ كالحبّ غنيّه

\* \*

واديّنا، فأغنم يا زَيْنُ  
من واديّنا كُحَلَ العَيْنِ  
قانع، تُغنيه غَيْمَه  
واسع، تحميه خَيْمَه  
والزارع، يأبى ضَيْمَه  
واديّنا، فأغنم يا زَيْنُ!

في جَوِّ الوادي مَرَّهْمُ  
والحورُ العَالي سُلَّمُ  
فأَصْعَدُ وأَقْطِفُهُ وأَغْنِمُ  
من وادينا كحلَ العَيْنِ!

\* \*

آوَهَا...  
من ثوبِكِ الياسمينُ من جِيدِكِ المرمَرُ  
آوَهَا...  
أنفاسُكَ الناردينُ والمسكُ والعنبرُ  
آوَهَا...  
هَبَّتْ على العاشقينُ في روضةِ الوادي  
آوَهَا...  
وعطَّرتْ حُلَمَهُم في مهدِها الأخضرِ  
لي لي لي لي لي...

## عيد في القرية

حلقة الأطفال :

نَحْنُ الأَطْفَالُ عَصْبُ الأَجْيَالِ وَدِمَاهُنَّه  
نَقَلْتُ عَنْنَا نَسَمُ الآمَالِ عِطَرَ الْجَنَّةِ

نَهْرُ الْفَرْدَوْسِ جَرَى فِينَا  
نَسْقِي الأَعْمَارَ وَيَسْقِينَا  
وَنَرشُ الأَرْضَ تَلَا حِينَا

بائع الحلوى :

حَلَوَى المَعْلَلِ سَكَّرَ مُشَكَّلِ  
أَحْمَرُ أَخْضَرُ أَشْقَرُ  
غَزْلَانُ رَعِيَانُ مَلُوكُ الْجَانِ خَيْلُ الْعَرَبَانِ  
عَبْلِي وَعَتَّرَ حَلَوَى يَا سَكَّرَ



### بائع اللعب :

أنا بائعُ اللَّعْبِ    عندي العجيبُ العَجَبُ  
بابورُ مُسَلِّحٌ    شختورُ مُصَفِّحٌ  
عندي مدافعُ    عندي دوارعُ    وطياراتُ  
عندي قذائفُ    ودباباتُ  
عندي جياذُ    عندي قِوَادُ    عندي جُنُودُ  
شُغْلُ البلادُ

### حلقة الأطفال :

نحن الأطفالُ عصبُ الأجيالِ وِدْمَاهُئِنَّه  
نَقَلَتْ عَنَّا نَسْمُ الآمالِ عِطَرَ الجَنَّةِ

### صوت العيد :

وأنتمُ الصغارُ    من السما أزهارُ  
ما زالَ للملاكِ    في روحكم أسلاكُ  
أنتمُ وجوهُ السلامِ    للطهر أنتم صُورُ  
نُعمى على الأيامِ    وفي قلوبِ البشرِ

## صلاة المغيب

أَسْجُدِي لِلَّهِ يَا نَفْسِي فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ!

\* \*

هُوَذَا الْفَلَّاحُ قَدْ عَادَ مِنَ الْحَقْلِ الْجَمِيلِ  
فِي يَدَيْهِ الْمَنْجَلُ الْحَاصِدُ وَالرَّفْشُ الطَوِيلُ  
وَعَلَى أَكْتَافِهِ حِمْلٌ مِنَ الْقَمْحِ ثَقِيلُ  
فَهُوَ تَغْبَانُ فِي عَيْنِهِ آثَارُ اللَّهِيْبِ  
أَسْجُدِي لِلَّهِ يَا نَفْسِي فَقَدْ وَافَى الْمَغِيبُ!

\* \*

أَسْجُدِي لِلَّهِ وَأَسْلِيْ قَتْرَةَ ذِكْرِ الْعَذَابِ  
قَبْلَمَا تَرْحَفُ فِي الْوَدْيَانِ أَشْبَاحُ الصَّبَابِ  
وَأَسْتَعِيدِي ذِكْرِيَاتِ الْأَوْيَقَاتِ عَذَابِ  
لَمْ يَكُنْ مَاضِيكَ كَالْحَاضِرِ مُرْتَاباً كَثِيبُ

أُسْجِدِي لِلَّهِ يَا نَفْسِي فَقَدْ وَفَى الْمَغِيبُ !

\* \*

إِسْمَعِي الْأَجْرَاسَ فِي قُبَّةِ دَيْرِ الرَّاهِبَاتِ  
يَحْمَلُ الْوَادِي صَدَاهَا لِلنَّفُوسِ الزَّاهِدَاتِ  
فِيهِ أَصْوَاتُ حَنَانٍ وَبَقَايَا زَفَرَاتِ  
صَعَّدَتْهَا رَاهِبَاتُ الدَّيْرِ قُدَّامَ الصَّلِيبِ  
أُسْجِدِي لِلَّهِ يَا نَفْسِي فَقَدْ وَفَى الْمَغِيبُ !

## يا بلادي

يا بلادي لكِ قلبي لكِ آمالي وحُبِّي  
وجهادي  
يا بلادي !

\* \*

أنتِ هذا العطرُ يأتي  
من فمِ الوادي مع الصبحِ الطري  
أنتِ كلُّ الحُسنِ ، أنتِ  
نظرةُ الله إلى القلبِ البري  
وعيونُ الكوثرِ  
وسريرُ الأعصرِ  
وجلالُ الخلدِ بادِ  
يا بلادي !

\* \*

ينشرُ المجدُ عليكِ رايةً من مَفْرِقِكِ  
ويُنَادِي: يا بلادي!

عَبَقُ الإِلْهَامِ فَيْكِ  
مَالِيَّةُ أَرْضِكَ أَعْرَافَ السَّمَاءِ  
يَتَمَشَّى فِي بَنِيكِ  
فَهُمْ أَمْسِرُ مَلُوكُ شُعْرَاءِ  
وَرِعَاةُ أَنْبِيَاءِ  
وَأُبَاةُ حُلَفَاءِ  
وَهُمُ الْيَوْمَ مَعَادِي  
يا بلادي!

\* \*

قالتِ الدنيا: جِئِنِي لَمْ يَكُنْ لَوْ لَمْ تَكُونِي  
أَنْتِ كَالْفَجْرِ فَتِيَّةُ  
أَنْتِ كَالشَّمْسِ غَنِيَّةُ  
لَمْ يَهْنُ فِي رَاحَتِكَ الذَّهَبُ  
يَأْخُذُ الشَّعْرُ رَوِيَّةُ  
مَنْكَ وَالْحِكْمَةُ ، فَيْكِ الْأَدَبُ  
طَهَّرِي الْيَوْمَ دَمِي  
وَعْدًا كُونِي فِي  
يَسْتَرْحُ فَيْكِ رَمَادِي  
يا بلادي!



# نِداء القلب

الطبعة الأولى

١٩٤٤





## الإناء

عصرتُ فؤادي في إناءٍ من الهوى      وأدنيتهُ من مِرْشَفِ الفقراءِ  
فقالوا: «خمرٌ ما تُبرِّدُ غِلَّةً!»      فتمتعتُ: «واهاً أكبدَ الشعراءِ!  
أينكرُ حتى البؤسُ، ما فيك من غنى      وأيُّ غذاءٍ، أنتِ، للبؤساءِ؟»

\* \*

وذوّبتُ قلبي في إناءٍ من الهوى      وأدنيتهُ من مِرْشَفِ الرؤساءِ  
وقلتُ لهم: «هذا هو العدلُ، فاشربوا      لعلَّكم تُصغونَ للضعفاءِ!»  
فقالوا جميعاً عن إنائي وغمغموا:      «إنأوكَ محظورٌ على الزعماءِ!»

\* \*

وذوّبتُ قلبي في إناءٍ من الهوى      وأدنيتهُ من مِرْشَفِ السُّجَناءِ  
وقلتُ لهم: «هذا عزاءُ قلوبكم،      فللأبرياءِ التاعسينَ دمائي»  
فقالوا: «دماءٌ ما تحلُّ قيودنا      فهاتِ قوانيناً لغيرِ قضاء.»

\* \*

وَذَوَّبْتُ قَلْبِي فِي إِنَاءٍ مِنَ الْهَوَى  
وَقُلْتُ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ النُّورُ، فَاشْرَبُوا  
فَقَالُوا، وَقَدْ هَزَّوْا الرُّؤُوسَ شِمَاتَةً: وَأَدْنَيْتُهُ مِنْ مِرْشَفِ الْحُكَمَاءِ  
فَأَرَاؤَكُمْ فِي حَاجَةٍ لَضِيَاءٍ.»  
«ضِيَائُكَ هَذَا خِدْعَةُ الْجُهْلَاءِ.»

\* \*

وَذَوَّبْتُ قَلْبِي فِي إِنَاءٍ مِنَ الْهَوَى  
وَقُلْتُ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ النَّبْلُ، فَاشْرَبُوا  
فَقَالُوا: «أَتَحْقِيرُ لَطْفَاءَ جَدِّنَا  
وَأَدْنَيْتُهُ مِنْ مِرْشَفِ الْأُمَرَاءِ  
وَطُوفُوا بِأَقْدَاحِي عَلَى النَّبْلَاءِ.»  
وَمَا تَسْلُ الْأَصْلَابُ مِنْ شَرْفَاءٍ؟»

\* \*

وَذَوَّبْتُ قَلْبِي فِي إِنَاءٍ مِنَ الْهَوَى  
وَقُلْتُ لَهُمْ: «هَذَا هُوَ الْحُبُّ، فَاشْرَبُوا  
إِذَا الْحُبُّ لَمْ يَضُرْمَ لَهَيْبَ قُلُوبِكُمْ  
وَأَدْنَيْتُهُ مِنْ مِرْشَفِ الشُّعْرَاءِ  
فَأَزِيَاؤُكُمْ مَرَهُونَةٌ لِفَنَاءٍ  
بَشِيعَتُمْ، وَلَوْ جِئْتُمْ بِأَلْفِ رِدَاءٍ.»

\* \*

وَمَا زِلْتُ فِي الدُّنْيَا أَطُوفُ بِخَمْرِي  
إِلَى أَنَّ دِهَانِي الْيَأْسُ، فَاخْتَرْتُ عِزْلَةً  
وَذَوَّبْتُ خَمْرِي فِي إِنَاءٍ مِنَ الْهَوَى  
فَشَاهَدْتُ قَلْبِي فِي إِنَائِي ضَاحِكًا  
فَأَدْنَيْتُهُ مِنْ مِرْشَفِي وَشَرِبْتُهُ،  
وَحَوْلِي شَعْبٌ هَازٍ بِوَفَائِي  
أَفْتَشُ فِيهَا عَنْ حُطَامِ رَجَائِي  
لَأَشْرِبَهَا مَمْزُوجَةً بِبِكَائِي  
بِهِ دَعَةٌ عِذَاءٌ، فِي خِيَلَاءٍ  
وَمَا زَالَ مَاءُ الْحُبِّ مَلءَ إِنَائِي!

## عودة الحب

يا ليلُ ، يا ليلُ ، ما هَلَكُ مَنْ نام في الحُبِّ أَوَّلَكَ  
قلبي على جَمرةِ الهوى عيني على فَحمةِ الفَلَكِ  
يا مَجْهولِ ما أَطوَلَكَ  
أَلمْ لي والسَّهْدُ لكُ

\* \*

أَمِنْ جَحِيمٍ إِلَى جَحِيمٍ أَمْ مِنْ نَعِيمٍ إِلَى نَعِيمٍ؟  
يا حُبُّ قُلْ لِي مَنْ أَرْسَلَكَ أَسَاحِرُ أَنْتَ أَمْ مَلِكُ؟

\* \*

أَطْفَأْتُ نَارِي بِمَقْلَتِكَ وَأُفْرِغْتُ رَحْمَتِي عَلَيْكَ  
فَنَ أَعَادَ اللَّهيبَ لِي وَمَنْ أَعَادَ الضِّياءَ إِلَيْكَ؟

أَخْلَيْتُ قَلْبِي مَذَّ وَدَّعَكَ  
بِحَقِّ حُبِّي مَنْ أَرْجَعَكَ

\* \*

وَلَمْ تَعُودْ ؟ وَمَنْ غَصَّوْنِي لَمْ يَبْقَ عَوْذُ  
وَفِي عَيْوْنِي ، لَمْ يَبْقَ دَمْعٌ لِيُطْمِعَكَ

## أعذب الشعر

أَيَا قُبْلَةً مَرَّتْ عَلَى ضَفَّتِي فِي  
فَاجَرَتْ بِهِ نَهْرًا مِنَ الْحُبِّ وَالْجَوَى  
مَلَكَتْ شُعُورِي إِذْ مَلَأَتْ جَوَارِحِي  
أَقْضِي نَهَارِي فِي أَنْقَبَاضٍ وَرِيَّةٍ  
إِذَا قَدَمْتُ، خَفَّ اللَّهُيبُ بِمَهْجَتِي  
كَطِيفٍ حَبِيبٍ مَرَّ فِي الْحُلُمِ وَأَنْطَلَقَ  
تَدْفَقُ نَارًا فِي عُرُوقِي إِلَى الرَّمَقِ  
لَكَ اللَّهُ، إِنِّي فِي ذَهُولٍ وَفِي غَرَقٍ  
وَيَشْتَدُّ بِي وَجْدِي إِذَا أَقْبَلَ الْعَسَقُ  
وَإِنْ غَادَرْتَنِي، عَاوَدْتُ مَهْجَتِي الْحُرْقُ

\* \*

أَقُولُ لِقَلْبِي : إِنَّهَا الصَّدَقُ فِي الْهَوَى  
فَآمِنُ بِهَا ، آمِنُ بِمَا فِي عَيُونِهَا  
وَيَا بَصْرِي ، حِدْمَةً عَنْ طَرِيقِهَا  
وَيَا شُعْرَاءَ الْأَرْضِ مَا أَصْدَقَ النَّدَى  
وَإِنْ نَظَرْتُ ، مَا أَبْلَغَ الشَّعْرَ صَامِتًا  
وَفِي قَلْبِهَا حُبٌّ لَغَيْرِكَ مَا خَفَقَ  
أَلَمْ تَرَهَا أَرْغَى بِهَا الْمَاءُ وَأَحْتَرَقَ  
كَأَنَّكَ مَمْدُودٌ بِخَيْطٍ مِنَ الْقَلْقُ  
إِذَا أَبْتَسَمْتَ لَيْلِي ، وَمَا أَكْذَبَ الْوَرَقُ !  
وَإِنْ نَطَقْتُ ، مَا أَعْذَبَ الشَّعْرَ إِنْ نَطَقَ

\* \*

مَرَرْتُ بِالْوَانِ الْكَلَامِ وَوَهْجِهِ  
كَغَيْمٍ خَفِيفٍ يَمْسَحُ النُّورَ وَجْهَهُ  
فِيَا أُذُنَ ، لَا تَخْذَعُكَ فِي الْقَوْلِ بِهِجَةً  
فَمَا جَازَ عَيْنِي ثُمَّ مَاتَ عَلَى الْحَدَقِ  
لَأُولَى رِيَّاحِ اللَّيْلِ يَنْحَلُّ فِي الشَّفَقِ  
وَيَا قَلْبُ عَلِمَ : أَعْذَبُ الشَّعْرِ مَا صَدَقَ

## الشاعران

الشاعران — تبارك الغزلان! —  
عيناى فى عينيك : أشعر ما يرى  
يا خير من حنت إليها مهجة  
الله من قبل طرفت بها دمي  
طرفي وطرفك حين يلتقيان  
قلبي ، وأنقى ما يُذيبُ حناني  
وأحب من غزلت لها عيناى  
قوتاً ، ولم تدنس بها الشفتان

\* \*

أرسلتُ فيك الشعر ، عفو سليقتي  
لم أغتصبُ حبرَ الكلام ، وإنما  
أتلومني حطْمُ النساء؟ فلاني  
ورأيتُ أشواقاً تودُّ لو أنّها  
والفنُّ أخلصه من الوجدان  
عيناى من عينيك تغترفان  
خللَ الملام ، نشقتُ عرفَ زواني  
ريحٌ يمرّ عبيرها ببياني

## لولاك

أُحِقُّ لِي فِي غَيْرِهَا الْغَزْلُ      وَعَلَى فَمِي مِنْ قَلْبِهَا ، قُبْلُ  
وَكَأَنِّي فِي عَيْنِهَا لَهَبٌ      بِفَوَادِهَا الْوِلْهَانِ ، مَتَّصِلُ  
يَبْدُو رَمَاداً حِينَ تَلْحَظُنَا      عَيْنٌ ، وَحِينَ تَغِيبُ يَشْتَعِلُ  
يَا خَيْرَ مَنْ حَنَّتْ لَهَا مُهْجٌ      وَأَحَبُّ مَنْ غَزَلَتْ لَهَا مُقْلُ  
أَفْرَغْتَ عِطْرَكَ فِي دَمِي ، فَعَلَى      شِعْرِي ، عَيْرٌ مِنْكَ مِنْهَمِلُ  
لَوْلَاكِ جَفَّ الشَّعْرُ فِي كَبْدِي      وَحَيْثُ لَا حُبٌّ وَلَا أَمَلُ !

## الناسكة

حَبِيبِي ، على هذه الرَّايه أحسُّ خيالك يرقى بيّه  
فأغلقُ — إلا على ما تُحبُّ روحك — قلبي وأهدأ بيّه

\* \*

أتيتُ أُحبِّكَ في ما تُحبُّ  
فما دَفَقَ الشَّعْرَ من أَصْغْرِكَ  
أراه على المُنْحَنَى والخلِيج  
وفي ما يقوت عروقَ الدوالي،  
أراهُ على أَمَلِ الزارعين ،  
وفي كِبَرِ الدَّلْبِ والسنديانِ،  
أتيتُ أُحبِّكَ في ما تُحبُّ  
فما عالمي غيرُ معنى الجمالِ  
بروحك مغمورةٌ يقظتي  
وحلمي بجبِّكَ لا ينهي ،  
ويُضْني على وحيك العافيه  
تجمّع في هذه الناحيه  
وفي هذه الغابة الجارِيه  
وما يُضمرُّ الكرمُ للخايه  
في موسمِ الحقلِ والماشيه  
يخنو على دعة الساقيه  
وأوصدُ دون الورى بابيه  
أهواك فيه وتهوانيّه  
ونشوى بسحرك أحلاميّه  
وهل تنهي الغفلة الواعيّه؟



مصادِرٌ وحيكَ معقودةٌ	بقلي رؤاها وأجفانيه
ففي كلِّ مطوى من الطير راوٍ	وفي كلِّ منعطفٍ ، راويه
من الأرضِ أنشَقُ أعرافِ شعركَ	ريانةً ، كالندى صافيه
أحسُّ لها في صميمي غليلاً	يخبُّ على وهجِ أعراقه
وأسمعُ صوتاً ، كهمسٍ عميقٍ ،	فأصغي لتسمعَ أعماقيه
وأبصرُ ما لا تراهُ العيونُ ،	فأطويه كالله في ذاتيه

\* \*

حبيبي ! على هذه الراية	أقربُ للحُبِّ إيمانيه
إذا هجرَ الحبُّ دنيا القلوب	فما تنفعُ الحِطْمُ الباقيه؟

## الشاعر

خَلَقْتُكَ صُورَةً مِمَّا هَوَيْتُ  
وَتَرَعُكَ الْمَزَاعِمُ مِنْ حَقَوِي  
لِغَيْرِي تَدَّعِي الدُّنْيَا سَرَاجاً  
وَكَمْ نَكَرَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَقّاً  
وَفَاؤُكَ بِهِجَةُ الْأَجْيَالِ ذِكْرُ  
خِيَالٍ أَنْتِ مِنْ رُوحِي وَقَلْبِي  
سَكَبْتُ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّي عَطُوراً  
فَخَمَرْتُ أَنْتِ مِنْ وَحْيِي وَقُوتُ  
كَأَنِّي مَا عَشَقْتُ وَمَا شَقِيتُ  
لَهُ مِنْهُ الْفَتِيلُ، وَلِي الزِّيُوتُ  
وَكَمْ فَنِيَ الزَّمَانُ وَمَا فَنِيتُ  
وَحُبُّكَ آيَةُ الْعِشَّاقِ صَيْتُ  
تَشَعُّ لَهُ بِدِيَوَانِي الْبُيُوتُ  
وَمِنْ شِعْرِي جَمَالاً لَا يَمُوتُ

## انت لي

كلُّ ما في الحياة أنتِ، فقد سُ  
صوتك العذبُ ما سمعتُ سواه،  
كيفما ألتفتُ أحسُّك حولي  
ملءُ نهرِ الحياة، تزدادُ روحي  
غيرَ أنَّي أحسُّ ناراً بقلبي،  
هاجسٌ خاطفٌ يساورُ نفسي  
ماءُ عينيكِ، فيمَ يَصلبُ أحيا  
أيَّ طيفٍ أرى خلالَ شكوكي  
أنتِ لي في حقيقتي وخيالي،  
إن أكن من دمي بقيةً شعير  
كَّرَ سمعي، وأطبقتُ مقلتايا  
غيرَ عينيكِ ما رأتُ عينايا  
أنتِ ملءُ المنى وملءُ هوايا  
عطشاً، كلما أرتوتُ شفتايا  
أَيكونُ الهوى بقلبي خطايا؟  
وأنقباضٌ، تحسه رثايا  
نأً ويقسو، كأنَّ فيه سوايا  
لم يذبْ بعدُ في لهيبِ غنايا  
لي في يقظتي، ولي في رؤايا  
وخيالٍ، فأنتِ مني بقايا

## يَدُ كَرِيمَةٍ

يَا حَبُّ كُلِّي شَبَابُ	كُلِّي نَدَى وَمَلَابُ
عَلَى صَعِيدِي جَنَانُ	وَفِي سَمَائِي رَبَابُ
لَوْلَاكَ جَفْتُ عُرُوقِي	وَسَادَ رُوحِي الضَّبَابُ
وَلَمْ يَكُنْ لِي شِعْرُ	وَلَمْ تَكُنْ آدَابُ
مَلَأَتْ عَيْنِي نَوْرًا	فَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ
رُوحِي عَلَيْهِ صَرِيحُ	لَا خَدْعَةُ، لَا خَضَابُ
عَصَرْتُ قَلْبِي فِيهِ	لِلظَّامَيْنِ شَرَابُ
فَأَنْتَ أَكْرَمُ كَفِّ	أَعْطَى عَلَيْهَا الْعَذَابُ

## كأسان

لا يَحْمِلُونَ، وَأَحْمِلُ أَنَا فِي الْغَرَامِ الْأَوَّلُ

\* \*

هم يعشقون بشعرهم،  
بدمي، بأعراقي، بروحي ،  
أَمَّا أَنَا فبأدمعي ،  
بالشبابِ الممرِ

\* \*

قالوا: «ثملنا وأستفقتنا» ،  
لم يعرفوا سُكْرَ الْغَرَامِ  
قلتُ: «لا، لم يفعلوا  
لأنهم لم يحفـلـوا  
بالخمر، بل بزجاجة  
الكأسِ التي لا تُثْمِلُ»

## العفاف المغوي

أتيت فأورقَ الأدبُ السنيُّ  
وكنْتُ على الجفافِ، ومن قنوطي  
عليك من الهوى، قوتٌ منيعٌ  
وفي عينيك، يستهوي عفافٌ  
وفي شفَتَيْكَ، إغواءٌ لذيذٌ  
أتيت، من السماء عليك ظلٌ  
فقبَّلاني على شفَتي رسولٌ  
وغنَّى الحبُّ، وأخْضَلَ الرَويُّ  
يفيضُ على دمي ظلٌ شقيُّ  
ومن أعرافِهِ، عَبَقُ شهِيٍّ  
له في النفس، جاذبُهُ الخفيُّ  
يذوبُ عليه قربانٌ نقيُّ  
ومن أغراسِها خَصَرُ طريٍّ  
ومسَّ في، كلامٌ عبْقريُّ

## أرض الميعاد

هَبَّةُ الحُبِّ ، يا شعاعَ رؤايا  
رعشةُ أَنْتِ في عروقي ، ووحْيُ  
أَنْتِ أرضِ الميعادِ ، ما سمحَ الـلـد  
عَمَرَ المنُّ من سمالكِ صَحرا  
فَاطْمَأَنَّ الصِّباحُ ، أخضَرَ في عَيْدِ  
يا سنا الحُبِّ ، يا سنا الله ، ما أَحـ  
كان لي في الغرامِ قلبُ بغيٍّ  
حينَ مرَّتْ ، على جِبيني ، يداها  
وتلاشى لهاثُها ، في جوى قلبي تلاشتْ عليه تلك الخطايا  
وطريقَ السماءِ في مغنايا  
في دمي ، والنَّجْيُ من نجوايا  
هُ بها ، أو بمثلها ، لِسوايا  
يُ وفَجَّرَتْ كوثرًا من هوايا  
خي وطابت على أديمي ، العشايا  
رقتَ ناري ، إلا لينقى سنايا  
وعيونُ ، على الجمالِ ، بغايا  
وَأَسْتَحَمْتُ ، في عيناها ، عينايا  
في جوى قلبي تلاشتْ عليه تلك الخطايا

## أحبك

أحبك فوق ما تسعُ القلوبُ  
لأنتِ من السماءِ سحابُ عطرٍ  
أحسُّكِ بي، فعرْقُك صارَ عرقي  
فنحنُ إذا ألتقى صدرُ وصدْرُ  
وإن مُزجتْ بنا خمرٌ وخمرٌ  
أرى أدبي بعينكِ حينَ يهوي  
بنا نارٌ، وليس بنا هشيمٌ  
وخيَّلَ شاعرٌ ووَعى حبيبُ  
يسحُّ عليَّ منكِ ندىً عجيبُ  
وما لَقَدَى، بعرْقينا، ديبُ  
لنا، فكما ألتقى كوبٌ وكوبُ  
تمازجَ في الندى نَسَمٌ وطيبُ  
على فمكِ الأديبِ، في الأديبِ  
وعاصفةٌ، وليس لنا هبوبُ



## العذاب الحي

يا حُبُّ عَذْبُ	عَذْبُ فؤادي
أَلْهَبُ عُرُوقِي	أَطْفِئِ رِشَادِي
وَهَاتِ سُهْدِي	وَحُذِّ رُقَادِي
يا حُبُّ عَذْبُ	عَذْبُ فؤادي

\* \*

سَقَيْتُ رُوحِي	مَنْ الْأَلَمُ
فَمَنْ جَرُوحِي	هَذَا النَّعَمُ
وَكُلُّ مَا بِي	مَنْ الْعَذَابُ
يَنْوِبُ حَبًّا	عَلَى كِتَابِي
يَفْضِضُ نَوْرُ	مَنْ الشَّعُورُ

على مِدَادِي

يا حُبُّ عَذْبُ	عَذْبُ فؤادي
-----------------	--------------

\* \*

أَهْوَى غَزَالُ      مِنْ الْحَضَرِ  
مِلءَ الْخِيَالِ      مِلءَ الْفِكْرِ  
لَمَّا أَتَيْنَا      فِي الْحُبِّ آيَهُ  
نَمَّتْ عَلَيْنَا      عَيْنُ الْوَشَايَةِ  
لَكِنْ حُبِّي      دَمِي وَقَلْبِي

خَمْرِي وَزَادِي

يَا حُبُّ عَذَّبُ      عَذَّبُ فَوَادِي

\* \*

رَأَيْتُ نوري      عَلَيْكَ بَادِي  
وَسَوْفَ يَبْقَى      عَلَى رَمَادِي  
يَا حُبُّ عَذَّبُ      عَذَّبُ فَوَادِي

## ليل الصيف

فأَرفقُ بأشواقِي	الصيفُ، يا ليلُ، طارَ
من بعضِهِ البَاقِي	وأسلخَ فُضولَ النهارِ
ليلٌ وبدرٌ	ما العمرُ إلا
تلاهُ ذَكرُ	إذا تَوَلَّى
للعاشقينَ	مِلءُ السنينِ

\* \*

حَيٌّ سِوى البدرِ	يا ليلُ ما في الحقولِ
لآخرِ العمرِ	ليت الليالي تطولُ
يا ليلُ، يَبقى	وليت كوبي
منه ، وأُسقى	أَسقي حَبِيبِي
ولا نُفسيقُ	ذاك الرَحيقُ

\* \*

غامت عليه الحَلَمُ	والغابُ صَدْرُ حَنُونُ
حُلُوُ الشذا والنَّعْمُ	سكرانةٌ، والسكونُ
وللقمرُ	وللنسيمُ
على الشجرِ	يدُ الكريمِ
همسٌ لطيفُ	وللحفيفِ

\* \*

تَلْفُها الأسرارُ	والنورُ أَشهى قُبَلُ
لحنُ بَعِيدُ القَرَارُ	وفي السماءِ الجَبَلُ
ننسَ الزمانُ	يا ليلُ دعنا
فالعمرُ كأسٌ وعاشقانُ	كما عشقنا

## إستغراق

أَلْقِيهِ مَخْمُوراً عَلَى صَدْرِي وَأَنْسَى الزَّمَانَ  
فَكُلُّهُ مَا أَذْكَرُ مِنْ عَمْرِي هَذَا الثَّوَانُ  
الطَّيْرُ يَبْنِي عَشَّهَ النَّدِيَانُ  
فِي الْغَارِ، فِي الشَّرِينِ، فِي الرِّيحَانِ  
وَالْحُبُّ يَبْنِي عَشَّهَ فِينَا  
وَعَابُنَا مَا أَنْبَتَ الْوَزَالَ إِلَّا لِيُخَفِّينَا  
عَنْ أَعْيُنِ الْعَدَالِ  
لَا حَسَّ فِي الدُّنْيَا لِلْإِنْسَانِ  
فَالنَّاسُ كَالْأَرْوَاحِ قَدْ رَاحُوا  
وَلَمْ يَزَلْ إِلَّا خِيَالَانِ  
حَيَّيْنِ ، وَالْبَاقُونَ أَشْبَاحُ  
أَلْقِيهِ مَخْمُوراً عَلَى صَدْرِي  
فَكُلُّنَا ، إِلَّا الْهُوَى ، فَإِنْ  
وَكُلُّهُ مَا أَذْكَرُ مِنْ عَمْرِي  
هَذَا الثَّوَانِي

## إِلاَّ لِيَا لِيَنَا

يَا حُلُوْ، مَا فِي الْعَيُونِ حُلُوْ كَهَذَا الْجَنَى  
يُضْفِي عَلَيْكَ الْفَتُوْنَ مِلءَ الْمُنَى  
سَحَّتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ مِنْ سِحْرِهَا كُلِّ مَا  
فَاتَ جَمَالَ الْبَشَرِ

فَالنَّاسُ يَا مُلْهَمِي سِفَرٌ وَأَنْتَ السُّوْرُ  
يَا مُلْهَمِي يَا خَيْرَ مَا فِي دَمِي  
لَوْلَاكَ مَاتَ الْخِيَالُ وَمَاتَ حَتَّى الْجَمَالُ

عَلَى فِي

يَهْفُو مِنْ أَسْمِكَ أَرِيحُ جَسْمَكَ  
وَلَا يُشَمُّ الْبَشَرِ

فَالنَّاسُ يَا مُسْكِرِي عَشْبٌ وَأَنْتَ الزَّهَرُ  
يَا مُسْكِرِي أَبْعِدْ هَوَاكَ الطَّرِيْ  
تَعَالَ نَمْضِي، فَهَلْ فِي النَّاسِ إِلَّا الدَّوِيْ

فالناسُ ، إِمَّا غَيْبِيْ  
قُوْتِيْ عَلَى مِرْشَفَيْكَ وَالنُّورُ فِي مَقْلَتَيْكَ  
أَوْ عَابَثُ مَفْتَرٍ  
وَلَا يَفِيْقُ الْبَشْرُ

فالناسُ يَا مُرْشَدِي  
الْغَابُ ، وَاقِينَا ،  
أَنْوَارُهُ لَمْ تَزَلْ  
لَنَا الْهَوَى وَالْأَمَلُ  
يَا حُبُّ ، كُلُّ يَمُوتُ  
مَا نَحْنُ فِي الْعَاشِقِينَ  
لَيْلٌ وَأَنْتَ الْقَمَرُ  
حَيُّ يُنَادِينَا  
سَكْرَانَةٌ فِينَا  
وَالشُّعْرُ خَمْرٌ وَقُوْتُ  
إِلَّا لِيَالِينَا  
كَسِيرَةَ الْأَوَّلِينَ  
يَا خَيْرَ مَا فِي السَّيْرِ

النَّاسُ مَاءٌ وَطِينٌ وَأَنْتَ رُوحُ الْبَشْرِ

## انتِ أمِ أنا؟

جمالُكِ هذا أمِ جمالي؟ فلنني  
وهذا الذي أحيا به ، أنتِ أمِ أنا؟  
وحيث أرى في الحُلُمِ للحُبِّ صورةً ،  
ترجع كلُّ الحُبِّ في كلِّ ما أرى  
أرى فيك إنساناً ، جميلَ الهوى ، مثلي  
وهذا الذي أهواه ، شكلكِ أمِ شكلي؟  
أظلكِ ، يجري في ضميري ، أمِ ظلي؟  
أمن روحك الكليِّ ، هذا السنى الكليِّ؟

\* \*

خَلَقْتُكَ في دُنيا الرُؤى ، أمِ خَلَقْتَنِي؟  
وعنِّي قَلتِ الشَّعرَ ، أمِ عنكَ قَلتُهُ؟  
أحسُّ خيالي ، في خيالكِ ، جارياً  
إذا ما تراءى مُبهمٌ في تصوُّري  
كَأنَّكَ شَطَرٌ من كيانِي أَضَعْتُهُ  
وقبلَكَ جِئتُ الوحيَ ، أمِ جِئْتِهِ قَبْلِي؟  
ومَن في الهوى يُملَى عليه ، ومَن يُملَى؟  
وروحَكَ في روحي ، وعقلَكَ في عقلي  
رَأَيْتُ لَهُ ضَوْءاً بَعينِكَ يَسْتَجْلِي  
ولما تلاقينا آهتديتُ إلى أَصْلِي!



## الناسك

ماذا بوسع الزمن المدّعي  
لن يُقَطَّعَ الدهر، لنا أُلْفَةٌ  
نقول للناس، إذا صيَّحوا،  
شبابنا إن يَقَنْ، يبقَ الهوى  
ماذا على الحبِّ إذا لم يُفَقْ  
رأيتني شيخاً مديد الرؤى  
على في أنشودة لا تني  
أعيشُ في الذكرى بغيوبة  
طيور أحلامي وحيُّ الهوى  
إن تُمَجِّلِ الدُّنيا وتعبسْ لنا  
غنمتُ في عينيكِ كُنْهَ المنى

ما دمت في شعري وفي أضلعي؟  
مهما يفرّقنا الورى نُجْمَعُ  
ما قاله البلبل للضفدع  
نفنى به كالخَلْقِ في المبدع  
هل وَعَتِ الحمرَةُ حتى نعي؟  
متَّصِلَ السالفِ بالزَّمْعِ  
ونغوة خضراء في مسمعي  
كما يعيشُ الطفلُ في الموضعِ  
من حوْمٍ حولي ومن وُقْعِ  
فأيُّ أرضٍ فيك لم تُمرع؟  
فالكونُ يحيا بي، ويقنى معي!

## الثالوث البكر

الحُبُّ والخمـرُ      يا ليلَ ، والشِعْرُ  
ثالوثنا      البكرُ

كَانَ الْهَوَى قَبْلَنَا مِنْ بَعْضِ مَا يُقْتَنَى  
وَخَدَعَةً فِي اللِّسَانِ

والشعر، يا ليل، كانَ شيطانُهُ بهلوانٌ  
حتى تغنى بنا

جئنا، فجاء الخيال معطراً بالجمال  
ملوناً بالسنى

هذي الرُّبى مَنْ تَكُونُ يا لَيْلَ، إِلَّا عَيُونُ  
تَرْنُو هِيَاماً لَنَا

جئنا فصار الزمانُ بحبِّنا مِهْرَجانَ  
والأرضُ صارتُ جَنِي

لا تنظري، فالسماءُ محجوبةٌ بالدماءِ  
والجهل يرعى الورى

أَمَّا بَنَيْنَا بِنَاءً يا ليلَ، فوق الفناءِ  
فيه السما والثرى

والحُبُّ والخمْرُ يا ليلَ ، والشَّعْرُ  
ثالوثنا البكرُ

## هذه خمرائي

هذه خمري فَذُقْهَا يا نديمي  
لي في كأسِي يقينٌ لم يكنْ ،  
إن في عَيْنِي حَسْبِي طَرَباً  
أينَ منه ذلك الهمُّ جرى  
فلها طعمٌ غريبٌ في كرومي  
ذهبَ الشُّكُّ مع الحُبِّ القديمِ  
شاعَ آمالاً وعِطراً في صميمي  
من أفاعيه سموماً في كلومي

\* \*

يا نديمي ، أبرأتُ جرحي يدُ  
فعلى كلِّ شقيٍّ رحمةٌ  
لم يكن ماضيٌّ في الحُبِّ سوى  
فاضَ منها مرَّهمُ القلبِ الكريمِ  
من سمائي ، وعلى كلِّ سقيمِ  
مَطْهَرٌ ، أفضى إلى هذا النعيمِ

# إلى الأبد

الطبعة الأولى

١٩٤٥



## صلاة

قَوِّنِي يَا مُقَسِّمَ الْأَعْبَاءِ وَأَعِزِّي عَلَى أَحْتِمَالِ شَقَائِي  
أَنَا يَا رَبِّ فِي يَدَيْكَ، فَصُنْهَا فَاتَّكِلِي عَلَيْكَ كُلُّ عَزَائِي  
إِنْ تَكُنْ تَحْرُمُ الْعَزَاءَ الْمُحْيِينَ فَمَاذَا تَرَكْتَ لِلشُّعْرَاءِ ؟

\* \*

رَبِّ، صُنْهَا وَأَبْقِهَا لِي ظِلًّا  
وَأَرْفَعِ الْأَلْسُنَ الْحَيِيَّةَ عَنْهَا  
أَنْتَ يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ جَمَالًا  
أَنْتَ يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ وِفَاءً  
أَنْتَ يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ نِسَاءً  
هِيَ يَا رَبِّ فَلَذَّةُ مِنْكَ فِي الْحُبِّ  
أَفْتُمْسِي يَبْسًا وَفِيكَ رَبِيعٌ  
مِنْ حَنَانٍ يَمْتَدُّ فِي صَحْرَائِي  
وَالْأَذَى فِي اللَّوَاظِظِ السُّودَاءِ  
مِثْلَهَا فِي الْمَلَائِكِ الْأَنْفِيَاءِ  
كَالَّذِي قَاتَ حُبَّهَا، فِي النَّسَاءِ  
مِثْلَ لَيْلَى، نَفِثَةَ الْأَحْشَاءِ  
بِجَرَّتِ مِنْ دُمُوعِكَ الْخَضْرَاءِ  
دَائِمُ الطَّيِّبِ، طَيِّبُ الْأَنْدَاءِ؟

\* \*

يا إلهي، قَرِّبْ إِلَيَّ الْبَعِيدَ  
رَبِّ، حَوِّلْ عَيْنِي عَنْ كُلِّ حَيٍّ  
نَ وَأَبْعِدْ عَنِّي أَذَى اقْرِبَائِي  
رَبِّ، سَكِّرْ سَمْعِي عَنِ الْأَنْبَاءِ  
قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ الْحَبِيبُ النَّائِي!



## الرسول

ذَلِكَ الطَّيْرُ لِمَ عَرَاهُ ذَهولُ      لَا حِرَاكَ لَهُ وَلَا تَرْتِيلُ  
 كَانَ يُلْقَى شَيْئًا عَلَى مِسْمَعِ الصَّبِّ      حِ فَإِذَا لِلصُّبْحِ كَانَ يَقُولُ؟  
 أَيُّهَا الطَّيْرُ، فِي لِحَاظِكَ وَهَجُ      مِنْ حَبِيبِي وَحَيْرَةُ وَذَبُولُ  
 كُنْتُ تَنُوي أَمْرًا، فَهَالِكَ وَجْهِي      أَتُرَى لِي إِلَى حَبِيبِي سَبِيلُ؟  
 أَنَا أَرْضَى بِنَظَرَةٍ مِنْهُ ، هَلْ      يَنْشَقُّ عَنْهَا سِتَارُهُ الْمَسْدُولُ ؟

\* \*

يَا رَسُولَ الْحَبِيبِ ، هَلْ لِحَبِيبِي      بَعْدَ طُولِ النَّوَى سِوَاكَ رَسُولُ  
 يَا رَسُولَ الْحَبِيبِ، كَيْفَ حَبِيبِي      أَصَحِّحُ مَا يَدَّعِيهِ الْعَدُولُ؟  
 يَا رَسُولَ الْحَبِيبِ، قُلْ لِحَبِيبِي      إِنِّي مِثْلُهُ سَجِينٌ عَلِيلُ  
 عُدْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ إِنَّ قَلْبِي      مِثْلُ وَجْهِي، وَإِنَّ لِيَلِي طَوِيلُ  
 لَيْتَ رِيشِي يَطِيرُ مِثْلَكَ يَا طَيْدَ      رُ ، وَطَرْفِي يَا لَيْتَهُ بَجْهُولُ  
 فَأَرَاهُ وَلَا عُيُونَ تَرَانِي      وَبِرَانِي وَلَا يَنْمُ دَخِيلُ

\* \*

يا رسولَ الْحَبِيبِ ، يا أَسْعَدَ الْخَلْدِ      قِي تَمَهَّلْ ، فَأَنْتَ مِنْهُ قَلِيلُ  
فِيكَ مِنْهُ اخْتِلَاجَةٌ ، وعلى ريد      شِكْ ظِلُّ مِنْ مَقْلَتَيْهِ ، بَلِيلُ  
وَحْنِيْنُ عَلَى جَنَاحَيْكَ مَقْبُوضٌ ، ووجدُ من قَلْبِهِ ، مَسْلُولُ

\* \*

يَا رَسُولَ الْحَبِيبِ ، إِذْ يَهْطُ اللَّيْلُ      لُ وَتَسْحَلُ فِي الْهَضَابِ الْكُحُولُ  
وَيَغِيْمُ الْوَادِي وَيَشْهَقُ فِي الْأَبْدِ      عَادِ رَسْمُ الْخَائِلِ الْمَحْلُولُ  
وَتَنَامُ الْعُيُونُ فِي دَارِ لَيْلِي      غَيْرَ طَرْفٍ يُغِيبُهُ مِنْدِيلُ  
قُلْ لِلَّيْلِ رَأْيَتُهُ فَهُوَ بَاقٍ :      نَظَرُ حَالِمٍ وَقَلْبُ بَتُولُ  
ذَلِكَ الْعَهْدِ ، قَدْ يَزُولُ الْمَحْيُو      نَ عَلَى وَجْهَهَا وَلَيْسَ يَزُولُ  
خُتِمَتْ جِلْدَةُ الْعُرُوقِ عَلَيْهِ      فَبِأَزْكَى دِمَائِنَا مَجْبُولُ

\* \*

يَا رَسُولَ الْحَبِيبِ ، لَا ... لَا تَخْبِرُ      هُ فَيَكْفِيهِ حَزْنُهُ الْمَوْصُولُ  
لَا تَخْبِرُهُ مَا رَأَيْتَ وَعَلَّدَ      هُ فَقَدْ يُذْهِبُ الْأَسَى التَّعْلِيلُ  
قُلْ لَهُ إِنَّ حَبَّةً فِي عُرُوقِي      شَبَّ مِنْهُ لَعْرُسِنَا إِكْلِيلُ  
قُلْ لَهُ سَوْفَ يَسْتَحِيلُ رِبِيْعاً      دَائِماً ذَلِكَ الْهَوَى الْمُسْتَحِيلُ  
قُلْ لِلَّيْلِ ، يَا طَيْرُ ، قُلْ لِحَبِيبِي      سَوْفَ يَأْتِي جَيْلٌ وَيَذْهَبُ جَيْلُ  
وَعَلَى حُبِّنَا مِنَ الْخُلْدِ زَهْرٌ      وَعَلَيْهِ مِنْ رَوْحِهِ تَقْبِيلُ  
قُلْ لِلَّيْلِ ، رَأْيَتُهُ فَهُوَ نَشْوَانُ      وَفِي مَقْلَتَيْهِ حُلْمٌ جَمِيلُ !

# الحلم الجميل

## العام الأول

حينَ أَقْبَلْتُ ، وَالْهَوَىٰ فِيكِ يَحْبُو  
قُلْتُ لِي : بِي أَسَى ، فَهَلْ مِنْكَ نُصْحُ  
جِئْتُ تَسْتَوْصِفِينِي فِي شُؤُونِ  
قُلْتُ إِنْ كَانَ لِلشَّرَائِعِ رَبُّ  
قُلْتُ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَقُّ  
الْقَوَانِينُ سَنَهَا الْعَقْلُ فِي النَّاسِ  
إِنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَرْبًا  
كَانَ حُيَّيْ يَفْنَى ، وَنَارِي تَحْبُو  
وَبِنَفْسِي دَاءٌ ، فَهَلْ مِنْكَ طِبُّ؟  
مَا بِهَا لِي يَدٌ ، وَلَا لَكَ ذَنْبُ  
مُسْتَبِدُّ ، أَلَيْسَ لِلْقَلْبِ رَبُّ؟  
إِنَّمَا لِلنُّورِ فُرُوضُ وَكُتُبُ  
سِرِّ فَبَيْنَ الضَّمِيرِ وَالْعَقْلِ حَرْبُ  
قُلْتُ حَتَّى يَصِيرَ لِلنَّاسِ قَلْبُ

\* \*

وَمَضَتْ أَشْهُرٌ وَتَلَكَ الْأَحَادِيدُ  
قُلْتُ لِي مَرَّةً ، أَتَفْهَمُ قَلْبِي  
تُ يَدُبُّ الْهَوَىٰ بِهَا وَيُرْبُ  
قُلْتُ يَا سَيِّدِي... قُلْتُ لِي أَحَبُّ

\* \*

قُلْتُ يَا لَيْلَ، كَمْ خَبِرْتُ قُلُوبًا      فَبَنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ الْخُبَرِ حَسْبُ  
 غَيْرَ أَنِّي أَرَى بِعَيْنِكَ مَا لَمْ      تَرَهُ مُقْلَةً، وَيَلْمِسُهُ لَبُ  
 أَتَكُونِينَ ذَلِكَ الْمَلِكَ أَلْبَا      قِي وَلَوْ جَاءَ مِنْ جَهَنَّمَ، خُطْبُ  
 أَتَكُونِينَ فِيهِ مَا لَمْ تَكُنْ أُنْ      شَى وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّاسِ حُبُ  
 فَتَأَمَّلْتَ بِي وَقُلْتَ: وَمَاضِي      لَكَ أَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ نَارٌ تُشَبُّ  
 «فَأَفَاعِي الْفِرْدَوْسِ» مَا زِلَنْ حَيًّا      تِ وَمَا زَالَ سُمُّهُنَّ يَدْبُ  
 قُلْتُ يَا لَيْلَ... قُلْتَ بَعْدَ «الْأَفَاعِي»      جَاءَ شِعْرُ مُرْطَبُ الْحُبِّ عَذْبُ:

\* \*

صَاحِ فِي عَيْنِكَ صَدَاحُ الْأَمَانِي      وَعَلَى ثَغْرِكَ حُبِّي وَحَنَانِي  
 مَا عَلَى الدُّنْيَا إِذَا غَنَّتْ بَنَا      لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سِوَانَا شَاعِرَانِ  
 فَأَعْصُرِي قَلْبَكَ فِي خَمْرِ دَمِي      وَأَجْعَلِي الْأَيَّامَ فِي الْكَأْسِ ثَوَانِي  
 وَارْشِنِي ——— رَشْنِي      وَاهْتِنِي نَحْنُ فِي  
 أَذْنِ الزَّمَانِ

أُغْنِيَّتَانِ

جَمَعَ الْحُبُّ بَنَا كُلَّ الْأَغَانِي

\* \*

كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ بَقَايَا      تَوْقِظُ أَلْمَاضِي، وَأَلْمَاضِي خَطَايَا  
 حِينَ أَشْرَفْتُ عَلَى قَلْبِي أَمَحَتْ      غَسَلَتْ رَوْحُكَ بَوْسِي وَشَقَايَا  
 وَنَمَا حُبٌّ جَدِيدٌ فِي دَمِي      مَا نَمَا، يَا أُخْتَ رَوْحِي، فِي سِوَايَا

ما أرتوى بي جوى وألهوى ما روى

إلا هوايا

فإذا غنيتُ شعتُ في غنايا

\* \*

جُنَّتِ الدُّنْيَا كَمَا نَهَوَى فَجَنِّي	إنما الدنيا هوىً منكٍ ومنِّي
أَنْزَلْتُ عَيْنَاكَ فِي صَحْرَائِهَا	من سماءِ الحبِّ سلْوَإِي ومنِّي
هِيَ كَنَّارَةٌ فَتَحَ فِي يَدِي	طَارَ عَنْ أَوْتَارِهَا أَلْشَّكُّ فَغَنِّي
فَالْغِنَا خَمَرُنَا	وَالْمُسْنَى مِلُونَا
سَوْفَ نَغْدُو فِي الْوَرَى أُسْطُورَةً	يَنْقُلُ النَّاسُ الْهَوَى عَنْكَ وَعَنِّي

\* \*

إِنَّ أَتْنَى غَنَّتِيهَا مِثْلَ هَذَا الـ	شعر، نسيانها—ولو شئت—صعبُ
مَنْ تَرَاهَا تَكُونُ، آيَةٌ أَرْضِ	كَانَ فِيهَا زَرْعٌ، كَهَذَا، وَخِصْبٌ:

\* \*

رَأَيْتُكَ فِي قَلْبِي فَحُلْمِي مُنَوَّرُ	وَصُبْحِي مِشْرَاقٌ وَلَيْلِي مُقْمِرُ
تَرَكْتُ أَبَاطِيلَ التَّقَالِيدِ لِلْوَرَى	فَإِنْ كُنْتُ فِي إِثْمٍ فَعَيْنَاكَ مَطْهَرُ
أُحِبُّكَ... لَا أَدْرِي لِمَاذَا أُحِبُّهَا	كَفَّانِي إِيمَانِي بِأَنِّي أَشْعُرُ
وَأَهْوَى الَّذِي تَهْوِينِ حَتَّى كَأَنِّي	بِقَلْبِكَ أَسْتَهْدِي وَعَيْنِكَ أَنْظُرُ
أُحِبُّكَ فِي قَلْبِي كَمَا ثَارَ جَائِعُ	وَهَجَرَ مُشْتَاقٌ وَصَلَّى مُكْفَرُ
وَحَقُّ هَوَى «غَلُّوا» أَحْسَكُ فِي دَمِي	وَأَقْسِمُ مَا فِي غَلْوِ حُبِّ مَدْمَرُ

جَرَتْ فِي دَمِي وَحَيًّا وَتَجَرَّبِينَ فِي دَمِي      وَلَكِنَّ لَوْنَ الْحُبِّ قَدْ يَتَغَيَّرُ

\* \*

أُحِبُّكَ ، والدُّنْيَا سَحَابٌ مَغْرَرٌ ،  
جَعَلْنَا خَيَالَ الْحُبِّ فِيهَا حَقِيقَةً  
أُحِبُّكَ ، والدُّنْيَا تَغِيمٌ بِنَاطِرِي  
أَرَى النَّاسَ مِنْ حَوْلِي شُخُوصًا غَرِيبَةً  
أُحِبُّكَ ، والدُّنْيَا طِينٌ بِمِسْمَعِي  
تُهَوِّلُ لِي فِيهَا طُيُوفٌ كَبِيرَةٌ  
أُحِبُّكَ ... مَا أَشْهَى صَدَاهَا بِمِسْمَعِي  
تَغْلَغَلُ فِي مَهْدِي لِأُمِّي مِنْ أَبِي  
سَرَابٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ ، حُلْمٌ مُكْسَرٌ  
فَنَحْنُ عَلَى وَهْمِ الْمُحِبِّينَ جَوْهَرٌ  
غِشَاءٌ عَلَى عَيْنِ الشَّبَابِ مُحِيرٌ  
وَكُلُّ غَرِيبٍ حِينَ تَأْتِينَ يَخْضُرُ  
كَأَنِّي بِالدُّنْيَا حَدِيثٌ مُغَوَّرٌ  
وَكُلُّ كَبِيرٍ ، حِينَ أَلْقَاكَ ، يَصْغُرُ  
سَمَاعٌ لِأَحْلَامِي الْعَذَابِ مَصَوَّرٌ  
وَبَاقٍ عَلَى قَلْبِي إِلَى حِينَ أَقْبُرُ

\* \*

مَنْ تُرَاهَا تَكُونُ؟ طُوبَى لِحُبٍّ  
أَيُّ حَسَنِ أَوْحَاهُ؟ آيَةُ أُنْتَى؟  
كَانَ فِيهِ لِمَثَلِ شِعْرِكَ سَكَبٌ  
بِي عَذَابٌ مِنْهَا كَشِعْرِكَ رَحْبٌ:

\* \*

تَقَرَّبْنِي نَفْسِي فَتُبْعِدْنِي « غَلُوا »  
أَغَالِبُ قَلْبِي فِي هَوَاكَ فَلَا يَنِي  
وَأَشْعُرُ فِي نَفْسِي بِضَعْفِ أُحِبُّهُ  
كَأَنِّي أَخْشَى أَنْ أَطَاوَعَ لِأَنَّمِي  
وَيَدْفَعُنِي حُبِّي فَتَرَدَّعُنِي التَّقْوَى  
وَأُوشِكُ أَنْ أَقْسُو عَلَيْهِ فَلَا أَقْوَى  
فَالْوَيُّ بِهِ عَمَّا يُقَالُ وَمَا يُرَوَى  
فَأَسْمَعُ تَبْكِيئًا وَلَا أَفْهَمُ الْفَحْوَى

أُحِبُّكَ ، لا أَرْجُو نَعِيمًا يُصِيبُنِي      وَأَبْذِلُ مِنْ قَلْبِي وَلَا أَبْتَغِي جَدْوًى  
وقد كُنْتُ أَهْوَى فَيْكَ حَسَنًا أَنَالَهُ      فَأَصْبَحْتُ أَهْوَى فَيْكَ فَوْقَ الَّذِي أَهْوَى  
أَرَاكَ عَلَى جَفْنِي ، أَحْسَنُكَ فِي دَمِي      وَأَنْشَقُ فِي رُوحِي شَذَارُوحَكَ الْحُلُوءَا  
مَزَجْتُكَ بِي كَالْخَمْرِ تُمَزَّجُ بِاللَّندَى      فَفَنُكَ بِجَسْمِي كُلُّ جَارِحَةٍ نَشْوَى  
غَيْرَ أَنِّي أَرَى بِسَائِرِ مَا قُلْتُ هَوًى فِيهِ لِلشَّقَاءِ مَهَبٌ :

\* \*

الْغَرَامُ الَّذِي أَطَالَ شَجَوْنِي      حَارَ قَلْبِي بِهِ وَحَارَتْ عَيُونِي  
لا أَطِيقُ الْغَرَامَ فِي أَلْفِ وَجْهِ      فَأَذْهَبِي ، مَا عَرَفْتُهُ يَكْفِينِي  
وَأَطْرَحِينِي مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَخَلِّينِي ... تَعَالَيَّ ، فِي مُقْلَتَيْكَ ضَعِينِي  
أَنَا فِي مُقْلَتَيْكَ أَسْعَدُ ... أَشْقَى فِيهَا ، فَأَذْهَبِي وَلَا تَشْقِينِي  
أَنَا أَهْوَى الشَّقَاءَ ... لا ، لَسْتُ أَهْوَا      هُ ، تَعَالَيَّ إِلَيَّ ... لا ، بَلْ دَعِينِي  
مَنْ تَكُونِينَ أَنْتِ؟ أَجْهَلُ ... بَلْ أَعْرِفُ ، فَأَمْضِي عَنِّي ، وَمَنْ شِئْتَ كُونِي

\* \*

أَنْتِ حُبٌّ فِي مُهَجَّتِي فَتَعَالَيَّ      أَنْتِ هَزْءٌ فِي نَاطِرِي فَأَتْرَكِينِي  
أَنْتِ نَوْرٌ فِي خَاطِرِي ، وَظِلَامٌ      فِي خَيَالِي ، وَرِيَّةٌ فِي جَبِينِي  
وَسُودَاءٌ فِي دَمِي      وَهَمُومٌ عَلَى فَمِي  
أَنْتِ عَرَسٌ فِي مَائِي      بِسْمَةٍ فِي جَهَنَّمِي  
وَجَحِيمٌ فِي مَبْسَمِي

\* \*

أَوْ عَيْنَاكَ! ... كَيْفَ أَنْكُرُ عَيْنَيْكَ لَكَ وَقَلْبِي عَلَيْهَا وَفُتُونِي؟  
 حِينَ تَغْرُورَقَانِ بِالْحُبِّ يَطْفُو مِنْ حَنَانِي عَلَيْهَا وَحَنِينِي  
 أَنْتَ فِي خَاطِرِي وَرُوحِي نَشِيدُ زَائِلٌ فَأَهْدُمِيهِ أَوْ فَأَهْدُمِي  
 وَدَعْنِي أَعُدُّ إِلَى يَقْظَةِ الْمَاضِي فَأَحْيَا فِي ذِكْرِيَاتِ جُنُونِي

\* \*

أَو! مِنْ مُقْلَتِكَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا وَهَجٌ فِي يِرَاعَتِي يُغْرِبُنِي  
 غَرَقٌ فِي شَوَاعِرِي وَذَهْوُلٌ فِي ضَمِيرِي، وَرِعْشَةٌ فِي جَفُونِي

\* \*

قُلْتُ يَا لَيْلَ... قُلْتُ شِعْرُكَ فِيهَا حَيَّرْتَنِي فِيهِ مَآسٍ تُغِبُّ  
 أَرْجِسُ أَتَى بِوَجْهِهِ مَلَكَ أَمْ غَزَالٌ فِي قَلْبِهِ حَلٌّ ذَنْبٌ!

\* \*

مَرَّ عَلَى قَلْبِي الْمَعْنَى مَرَّ عَصُوفٌ عَلَى أَخِيهِ  
 أَيْعَرُفُ الْقَلْبَ كَيْفَ جُنًّا وَكَيْفَ جُنَّ الْغَرَامُ فِيهِ  
 دَعْنِي فَقَدْ صَارَ نَحْنُ كُنَّا وَحَلَّ مَا كُنْتُ أَتَقِيهِ  
 هَوَى تَسْرَى قَلْبِي وَحَلًّا عَلَى خَطِيفِ  
 جَاءَ مَعَ الْأَصْفِ نَمَّ وَلَّى مَعَ الْحَرِيفِ  
 كَمَا يَجِيءُ الْهَوَى عَنِيفًا يَمْضِي عَنِيفًا

\* \*



وليمّة مَدَّهَا الْغَرَامُ      وسَادَهَا الزَّهْوُ وَالْمَرَحُ  
 ما كَادَ يَصْفُو بِهَا الْمُدَامُ      حَتَّىٰ بَدَا أَلَشْكُ فِي الْقَدَحِ  
 وَمُذْ جَلَا عَنِّي الْغَمَامُ      رَأَيْتُ فِي قَعْرِهِ شَبَحَ  
 سَكَبْتُ فِيكَ الْهُوَى أَغَانِي      وَالْقَلْبَ رَاحَ  
 فَأَيُّ شَادٍ عَلَىٰ حَنَانِي      سَطَا وَطَاحَ  
 وَأَيُّ مِسْخٍ أَحَالَ شِعْرِي      إِلَىٰ نُبَاحِ

\* \*

حَلَفْتُ بِأَسْمِ الْهُوَى وَبِأَسْمِكَ      فَبِأَسْمِ مَنْ كُنْتُ تَحْلِفِينَ  
 وَحَقُّ قَلْبِي ، وَحَقُّ سَهْمِكَ      أَخْشَىٰ عَلَىٰ الْخُبِّ أَنْ يَبِينَ  
 أَنْ يَأْكُلَ الْبُؤْسُ جِسْمِكَ      وَتُبْذَلَ النَّفْسُ وَالْجَبِينُ  
 أَيْحَجِبُ الْخَامِلُونَ عَنِّي      مَا تَبْدِعِينَ  
 لَقَنْتُ فِي مَقْلَتِكَ فَنِّي      لِلْعَاشِقِينَ  
 وَأَنْتِ عِشْقِي ، فَلِمَ أَغْنِي      وَتَصْمُتِينَ؟

\* \*

قُلْتُ يَا لَيْلَ إِنَّ حُكْمَكَ ظَالِمٌ      فَأَرْحَمِيهَا فَالْحُبُّ كَاللَّهِ رَاحِمٌ  
 لَمْ تَجْعَلِي بَدُونَ قَلْبٍ بَرِيءٍ      إِنَّمَا أَلْسُنُ الْوَشَاقِ أَرَاقِمُ  
 قُلْتُ فِي مَقْلَتِكَ مِنْهَا خِيَالٌ      فَهَوَاهَا مَا مَاتَ بَلْ هُوَ نَائِمٌ  
 لَيْتَنِي جِئْتُ قَبْلَهَا ! قُلْتُ لَوْ جِئْتُ      سِ لَأَلْقَيْتَ فِي تَرَانِي جَاجِمٌ  
 كَانَ قَلْبِي ، يَا لَيْلَ ، يَدْفُنُ مَاضِيَهُ      فَلِمَ تَبْتَلِي بِتِلْكَ الْمَاتَمِ  
 كَانَ رُوحِي ، إِذَا أَقْبَلْتَ ، يَتَنَزَّى الـ      حَقْدُهُ فِيهِ ، وَكَانَ حَيٌّ نَاقِمٌ

فالأفاعي لم تُبقِ إِلَّا سُمُوماً      في جَنَانِي وفي ضَمِيرِي سَمَانُ  
 كَانَ فِي صَوْتِهَا ذُرُورٌ مِنَ السَّحَابِ      وَهَذَا الذَّرُورُ كَانَ مَرَاهِمُ  
 فَتَلَاشَى حُلُقُومُهَا فِي لَظَى نَفْدٍ      سَيِّ يَلَاشِي فَحِيحَ تِلْكَ الْحَلَاقِمِ  
 حُبُّهَا كَانَ مَطْهَرًا لِعَذَابِي      قُمْتُ مِنْهُ إِلَى نَعِيمٍ قَائِمِ  
 فَعَلَى مُقْلَتَيْكَ سَحَرٌ غَرِيبٌ      فِيهِ مِنْ بَهْجَةِ السَّمَاءِ مَبَاسِمِ  
 وَنَقَاءٌ عَلَى جَبِينِكَ ، يَا لَيْ      لِي ، كَأَنَّ الْمَلَكَ مَا زَالَ حَائِمِ  
 لِي إِلَى اللَّهِ فِي حَنَانِكَ مَرْقَا      ةُ ، وَفِي صَوْتِكَ الشَّجِيَّ سَلَالِمِ  
 أَنَا ، يَا لَيْلَ ، أَسْعَدَ النَّاسِ حُبًّا      مِلْءُ عَيْنِي نُورٌ ، وَقَلْبِي وَلَائِمِ  
 سَوْفَ تُمَحَى رُؤْيٌ ، وَتَنْهَارُ أَحْلَامُ ،      وَتَبْلَى مُنَى ، وَحُبِّي دَائِمِ !

## العام الثاني

١

نَامَ إِلَّا الْهَوَى ، فَأَهْلَكَ نَامُوا  
جَنِّني تَنْصَحِينَ حَبًّا كَمَا يَنْدُ  
وَالطُّمَأْنِينَةُ الَّتِي بِأَهْلِكَ أَغْفَتْ  
أَيُّ بَأْسٍ عَلَيْكَ وَالْأَمَةُ الشَّيْبُ  
إِنَّهَا مِنْ ذَوَيْكَ خَيْرُ ضَمَانٍ  
فَاسْهَرِي ، فَالْعَجُوزُ نَامَتْ عَلَى  
وَعَلَى اللَّيْلِ مِنْ هَوَانَا أَحْتِشَامُ  
ضَحُّ نَوْرًا مِنَ الْقُمْرِ الْعَمَامُ  
نَمَّ عَنْهَا فِي عَيْنِكَ اسْتِسْلَامُ  
حَقَّةُ عَيْنٍ وَمِصْمَعٌ وَكَلَامُ؟  
مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ وَاشِ حَرَامُ؟  
الْمِسْنَدِ سَهْرَانَةٌ ... عَلَيْهَا السَّلَامُ!

\* \*

قُلْتُ : مِسْكِينَةٌ ! ... وَأَشْرَقَ فِي عَيْدِ  
وَلَوْ أَنَّ الْحُنُوَّ يُعْطَى لَغَطًّا  
كُنْتُ مَلَأَى مِنَ السَّعَادَةِ حَتَّى  
كُنْتُ مَلَأَى مِنْهَا ، بَوْدُكَ لَوْ يُعْ  
تَتَمَنِّينَ لَوْ تَفِيضُ عَلَى الْآلِ  
تَتَمَنِّينَ لَوْ تَفِيضُ عَلَى الْمَوِ

سَيِّدِكَ عَطْفٌ وَفِي لِمَاكَ عَجَامُ  
هَا لِحَافٌ مِنْ قَطَنِهِ ، وَحِرَامُ  
خَلَّتِ أَنْ لَيْسَ فِي الْوَرَى آلَامُ  
طَى شَرَابٌ مِنْ فَيْضِهَا وَطَعَامُ  
سِ فَلَآ حَاسِدٌ وَلَا نَمَامُ  
تِي فَتَحِيًّا أَوْ تَسْتَرِيحَ الْعِظَامُ

وَمَضَتْ هَجْعَةً مِنَ اللَّيْلِ عَجَلَى كَانَ عَهْدُ لَنَا بِهَا وَذِمَامُ

\* \*

قُلْتُ: غَرَّقَ عَيْنِكَ فِيَّ، فَغَرَّقَ سَتٌ، وَعَيْنٌ جَوْعٌ وَعَيْنٌ أَوَامُ  
قُلْتُ مَاذَا تَرَى وَكُلِّي سَوَادُ؟ فَالْقُمَيْرُ أَمَحَى وَشَدَّ الظَّلَامُ  
قُلْتُ مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ وَلَمْ تُعْزَفْ بِهِ أَوْ بِمِثْلِهِ أَنْغَامُ  
أَنَا، يَا لَيْلَ، مُؤْمِنٌ بِكَ، لَكِنْ هَلْ تُصَافِي وَتُعْدِلُ الْأَيَّامُ؟

\* \*

قُلْتُ أَدْرَكْتُ مَا تُرِيدُ، فَمَنْ يَدُ حَيِّ هَشِيمٌ، وَحَوْلَ بَيْتِي ضِرَامُ  
أَوْ لَوْ تَنْطِقُ أَلْسَنَا وَتَعْيِ الْأَرْضُ... وَقَدْ قِيلَ دُونَ ذَلِكَ الْحِمَامُ  
وَلَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ تَطْهَرُ وَالْأَيُّ عَقْلٌ لَهُ عَلَى الْقَلْبِ حَقُّ  
أَلْهَمُ سُنَّةٌ؟ فَمَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ هِ وَلِي نَوْرُهُ، لِي الْإِلْهَامُ  
أَنَا قَلْبٌ يُعْطِي، وَهُمْ جَسَدٌ يُعْطَى طَى لَهُمْ شَهْوَةٌ، وَلِي أَحْلَامُ  
وَالَّذِي قَلْبِي، وَمَا لَفَظَتْهُ شَفَةُ مِنْ دَمٍ، أُمُورُ جِسَامُ

\* \*

وَحَمَلْتُ الْعَجُوزَ وَاللَّيْلُ كَهْلُ وَعَلَيْهِ مِنَ النُّجُومِ رِمَامُ  
وَعَلَى الشُّرْفَةِ الْكَثِيَّةِ ظَلَّتْ تَتَرَوَى حَدِيثَنَا الْأَنْسَامُ

أَيَكُونُ الهوى ندىً ومَلَابَا  
 أَيَكُونُ الهوى: أَعَصِرِ الصُّبْحَ والليدَ  
 وَأَرْفَعِ الأَلْسُنَ الرديئةَ عَنَّا  
 والزمانُ الرَّجِيمُ دارُ نعيمٍ  
 أَيَكُونُ الهوى: أَقْطِفِ الشَّهَدَ، مَا أَصَدَّ  
 الرَّبِيعُ الطَّوْفُ يَزْرَعُ نوراً  
 وَلَنَا يَقْلِبُ السَّمَاءَ فَراشاً  
 أَيَكُونُ الهوى: لَنَا حُلُمُ الجِ  
 وَلِيَكُنْ يَقْطَعُ تَسِيلُ مَدَى الدَّهْرِ  
 تَفْجُرُ الكَوْنُ الرَّابِدَ فِينَا  
 وَثَاراً، جَنَى الهَنَاءِ، رَطَاباً؟  
 لِمَ شَرَاباً وَأَتَرَعَ الأَكْوَابَ  
 وَلِيَكُنْ عَيْشُنَا نَفُوساً طَرَاباً  
 لِسِوَانَا لَا تُفْتَحُ الأبوابُ؟  
 فِي اللَّيَالِي، وَمَا أَلَذُّ اللُّعَابِ  
 وَظِلَالاً خُلْجَانُهُ وَالْهَضَابِ  
 وَبِنَا يَمْلَأُ السَّمَاءَ شَبَاباً؟  
 سَنَةً فَلْيَنْفَرِطْ بِنَا أَطْيَاباً  
 مَرَّ فُتْرَكِي فِينَا الْحَصَى وَالتُّرَابِ  
 وَتُصَفِّي لَنَا الْخُلُودَ شَرَاباً ؟

\* \*

أَلْهوى: لَا تَخَفْ صُرُوفَ اللَّيَالِي  
 وَرِيَّاحُ عَوَاصِفِ تَقْحُمُ الدَّوْ  
 نَهْرُ هَائِجٌ فَلَا تَنْتَهَبُ  
 وَالْهوى: أَصْغِ، فِي الرِّيَاضِ إِلَى الْبُدَى  
 وَعَلَى النَّبْعِ ذُلْبَةً تَجْذِبُ الطَّيْرَ  
 وَعَزِيفُ اللَّجْنِ يُجْرِي عَلَى قَلْبِ  
 وَأَنْظُرِ الْبَرَقَ كَيْفَ يُدْمِي السَّحَابِ  
 حَ، تَهْزُ الْجُدُورَ والأَعْصَابِ  
 هَوْلَ أَمْوَاجِهِ وَشُقَّ الْعُبابِ  
 بَلِّ وَأَحْذَرِ، فَإِنَّ فِيهَا غُرَابِ  
 رَ إِلَيْهَا وَالْفَاسَ وَالْحَطَّابِ  
 الْمَعْنَى الْإِطْرَابَ وَالْإِرْهَابِ

\* \*

والهوى: مرتعُ النعيمِ فذلَّلْ سُبُلَ الفتحِ وأَمْلِكِ الأسبابِ  
 دونك المَهْمَةُ الكَوُودُ فلنَ تَبَ لُغَ إلا إذا بَلَغْتَ العَذَابِ  
 فأقْتَحَمْتَ السُّيُولَ سَيْلاً فسيلاً وَعَبَّرْتَ الغَابَاتِ غَاباً فغَاباً  
 وهزمتَ النَّسْنَاسَ والضُّبُوعَ الحِزْرَاءَ فيها والأَرْقَمَ النَّشَابِ

\* \*

قُلْتُ: ما زالَ في خيَالِكَ نَزْرُ من صِبَاغٍ على «أفَاعِيكَ» ذاباً  
 فأمَحَهُ وأَغْتَسَلَ كَأَنَّكَ لم يَعِدْ رِفْكَ ماضٍ ولم تَعْنُ كِتَاباً  
 نحنُ بدءُ الحَيَاةِ ، قَبْلَ حُلُولِ الـ حُبِّ فينا كان الوجودُ ضَبَاباً  
 غَنَّنِي ! غَنَّنِي ! تَعَالَ إلى الغَا بِهٍ نَعْنَمُ من الصُّخُورِ حِجَاباً  
 فهُنَا الْأَعْيُنُ الْمَرِيضَةُ تُوْذِينَا فَتَسْبِي من الشُّكُوكِ قِيَاباً

\* \*

هذه صَخْرَةٌ تَقِينَا لَطَى الشَّدِّ حَسْرٍ ومن غَدْرَةِ أَلْعُيُونِ الْحِرَابِ  
 فَطَرِيقُ الْوَادِي بَعِيدٌ فَلَا نَحْ شَى ذهاباً من عَابِرٍ أَوْ إِيَابِ  
 فَلَنُقْطِعَ من تَحْتِهَا الشُّوكَ ، وَلَنَرِ مِ الحَصَى ، وَلَنُمَهِّدَ الْأَعْشَابِ  
 وَلَنَكُنْ خَيْمَةً لَنَا تُكْرِمُ الْأَحْلَامُ فِيهَا ، وَلِلْهَوَى مِحْرَابِ

\* \*

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ... — بل الحُبُّ ، وَلَكِنْ كَمْ جَمَّلَ الْأَتْعَابِ  
 أَطْلَعَ الشُّوكَ في يَدَيْكَ دَمِوعاً فاجْعَلِهَا على لِسَانِي عِتَاباً  
 قُلْتُ خُذْهَا نَفْيَةَ الْعِرْقِ ، من حُ سَيِّ شِفَاهَاً ومن حَنَانِي رُضَاباً  
 فَأَخَذْتُ الدَّمَ النَّقِيَّ ، وفي قَلْدِ جِي عُرُوقُ ، تَوَدُّ أَنْ تَنْسَابِ

والرواي — أَتَذْكُرِينَ؟ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَجَّتْ بِهَا فَصَارَتْ سَرَابًا

\* \*

قُلْتَ دَعْنِي أَتْلُ كَمَا نِلْتَ مِنِّي      قَطَرَاتٍ مِنْ الْعُرُوقِ عَذَابًا  
وَلِتَكُنْ بَيْنَنَا مِنَ الْحُبِّ مِثَا      قَاءَ يَكُونُ الْوَفَا لَهُ آدَابًا  
وَلِشْنَا فِي نِعْمَةِ الْحُبِّ لَا نَسْ      مَعَ إِلَّا خَيَالُهُ الْمُنْتَابَا  
تَرَأَى لَنَا الصُّخُورَ خِيَامًا      وَالطُّيُورَ الَّتِي بِهَا أَحْبَابَا  
كَلَّمَ فَرَّ طَائِرٌ حَمَلَ الْوَا      دِي إِلَيْنَا مِنْ حُبِّهِ أَسْرَابَا  
وَالْمَسَا يَنْشُرُ الظَّلَالَ عَلَى      الدُّنْيَا وَيُلْقِي عَلَى النُّفُوسِ الثَّوَابَا

٣

قُصَّ لِي سِيرَةَ الَّذِينَ أَحَبُّوا      قَبَلْنَا أَنْتَ أَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا  
أَسْنِدِي رَأْسَكَ الْجَمِيلَ إِلَى صَدِّ      رِي، وَأَصْغِي، أَسْمِعْكَ مَا لَيْسَ يَفْنَى  
أَوَّلُ الْعَاشِقِينَ، يَا لَيْلٍ، قَيْسُ      لَيْسَ فِي الْحُبِّ قَبْلَ قَيْسٍ مَعْنَى  
تَسِمَتُهُ، يَا لَيْلٍ، لَيْلَى وَلَمَّا      زُوِّجَتْ مِنْ سِوَاهُ هَامَ وَجَنَّا  
وَأَحَبُّ الْعُشَّاقِ مَنْ هَامَ، يَا لَيْلَى،      بَلَيْلَى وَكَانَ مَا نَحْنُ صِرْنَا

\* \*

وَجَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ، أَمْنَى  
زَادَهُ حُبُّهُ عَفَافاً وَنُبْلًا  
شِعْرُهُ، لَوْ عَرَفْتَ كَيْفَ يَفُوحُ الـ  
أَكْرَمُ الْعَاشِقِينَ عَيْنًا وَقَلْبًا  
لَوْ تَرَوَيْتَ كَيْفَ كَرَّمَ بَشَنًا  
كُلَّمَا عَضَّهُ أَمْرُو وَتَجَنَّى  
صَدَقُ مِنْهُ، لَقُلْتُ ذَلِكَ مِنَّا  
أَطْرَبُ الشَّاعِرِينَ مَبْنَى وَمَعْنَى

\* \*

وَمِنْ الْحُبِّ، عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ  
مَاتَ فِي عَفْرِ، ثُمَّ مَاتَ بِهِ عَفًى  
هِيَ أُسْطُورَةُ مِنَ الشَّعْرِ، قَالُوا  
وَلَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ لَمْ تَفْنِ فِي الْحُسْبِ  
نَالَ فِي أَلَمَاتِ شَطْرُهُ وَأَطْمَآنًا  
رَأَى، كِلَا الْعَاشِقِينَ مَا يَتَمَنَّى  
وَهِيَ أَسْمَى حَقَائِقِ الْحُبِّ، قُلْنَا  
لَمَّا أَوْرَقَ الْجِبَالُ وَغَنَّى

\* \*

لَيْلَ، مَا أَنْزَلَتْ كَرُوحَكَ كَفُّ الدِّ  
وَالْحَنَانُ الَّذِي يُخَدِّرُ عَيْنَيْهِ  
كُنْتُ فِي النَّاسِ كَالنِّسَاءِ فَلَمَّا  
وَزَرَعْتَ الْآمَالَ فِي نَجُومًا  
نَحْنُ، يَا لَيْلَ، أَسْعَدُ النَّاسِ  
فَلَنَغْفِرَ لَهُمْ كُلَّ مَا يَقُولُونَ عَنَّا!  
إِذَا رُوحًا وَلَا كَحُسْنِكَ حُسْنًا  
لَكَ، أَفَى الْأَرْضِ لِلْسَّمَاءِ مِنْهُ أَدْنَى؟  
جِثَّتْ قَلْبِي ظَهَرَتْ شِعْرًا وَلَحْنًا  
أَيُّ كَنْزٍ أَحَبُّ مِنْهَا وَأَغْنَى؟



كُلُّ حَيٍّ يَمُوتُ إِلَّا هَوَانَا  
 نَحْنُ وَالنَّاسُ، نَمْلَأُ الْأَرْضَ حَبًّا  
 يَا حَبِيبِي، غَرَّقَ جَبِينَكَ فِي صَدِّ  
 لَمْ يَكُنْ لِي سِوَى حَنُوكَ حَتَّى  
 كُنْتُ فِي وَحْدَتِي خَيَالاً عَلَى قَلْدٍ  
 وَعَلَى مُقْلَتَيَّ حُلُمًا لَذِيذًا  
 كَمْ سَمِعْتُ الْفَضَاءَ يَخْفِقُ حَوْلِي  
 كُنْتُ بِي قَبْلَ أَنْ أَرَاكَ بَعِينِي  
 يَا حَبِيبِي، إِلَيْكَ حُلُمًا يَوْدُ آلَ  
 كُنْتُ فِي هَالَةٍ مِنَ الثُّورِ لَا يَحْدُ  
 وَتَرَدَّتْ مِنَ الْجَنُوبِ رِيَّاحٌ  
 وَإِذَا النُّورُ يَسْتَحِيلُ أَدِيمًا  
 وَإِذَا بِي أَرَاكَ تَقْطُفُ كَالْفَا  
 يَنْبِضُ الْغُصْنُ فِي يَدَيْكَ رَجَاءً

\* \*

قُلْتُ، يَا لَيْلٍ، مَا عَلَيْنَا إِذَا النَّا  
 وَفَرَشْتَ الْجَنَى الشَّهِيَّ طَعَامًا  
 قُلْتُ لِي نَعْمَةُ الطَّيْبَةِ يَا لَيْ  
 بورك الحب حين بارك إكلي

سُ تَجَنُّوا فَالْحُبُّ قَدْ أَعْطَانَا  
 أَمَرَ الْحُبُّ أَنْ يَكُونَ فَكَانَا  
 لِي أَعَدْتُ لِعُرْسَانَا مِهْرَجَانَا  
 لَا عَلَيْنَا، أَحَلَّهُ قَلْبَانَا

وَإِذَا بِالنَّبَاتِ يَسْتَشْقِيُ الْحُدُ      سَبَّ فَتَجْرِي جَمُوعُهُ مَجْرَانَا  
فَتَبُوحُ الصَّبَا وَيَرْتَعِشُ الْوَرْدُ      دُ وَيَضْحُو مِنَ التَّدَى سَكْرَانَا  
وَعَبِيرُ النَّسْرِينَ يَنْهَلُ حُبًّا      فِي الْعَبِيرِ الْمُنْشُورِ مِنْ نَجْوَانَا

\* \*

يَا حَيِّي، كَأَنَّ طَرْفِي لَمَّا      ذَهَبَ الْحُلُمُ لَمْ يَكُنْ وَسْئَانَا  
أَوَّلَسْنَا فِي بَقْظَةٍ تَخْطِفُ الْغَيْدَ      طَةً فِيهَا الْقُلُوبَ وَالْأَجْفَانَا  
أَوَّلَمْ نَبْنِ بِالْمَحَبَّةِ وَالرَّأَى      فَهَ دُنْيَا أَعَزَّ مِنْ دُنْيَانَا  
تَهْدُمُ الْعَالَمَ الَّذِي يَهْدُمُ الْوَجْدَ      لِدَانِ فِينَا، وَتَرْفَعُ الْوِجْدَانَا؟  
هَذِهِ النَّبْعَةُ الْحَنُونُ، أَلَمْ تَعُدْ      كَيْسُ عَلَيْنَا الظَّلَالِ وَالْأَلْوَانَا  
تُفْعِمُ النَّفْسَ مِنْ نَقَاهَا بِنَايِدِ      عَ وَتَمْلَأُ أَعْمَاقَهَا خُلُجَانَا؟  
أَسَعَدُ النَّاسَ نَحْنُ، فَلْيَصْفَحِ      الْحُبُّ بِنَا، وَلْيَكُنْ لَهُمْ غَفْرَانَا!

## العام الثالث

١

نَحْنُ عَدْنُ وَهُمْ مَكَانُ مُرِيبُ شَقِيتَ فِيهِ أَعْيُنُ وَقُلُوبُ  
سَكَبَ الْحُبُّ رَحْمَةً اللَّهُ فِينَا فَالَسَّنَى مَائِجُ بِنَا وَالطُّيُوبُ  
كُلُّ أَعْرَاقِنَا السَّعِيدَةِ لِلْإِيْدِ إِمَانِ مَجْرَى وَلِلرَّجَاءِ دُرُوبُ  
تَتَنَاهَى بِنَا إِلَى الْغِبْطَةِ الْكُبْرَى فَتَفَنَى بِسِحْرِهَا وَنَدُوبُ

\* \*

أَنْتِ، يَا لَيْلَ، أَنْتِ أَجْمَلُ رُؤْيَا مَا رَأَى النَّاسُ مِنْذُ حَوَاءَ حَسَنًا  
أَيُّ لَوْنٍ! كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِيهِ أَغْرَقَتْهُ عَيْنَاكِ فِي مُبْهَمَاتٍ  
حِينَ تَطْفُو عَلَيْهِ أَخِيْلَةُ الْأَهْدِ أَعْلَى وَجْتَيْكِ، يَا لَيْلَ، خَمْرُ  
صَبَّهَا فِي الْعُيُونِ حُلْمٌ عَجِيبُ فِيهِ هَذَا النَّدَى وَهَذَا اللَّهَبُ  
مِنْ بَقَايَا الْفَجْرِ الْعَمِيقِ شُحُوبُ هِيَ مِنْ رَوْحِكِ الْخِيَالُ الْغَرِيبُ  
سَدَابِ يَخْبُو بِيَاضُهُ الْمَشْبُوبُ أَلْهَبَتْ فِيهَا النَّدَى، أَمْ حَلِيبُ؟

أَمْ عَلَى وَجْهِكَ ظِلُّ الْخَطَايَا مِنْ بَغْيٍ أَتَى إِلَيْكَ يَتُوبُ؟  
حُسْنُكَ الْحُسْنُ... وَهُوَ لِلْخَلْقِ إِحْسَانٌ جَمِيلٌ وَمَا تَبَقَّى ذُنُوبٌ

\* \*

قُلْتُ قُلْ بَعْدُ، وَابْتَسَمْتُ، فَشَعْتُ  
وَجَرْتُ فِي دَمِي يَنْابِيعُ لَمْ يَحْ  
وَمِنْ الطَّيْرِ جَوْقَةٌ فِي ضَمِيرِي  
كُلُّ مَا بِي زَهَا وَغَنَى، وَلَكِنْ  
فِي كَيْفَانِي مُجَاهِلٌ وَشُعُوبٌ  
يَ عَلَى مِثْلِهَا صَعِيدٌ خَصِيبٌ  
غَرَدَتْ فَهُوَ بِي وَجُودٌ طَرُوبٌ  
فِي لِسَانِي تَرَدَّدَ الْعَنْدَلِيبُ

\* \*

قُلْتُ فِي صَمْتِكَ الْجَمِيلِ حَدِيثٌ  
فَبِرُوحِي سَمِعْتُ مَا لَمْ تَقُلْهُ  
ثُمَّ قَبَّلْتُ فِي يَدَيْكَ غُصِينًا  
وَبِشَعْرِي عَقَدْتِهِ ، وَعَلَى عَيْدٍ  
قُلْتُ مَاذَا؟ فَقُلْتَ إِكْلِيلُ حُبٍّ  
سَوْفَ تَذْوِي التَّيْجَانَ يَا لَيْلَ، وَالسُّدَّ  
وَالْأَكَالِيلُ سَوْفَ تَذْوِي وَتَبْلَى  
وَعَلَى مَفْرَقِي وَقَلْبِي سَيَبْقَى  
مَا رَوَى مِثْلَهُ فَمُ مُوْهَبٌ  
إِنَّهُ فِي جَوَارِحِي مَكْتُوبٌ  
فَسَرَى فِيهِ قَلْبُكَ الْمَسْكُوبُ  
خِي طَبَعَتْ ، أَبْتَسَامَةٌ لَا تَغِيبُ  
هَكَذَا يُكْرَمُ الْحَبِيبَ الْحَبِيبُ  
طَانُ يَذْوِي جَيْنُهُ الْمَعْصُوبُ  
وَيَشِيبُ الْغَارُ الَّذِي لَا يَشِيبُ  
غُصْنُكَ الرُّطْبُ وَهُوَ حَيٌّ رَطِيبُ

— ... ثم ماذا؟

— أَحَبَّهَا وَأَحَبَّتْهُ  
لم تَحْنُ فِيهِ بَعْلَهَا قَرِيسَتْ  
سُقِيَا خَمْرَةَ الرُّقَى، وَخَلُودُ الـ  
عَصَرَ السَّحَرُ رَوْحَهُ، كُلُّ مَنْ يَشُدُّ  
وَدَرَى بَعْلَهَا، وَلَمْ يَكُ يَدْرِي  
وَإِذَا بِالْوَشَاةِ كَالسَّمِّ يَنْدَسُّ  
فَرَمَى بَعْلَهَا بِهَا فِي قَطِيعٍ  
غَيْرِ أَنَّ الْحَيِّبَ أَنْقَذَهَا مِنْ  
وَهْمَا فِي أَلَدِّ عَيْشٍ أَتَى الْقُرُ  
قَالَ رُدَّ الَّذِي سَرَقَتْ، فَمَا لَمْ  
فَأَجَابَ الْحَيِّبُ إِنَّ ضَمِيرِي  
أَنْتَ لَمْ تَدْرِ أَيَّ خَمْرٍ شَرَبْنَا  
هُوَ أَلْقَى بِهَا إِلَى دَرَكِ الْبُرِّ  
إِنَّ إِيْزُولْتَ لِي! ...

وْغَابَ الْحَيِّبَا

— ثم ماذا؟

— مَاتَا! وَإِذَا شَوْهَدَا فِي الـ  
دُفْنَا، كُلُّ عَاشِقٍ فِي ضَرْحِ

وَمَاتَا عَلَى هَوًى وَتَلَاقِ  
بَانَ وَإِيْزُولْتُ أَشْرَفُ الْعُشَّاقِ  
حُبِّ فِي ذَلِكَ الْشَّرَابِ الرَّاقِ  
رَبُّ مِنْهُ، يَهْوَى إِلَى الْأَرْمَاقِ  
أَيَّ خَمْرٍ تَجُولُ فِي الْأَعْرَاقِ  
وَنَ مِنْ قُزْمَةٍ وَمِنْ عَمَلَاقِ  
أَبْرَصٍ مِنْ عَيْدِهِ لَتَلَاقِ...  
هُ وَفَرًّا إِلَى مَكَانٍ وَاقِ  
مَةُ «أَغْرِينَ»، صَائِنُ الْأَخْلَاقِ...  
يُرْتَجِعُ، لَا خَلَاصَ لِلْسَّرَاقِ  
مُطْمَئِنٌّ صَافٍ كَهْذِي السَّوَاقِ  
أَيَّ كَأْسٍ مِنْ السَّمَاءِ دُهَاقِ  
صِرَ فَأَنْهَضْتُهَا إِلَى آفَاقِ

نِ وَرَاءَ الصُّخُورِ وَالْأُورَاقِ

وْغَابَ مَيِّتَيْنِ فِي أَعْفٍ عِنَاقِ  
إِنَّمَا الْمَوْتُ لَمْ يَكُنْ لِفِرَاقِ

فَرَأَى النَّاسُ فِي الصَّبَاحِ عَلَى الْقَبْرِ رَيْنِ قَوْسًا تَمْتَدُّ فِي إِشْرَاقِ  
تَجْمَعُ الْعَاشِقِينَ فِي غَمْرَةِ الزَّهْرِ وَفِي نَشْوَةِ مَنْ الْأَشْوَاقِ

\* \*

تِلْكَ، يَا لَيْلَ، قِصَّةُ الْحُبِّ وَالْمَوْتِ، أَتَتْنَا مِنَ الْعُصُورِ أَلْعِتَاقِ  
وَيَرَاهَا أُسْطُورَةٌ كُلُّ قَلْبٍ لَمْ تُحَرِّكْهُ خَمَرُ ذَلِكَ أَلْسَاقِي  
كُلُّ قَلْبٍ لَا يَشْرَبُ الدَّمَ فِي الْحُبِّ وَلَا يَرْتَوِي مِنَ الْأَعْمَاقِ  
قُلْتُ هَذَا أَلْطَى عَصْرَنَاهُ مِنَّا وَشَرَبْنَا رُقَاهُ فِي الْمِشَاقِ  
فَالْجَمَالَ الَّذِي يَسِيلُ عَلَيْنَا مَا طَفَا مِثْلُهُ عَلَى أَحْدَاقِ  
كُلُّ مَا حَوْلَنَا جَمِيلٌ غَنَّنِي تُخَصِّبُ الْحَقُولُ  
يَدْفُقُ الثُّورُ وَالسُّيُولُ

\* \*

أَلْسِمَا مُضْحَفٌ سَنِيٌّ وَالرُّبَى مُتَحَفٌ غَنِيٌّ  
وَالْمَسَا وَالنَّسِيمُ عِرْقٌ جَالٌ فِيهِ هَوًى نَقِيٌّ  
وَالْغُصُونُ الَّتِي تَمِيلُ كُلُّهَا أَلْسُنٌ تَقُولُ  
كُلُّ مَا حَوْلَنَا جَمِيلٌ  
أَلْسِمَا جَمَلَتْ بِنَا مَا أَقَامَتْهُ حَوْلَنَا  
كُلُّ مَا حَوْلَنَا لَنَا

\* \*

نَحْنُ فِي الْعَاشِقِينَ عِيدٌ حَدَثٌ فِي الْهَوَى جَدِيدٌ

حُبُّنَا لَنْ نُفِيقَ مِنْهُ حُلُمٌ مَا لَهُ حُدُودُ  
 نَحْنُ مُسْتَوْدَعُ السَّنَا كُلُّ مَا قَامَ حَوْلَنَا  
 جَمَلَتْهُ السَّمَاءُ بَنَّا  
 يَا حَبِيبِي، فَمُ الْجَبَلُ قَبْلَ الشَّمْسِ فَاشْتَعَلَ  
 قَلْبُهُ مِنْ لَظَى الْقَبْلِ

\* \*

هَذِهِ سَاعَةُ الْمَغِيبِ سَاعَةُ الْحُبِّ، يَا حَبِيبِي  
 آخِرُ النُّورِ فِي الذُّرَى أَوَّلُ النُّورِ فِي الْقُلُوبِ  
 زَبَدُ الْحُبِّ فِي الْمُقَلِّ ذَابَ وَأَغْرَوْرَقَ الْعَسَلُ  
 هَذِهِ سَاعَةُ الْغَزْلِ

٣

ذَلِكَ الْيَوْمُ كَيْفَ كَانَ وَصَارَا  
 قُلْتُ، إِذْ جَنَدْتُ شَرَائِعَهَا الْأَرْ  
 فَالْنَّعِيمُ الَّذِي خَلَقْنَاهُ فِينَا  
 إِنْ يَكُنْ جَاءَ مِنْ جَهَنَّمَ خُطْبُ  
 يَا حَبِيبِي، سَيْمَلًا الْحُبُّ سَجَنِي  
 وَسَابْنِيكَ فِيهِ جِسْمًا وَرُوحًا  
 كَانَ بَرْدًا وَصَارَ قَارًا وَنَارَا  
 ضُ عَلَيْنَا، لَنْ يَبْلُغُوا الْأُوطَارَا  
 وَسَقَتْهُ السَّمَاءُ لَنْ يَتَوَارَى  
 فَلَكَي يَخْبِرُ الْهُوَى الْجَبَّارَا  
 فَلْيَشِيدُوا الْحُصُونَ وَالْأَسْوَارَا  
 وَحَنَانًا وَعِفَّةً وَوَقَارَا

أَبْوَاعِ السُّجُونِ أَنْ تَحْرُمَ الْقَدْ  
سَأْنَادِي فِي عَزْلَتِي كُلِّ غَيْمٍ  
خَبَّرِي الْأَرْضَ يَا عَطُورُ وَيَا غَيْدَ  
خَبَّرِيهَا أَنِّي أُحِبُّ حَبِيبِي  
خَبَّرِي الْأَرْضَ، خَبَّرِيهَا وَقُولِي  
إِنَّ بَيْتًا عَلَى الْجِبَالِ بَنِينَا  
يَا حَبِيبِي، كَمَا حَيْثُ سَاحِيَا  
وَعَلَى كُلِّ شَفْرَةٍ مِنْ جُفُونِي  
كُلَّمَا غَرَّقَ الظَّلَامُ عُيُونِي

بَ رَوَاهُ وَتَحَجَّبَ التَّذْكَارَا؟  
كُلَّ عِطْرِ سَرَى وَطَيْرٍ طَارَا  
مُ، وَيَا طَيْرُ، وَأَنْشُرِي الْأَسْرَارَا  
خَبَّرِيهَا أَنِّي أُحِبُّ جَهَارَا  
إِنَّ كُوخًا أَشَدُّ مِنْهَا جِدَارَا  
هُ لَتَأْبَى السَّمَاءُ أَنْ يَنْهَارَا  
إِنَّ بِي مِنْ نَعِيمِكَ أَسْتَمْرَارَا  
مِنْكَ عِرْقُ يُحَرِّقُ الْأَبْصَارَا  
أَطْلَعَ الْحُبُّ فِي دَمِي أَنْوَارَا



# غلّواو

الطبعة الأولى

١٩٤٥

كتبت «غلواء» بين ١٩٢٦ و١٩٣٢ وليس فيها من حياة المؤلف ، في مطلع شبابه ،  
إلا شطر ضئيل ، فهي في مجموعها من صنيع الخيال لا من صنيع الواقع .  
وعبثاً يحاول القارئ ، ولو طال الزمن ومهما يطل ، أن يجد في «غلواء» مستنداً لظنٍّ  
أو موضوعاً لاجتهاد . فهي حياة جماعة لا حياة فرد ، هي الحياة وليست حياة ، هي  
قصيدة لا تاريخ .

تشرين الثاني ١٩٤٥

## العهد الأول:

### المريضة

١

مَا أَسْلَمَ الْقَلْبَ وَأَصْفَى السَّمْرَا وَأَهْنَأَ الشِّتَاءَ فِي تِلْكَ الْقُرَى  
وَأَطْوَلَ اللَّيْلَ بِهِ وَأَقْصَرَا  
تَجْرِي اللَّيَالِي عَذْبَةً كَالسَّاقِيَةِ يُضْنُ مِنْهَا بِاللَّيَالِي الْبَاقِيَةِ  
كَأَنَّهَا بَقِيَّةٌ مِنْ عَافِيَةٍ  
فِي لَيْلَةٍ لَطُولَهَا وَسَنَانُهُ وَالْأَرْضُ مِمَّا شَرِبَتْ نَشْوَانَهُ  
عَادَ فَالْفَى أُمُّهُ سَهْرَانَهُ  
فَقَالَ: « مَا عَوْدُكَ اللَّيْلُ السَّهْرُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا سَاعَتَانِ لِلْسَّحَرِ  
... أَقْرَأْ فِي وَجْهِكَ، يَا أُمُّ، خَبْرٌ  
غُلُوَاءُ؟ مَا حَلَّ بِهَا؟ ... شَقِيَّةٌ! أَمَا تَبْقَى لِلرَّجَا بَقِيَّةٌ؟  
... مِسْكِينَةٌ! »

— وَيْلُ أُمِّهَا، صَيِّهْ!

وَحَاوَلَ النَّوْمَ بِدُونِ جَدَّوَيَّ كَأَنَّ فِي عَيْنَيْهِ قَلْبًا يَهْوَى  
وَقَلْبُهُ كَانَ بَرِيثًا خِلْوًا  
وَأَنْتَقَلَ أَنْتِقَالَةً عَجِيبَةً مِنْ أَلَمِ الرُّوحِ إِلَى غَيْبَوَةِ  
كَشْعَلَةٍ فِي نَفْسِهِ مَشْبُوبَةٍ  
طَوْرًا يَرَى غَلَوَاءَ فِي صِبَاهَا تَشِيعُ فِي وَجْدَانِهِ عَيْنَاهَا  
مَعْقُودَةً الْحُسْنِ عَلَى رِيَاهَا  
وَتَارَةً فِي كَفَنِ مُلْتَفَّةٍ يُسْرِحُ الْمَوْتُ عَلَيْهَا كَفَّةً  
بِحَسْرَةٍ عَاطِفَةٍ وَلَهْفَةٍ  
بَارِزَةً مِنْ فَمِهَا الْأَسْنَانُ مُزْرَقَةً كَأَنَّهَا دِيدَانُ  
وَاللَّيْلَةُ الْحَمْرَاءُ زَعْفَرَانُ  
ذَاتَ شُحُوبٍ رَاعِبٍ رَهِيْبٍ كَأَنَّهُ لَوْنُ مِنَ الذُّنُوبِ  
أَوْ نَفْسٌ مِنْ صَدْرِهَا الْمَكْرُوبِ  
وَكَانَتِ الظُّلْمَةُ فِي أَشْجَانِ وَالرَّيْحُ كَالْمِيرِدِ فِي الْأَبْدَانِ  
وَاللَّيْلُ فِيهَا كَضْمِيرِ الْجَانِي  
وَلَمْ يَكْدُ مِنْ حُلْمِهِ يُفِيقُ حَتَّى أَعْتَرَاهُ خَدَرٌ عَمِيقُ  
وَجُنَّ فِي دِمَاغِهِ الْعُرُوقُ  
فَأَبْصَرَ الْمَرِيضَةَ الْمُحْتَضِرَةَ مَسْدُولَةَ الذُّوَابِ الْمُبْعَثِرَةَ  
جَنِيَّةً هَائِمَةً فِي مَقْبَرَةٍ

\* \*

وَحَلَّ فِي أَهْدَابِهِ تَابُوتُ  
 فِي قَلْبِهِ صَبِيَّةٌ تَمُوتُ  
 تَمُوتُ فِي غَيْبِيَّةٍ وَسَكْرَةٍ  
 لَهَا مِنْ الْعُمَرِ ثَمَانِي عَشْرَةٌ  
 وَعِنْدَمَا أَفَاقَ مِنْ رُؤْيَاهُ  
 وَحَدَقَتْ إِلَى الدُّجَى عَيْنَاهُ  
 رَأَى نِيَامًا كُلَّ مَنْ فِي الدَّارِ  
 إِلَّا عُيُونَ الْهَرِّ ذَاتَ النَّارِ

٢

أَمِنَ الْعَدْلُ ، خَالِقَ الْأَرْوَاحِ ،      أَنْ يَغِيبَ الْجَمَالَ قَبْلَ الصَّبَاحِ ؟  
 أَمِنَ الْعَدْلُ أَنْ يُرَى الْقَلْبُ عَطْشًا      نَ وَخَمَرُ الْقُلُوبِ فِي الْأَقْدَاحِ ؟  
 أَمِنَ الْعَدْلُ أَنْ تَجُولَ عُيُونُ      فِي ظِلَامِ وَالزَّيْتِ فِي الْمِصْبَاحِ ؟  
 إِنْ تَكُنْ تَحْرُمُ الطَّيُورَ سَمَاهَا      فَلَمَّاذَا خَلَقْتَ رِيشَ الْجَنَاحِ ؟

\* \*

وَتَنَاءَتْ عَيْنَاهُ فِي الشَّفَقِ الْإِخْضَ      رِ فَأَنْحَطَّتَا عَلَى فَلَاحِ  
 يَحْرُثُ الْأَرْضَ هَادِثًا مُطْمَئِنًّا      فَيَشُقُّ الْأَثْلَامَ كَالْجَرَاحِ

\* \*

قَالَ : طُوبَى لَهُ وَطُوبَى لِنَفْسِهِ      مَا أَلَذَّ الصَّفَاءُ فِي مَاءِ كَاسِهِ

مَا أَعَزَّ الْأَعْشَابَ حَوْلَ سَوَاقِدِ هـ وَأَغْنَاهُ فِي قَنَاعَةٍ بُؤْسِهِ  
 لَا يَرَى غَيْرَ حَقْلِهِ إِنْ أَطْلَلَ الـ فَجَرُ أَوْ أَقْبَلَ الْمَسَا غَيْرَ أَنْسِهِ  
 جَاهِلٌ يَجْهَلُ الْقِرَاءَةَ فِي الْأَسـ فَارٍ لَكِنَّهُ حَكِيمٌ بِفَاسِهِ  
 غَدُهُ مِثْلُ يَوْمِهِ، لَيْسَ يَغْشَا هـ شَقَاءٌ ، وَيَوْمُهُ مِثْلُ أَمْسِهِ

\* \*

لَيْتَ لِي قَلْبُهُ الْخَلِيَّ  
 لَيْتَ فِي الرُّوحِ لِي تُقَاهُ  
 لَيْتَ فِي مُقْلَتِيَّ لِي  
 مُقْلَتِيهِ ... وَاحْسَرَنَاهُ!  
 فَأَرَى الصَّبْحَ يَنْجَلِي  
 عَنْ شُعَاعٍ مِنْ الْحُلِيِّ  
 ذَهَبِيٍّ مُكَلَّلٍ  
 بِلُجَيْنٍ مِنَ الْمِيَاهِ  
 وَأَرَى اللَّهَ كُـلَّمَا  
 أُرْسِلُ الطَّرْفَ فِي السَّمَاءِ  
 إِنَّ فِيهَا لِمَنْ سَمَاءُ  
 بِالتَّقَى صُورَةَ الْإِلَهِ

## القصة

١

غُلُوَاءُ — مَا أَحْلَى أَسْمَهَا الْمِعْطَارَا —  
صَبِيَّةٌ تَغْبِطُهَا الْعَذَارَى  
لَا يَسْتَطِيعُ شَاعِرٌ أَنْ يُبْدِعَا  
قَصِيدَةً أَجْمَلَ مِنْهَا مَطْلَعَا  
تَصَوِّرُ الْأَزْهَارَ فِي نَوَارِ  
تُنْعِشُهَا أَرْتِعَاشَةُ الْأَنْوَارِ  
تَصَوِّرُ النَّسِيمَ فِي الصَّبَاحِ  
يَهْزُ سَاقَ الْفُلِّ وَالْأَقَاحِ  
تَصَوِّرُ السَّمَاءَ فِي رُؤَايِهَا  
كَأَنَّهَا الْأَحْلَامُ فِي صَفَائِهَا  
تَصَوِّرُ الْأَغْشَابَ فِي الْجِبَالِ  
تَحْلُمُ فِي مَهْدٍ مِنَ الظُّلَالِ

تَصَوِّرِ الرَّابِيَةَ الْجَمِيلَةَ  
لَوْنَهَا ظِلٌّ مِنْ الْخَمِيلَةِ  
وَكُومَ الشَّلَجِ عَلَى الرَّوَابِي  
تَطْفُو عَلَيْهَا صُفْرَةُ الْغِيَابِ  
وَأَنْظُرْ أَخِيرًا نَظْرَةً سَرِيعَةً  
مُخْتَلَفَ الْجَمَالِ فِي الطَّبِيعَةِ  
تَعْرِفْ إِذَا مَعْرِفَةً عَلِيَاءَ  
كَيْفَ السَّمَاءِ أَبْدَعَتْ غُلُوءًا

\* \*

وَكَانَ فِي صُورٍ لَهَا قَرِيبَةٌ  
أُعْطِيَتْ أَسْمَ الْوَرْدَةِ الْحَبِيبَةِ  
جَمَالُهَا يَحْمِلُ لِلْجُنُونِ  
وَمِیْضَةَ الشَّهْوَةِ فِي الْعُيُونِ  
تَشْعُرُ، مِنْ جَسَدِهَا الْمُشْتَعِلِ،  
فِي كُلِّ عِرْقٍ بِدِمَاءِ رَجُلٍ  
تَصَوِّرِ الْبُرْكَانَ فِي ثَوْرَتِهِ  
تَنْقَذِفُ النِّيرَانُ مِنْ فُوهَتِهِ  
كَالْمَرَأَةِ الْبَغِيِّ فِي مُقْلَتِهَا  
عُنْصُرُ نَارٍ قَدْ مِنْ شَهْوَتِهَا



تَصَوِّرِ الْمَوْتَ بِنَابِ أَفْعَى  
مُرِيبَةٍ بَيْنَ زُهُورٍ تَسْعَى  
تَظُنُّهَا خِلَالَ وَهَجِ النُّورِ  
سَاقِيَةً تَنْسَابُ فِي الزَّهْوِ  
تَصَوِّرِ الْمَصْدُورَ فِي خَدَّيْهِ  
تَوَرَّدُ يَطْفُو الصَّبَى عَلَيْهِ  
تَخَالُهُ الرَّبِيعَ عِنْدَ فَجْرِهِ  
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْمَعْ سُعَالَ صَدْرِهِ  
وَرَجُلًا غَصَّ بِبَلْعِ رِيقِهِ  
فَاسْتَنْجَدَ الْقَطْرَةَ فِي إِبْرِيقِهِ  
وَلَوْ دَرَى أَنَّ هُنَاكَ عَقْرَبُ  
لَاثَرِ الْغَصِّ عَلَى أَنْ يَشْرَبَ  
وَأَنْظُرْ أَخِيرًا نَظْرَةً سَرِيعَةً  
مُخْتَلَفَ الشَّرُورِ فِي الطَّبِيعَةِ  
يَبْدُ لَكَ الْمَقْتُ إِذَا، فَتَعْلَمُ  
كَيْفَ أَرَادَتْ «وَرْدَةً» جَهَنَّمَ

\* \*

وَرَغِبْتَ غُلُوءًا أَنْ تَزُورَا  
أُمَّ الْجُدُودِ الْأَقْدَمِينَ صُورَا

فَسَافَرَتْ يَخْفِرُهَا الْفَتَاءُ  
وَحُسْنُهُ — تَبَارَكَتْ غُلُوَاءُ

.....

.....

.....

فَيَنْبِقِيَا وَمَجْدُهَا الْمُشِيدُ  
وَمُلْكُهَا الْمُعْظَمُ الْمُؤَيَّدُ  
أَمِيرَةُ الْفُنُونِ وَالتَّجَارَةِ  
وَمَنْشَأُ الْعُلُومِ وَالْحَضَارَةِ  
سُلْطَانَةُ الْبِحَارِ وَالْأَسْفَارِ  
مَلِكَةُ الْبَرْفِيرِ وَالنُّصَارِ  
لَوْلُؤَةُ الْعُرُوشِ وَالتَّيْجَانِ  
وَمَطْمَحُ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ  
أَمْسَتْ بَقَايَا وَطَنِ مُدْمِرِ  
مِنْ بَعْدِ عِزٍّ شَامِخٍ مُنَوَّرِ  
قَائِمَةٌ كَالطَّلَلِ الْمَهْجُورِ  
عَلَى مِيَاهِ شَاطِئِهِ فِي صُورِ!

عَلَى ذُرْوَةٍ بَيْنَ أَطْلَالٍ صُورَ يُحِيطُ بِهَا شَجَرٌ وَصُخُورٌ  
يَقُومُ بِنَاءٌ كَعُشِّ النَّسُورِ

\*

بِنَاءٌ يَرَى الْعَابِرُونَ عَلَيْهِ نَبَاتًا تَرَامَى عَلَى جَانِبَيْهِ  
فَغَطَى بِعَوْسَجِهِ سُدُفَتَيْهِ  
كَرْمَسٍ قَدِيمٍ لِمَيْنٍ وَزُورٍ تَكَلَّلَ بِالشُّوكِ لَا بِالزُّهُورِ

\*

طَلَاهُ الظَّلَامُ بِلَوْنِ دُجَاهِ لِكَثْرَةِ مَا لَامَسَتْهُ خُطَاهُ  
وَمَرَّ عَلَيْهِ الضِّيا فَطَلَاهُ  
كَأَنِّي بِهِ بُرْجُ جِنٍّ وَحُورٍ تَرَدَّدَ بَيْنَ ظَلَامٍ وَنُورٍ

\*

إِذَا النُّورُ لَوْنُهُ فِي السَّحَرِ وَمَدَّ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْحَوَرِ  
تَرَأَى كَطِيفٍ خِلَالِ الشَّجَرِ  
أَتَى مِنْ دِيَامِيَسِهِ لِيَزُورَ بَقَايَا ذَرَارِيَّ تِلْكَ الْبُدُورِ

\*

وَحِينَ يَسِيلُ اصْفِرَارُ الْمَغِيبِ عَلَى جَانِبَيْهِ بِشَكْلِ كَثِيبٍ  
يَسِينُ كَهَيْكَلٍ عَظَمٍ مُرِيبٍ  
أَبَى أَنْ تُوسِدَهُ فِي الْقُبُورِ — غَدَاةَ تَمَرَدٍ — أَيْدِي الدَّهْورِ

\*

بِنَاءٍ تُزْنِرُ أَسْوَارَهُ خَرَائِبُ تَعْرِفُ أَسْرَارَهُ  
فَقَدْ عَاشَتْ الدَّهْرَ سُمَارَهُ  
فَأَصْغِرْ لِنِسَاءٍ عَنْهُ الصَّخُورُ أَلْحَبُّ شَيْدَ أُمِّ لِلشَّرُورِ

\*

أَيَا سَائِلَ الصَّخْرِ عَنْ جَارِهِ دَعِ الصَّخْرَ يَنْطِقُ بِأَخْبَارِهِ  
فَلَيْسَ ضَنِينَا بِأَسْرَارِهِ

\*

بِنَاهُ الْجَلَالُ وَشَيْدَ مَجْدِهِ وَقَدْ كَانَ عَهْدُ الْجَبَابِرِ عَهْدَهُ  
وَكَانَ الزَّمَانُ الْمُسَوَّدُ عَبْدَهُ  
تُنَارُ اللَّيَالِي بِأَنْوَارِهِ وَتُزْهِى بِأَعْيَادِ سُمَارِهِ

\*

بَنَتْهُ يَدُ الْفَاتِحِينَ الْأَلَى أَهَابُوا بِفِينِيقِيَا لِلْعُلَى  
فَأَمْسَى بِهِمْ شَعْبُهَا الْأَوَّلَا  
يَقُودُ الزَّمَانُ بِأَبْصَارِهِ وَيُسْجِدُهُ تَحْتَ أَسْوَارِهِ

\*

وَكَانَتْ أَمِيرَتُهُ يَوْمَ كَانَ أَمِيرَ الْقُصُورِ بِذَاكَ الزَّمَانِ  
كَحُورِيَّةٍ مِنْ عَذَارَى الْجَنَانِ  
مُعْطَرَةً مِثْلَ أَشْجَارِهِ بِدُهْنِ اللَّبَانِ ، وَأَسْحَارِهِ

\*

وَهَبْتُ عَلَى الْقَصْرِ رِيحُ سَمُومٍ ذَرْتُ مِنْهُ أَنْوَارَ تِلْكَ النُّجُومِ  
كَمَا ذَرْتُ النَّارَ شَعْبَ سَدُومَ  
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ مَجْدِ آثَارِهِ سِوَى غُرَفَاتٍ لِتَذْكَارِهِ

\*

تَرَى الْيَوْمَ يَخْلُفُ أَرْبَابَهَا وَيَقْتَحِمُ التَّنُّ أَبْوَابَهَا  
وَيَفْتَرِشُ السَّوسُ أَخْشَابَهَا  
كَشَعْبٍ تَخْلَى لِأَشْرَارِهِ فَقَامَ الدَّمَارُ لِإِنْذَارِهِ

\*

لَقَدْ سَلَطَتْ فُوهَاتُ الْجَحِيمِ عَلَى صُورَ نَارًا وَسُخْطًا عَظِيمَ  
كَنَّارِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ  
وَأَبْقَى الزَّمَانُ بِأَسْفَارِهِ مِنْ الْمَجْدِ ذِكْرِي لِزُؤَارِهِ

\*

تَأَمَّلْ، تَأَمَّلْ بِرُوحِكَ زُهْدَهُ وَكَيْفَ تُبِيدُ صُرُوفَ اللَّيَالِي  
أَمِيرَ الْقُصُورِ وَتَتْرُكُ بَعْدَهُ  
بَقَايَا مِنْ الْغُرَفَاتِ خَوَالِي خَوَالِي... لَوْلَا «الْحَيِيَّةُ وَرْدَهُ»!

فِي لَيْلَةٍ تَنْبَهَتْ غُلُوءًا وَالْبَدْرُ فِي مَخْدَعِهَا إِنَاءُ  
تَسِيلُ مِنْهُ فِضَّةٌ بَيَضَاءُ

فَأَرْهَفَتْ مِسْمَعَهَا الْمَطْرُوقَا فَسَمِعَتْ تَنْهَدًا عَمِيقًا  
يَصْدُرُ عَمَّا يَنْهَشُ الْعُرُوقَا

وَأَرْسَلَتْ نَظْرَةَ بَرٍّ طَاهِرٍ فَهَالَهَا فِي الْمَخْدَعِ الْمُجَاوِرِ  
فَاجِرَةً عَلَى ذِرَاعٍ فَاجِرٍ!

. . . . .  
. . . . .  
. . . . .

مَا أَنْتِ يَا وَرْدَةٌ تِلْكَ الْوَرْدَةُ بَلْ أَنْتِ مِنْ أَشْوَكِهَا مُسَوَّدَةٌ  
أَمِيرَةَ الشَّهْوَةِ ، أَنْتِ عَبْدَةٌ!

. . . . .  
. . . . .  
. . . . .

أَيُّ خَيَالٍ حَلَّ فِي غُلُوءِ أَيُّ رُؤْيٍ مُحْرِقَةٍ سَوْدَاءُ  
تَعَلَّقَتْ أَجْفَانُهَا الْعَذْرَاءُ؟

فَهَرَبْتُ إِلَى ضِفَافِ الْبَحْرِ وَطَوَّفْتُ بَيْنَ بَقَايَا الدَّهْرِ  
مِنْ خِرْبَةٍ، لِرُجْمَةٍ، لِقَبْرِ

وَكَانَتْ الْمِيَاهُ وَالصَّخُورُ قَائِمَةً مَا بَيْنَهَا الْقُبُورُ  
حَتَّى السَّكُونُ حَوْلَهَا مَسْحُورُ

وَالْمَوْجُ بَعْدَ الْمَوْجِ كَيْفَ ذَابَا مُسْتَسْلِمًا عَلَى الْحَصَى مُنْسَابَا  
يُقْبَلُ الْقُبُورُ وَالتُّرَابَا

كَأَنَّهُ جَمْعٌ مِنَ الْعَذَاوَى أَوْ ذِكْرِيَّاتُ عَاشِقٍ تَوَارَى  
تَهْمِسُ فِي أُذُنِ الرَّدَى أَسْرَارَا

وَلِلْمِيَاهِ زَبَدٌ كَثِيفٌ يُنْسَجُ مِنْهُ كَفَنٌ خَفِيفٌ  
عَلَيْهِ مِنْ نُورِ الدُّجَى حُرُوفُ

وَسَمِعْتُ غُلُوءَ طَيْرِ الْبُومِ يَنْعَقُ كَالشُّومِ عَلَى الرَّسُومِ  
مُدْنَسًا نَقَاوَةَ النَّسِيمِ

وَأَسْتَيْقَظْتُ فِي نَفْسِهَا الْمَحْمُومَةَ مِنْ «وَرْدَةِ الْحَيِّبَةِ» الْأَيْمَةَ  
صَارِخَةً ، أَخِيلَةَ الْجَرِيمَةِ

وَدَبَّ فِي أَعْضَائِهَا النَّحِيفَةُ قَفْقَفَةٌ وَرَجْفَةٌ عَنِيفَةٌ  
حُمَى سَرَتْ فِي جِسْمِهَا خَفِيفَةٌ

وَأَسْتَفْحَلْتُ كَالشَّرِّ حِينَ يَبْدَأُ فَهُوَ صَغِيرٌ إِنَّمَا لَا يَفْتَأُ  
حَتَّى يَصِيرَ نَقْمَةً لَا تَبْرَأُ

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي سَوْدَاءَ بِالْفِتْنَةِ وَالْجَمَالِ  
فَأُصْبِحَتْ غُلُوًّا كَالْخِيَالِ

\* \*

وَبَرَزَتْ عِظَامُهَا فِي الْجِسْمِ  
مُصْطَفَةً عَظْمًا إِزَاءَ عَظْمٍ  
كَأَنَّهَا أَقْلَامُ الْاِعْتِلَالِ  
تَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ الْأَجَالِ  
وَسَالَ فِي وَجْنَتِهَا الدُّبُولُ  
كَنَجْمَةٍ هَمَّ بِهَا الْأُفُولُ  
وَأَمْتَقَعَ الْجَبِينُ بِأَصْفَرَارِ  
كَأَنَّهُ أَوَاخِرُ النَّهَارِ  
فِي لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْغُسُوقِ  
تَذَكَّرَتْ حَيَاتَهَا فِي «الزُّوقِ»  
وَذَكَّرَتْ مَوَاكِبَ الضَّبَابِ  
تَمْتَدُّ كَالْحُلُمِ عَلَى الْهَضَابِ  
وَالشَّجَرِ الْأَخْضَرَ وَالسَّنَابِلِ  
تَبْسُطُ لِلطَّبِيعَةِ الْأَنَامِلِ



وَذَكَرْتُ أَخِيْلَةَ الْمَسَاءِ  
وَرَنَةَ الْأَجْرَاسِ فِي الْهَوَاءِ  
وَدَوْحَةَ الْكَنِيسَةِ الْحَقِيرَةِ  
وَبَابَهَا الصَّغِيرَ، وَالْفَقِيرَةَ  
وَصُفْرَةَ الشَّمْسِ عَلَى الْجِبَالِ  
وَلَعِبَ الْأَطْفَالِ فِي الظَّلَالِ  
وَأَحْتَشَدْتُ أَخِيْلَةَ التَّذْكَارِ  
تَطُوفُ أُسْرَابًا عَلَى الْجِدَارِ  
وَجَحَظْتُ فِي صَدْرِهَا الْآلَامُ  
كَجَفْنِهَا الْمَحْمُومِ لَا تَنَامُ  
وَحَبَبْتُ فِي مُقْلَتَيْهَا الْحُمَى  
بِقَلْبِهَا الْعَقِيفِ ذَاكَ الْإِثْمَا  
وَأَنْتَقَلَ الْإِثْمُ بِهَا أَنْتَقَالَه  
أَجَرْتُ عَلَى خِيَالِهَا خِيَالَهُ  
فَعَظُمَ الْوَهْمُ، وَفِي الْأَوْهَامِ  
أَفْتَكُ بِالْعَقْلِ مِنَ السَّرَّامِ  
وَقَامَ فِي أَحْلَامِهَا الْمُعَذِّبَةُ  
رُؤْيَا كَمَا لَوْ كَانَتْ الْمُرْتَكِبَةُ:

## الرؤيا

عَيْنُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ؟ هِيَ عَيْنٌ، ضِيَاوُهَا الْآثَامُ!

آلَمَتُهُ ذِكْرِي، فَتَاهَ وَفِي عَيْدِ  
وَعَلَى الشَّاطِئِ الْكَثِيبِ قَتَامُ  
حَاوَلَ النَّوْمَ غَيْرَ أَنَّ طُيُوفًا  
فَنَبَا عَنْ فِرَاشِهِ كَأَنَّمِ  
إِنَّ عَيْنَ الْأَثِيمِ جُرْحٌ عَمِيقُ  
نِيهِ مِنْ أَمْسِهِ الْأَثِيمِ حُطَامُ  
وَعَلَى صُورٍ وَحْشَةٍ وَقَتَامُ  
جَاوَرَتْ عَيْنُهُ وَفِيهَا أَنْتِقَامُ  
أَيَقْظَتْهُ مِنْ نَوْمِهِ الْأَحْلَامُ  
قَدِرُ الْجَانِبِينَ ، لَا يَلْتَامُ

وَتَرَاءَتْ لَهُ مَجَارِي الْوَادِي  
فَبَكَى ذَاكِرًا عَذُوبَةً مَاضِيَةً  
قَالَ: «مَا حَلَّ بِاللَّيَالِي الْخَوَالِي  
وَتَلَوَى يَصْبِحُ: «وَيْحَ ضَمِيرِي  
كَسْرِيرٍ يَغِيْمُ فِي الْأَبْعَادِ  
وَحُبًّا مَضَى مَعَ الْأَوْرَادِ  
كَيْفَ عَائَتْ بِهَا يَدُ الْجَلَادِ؟»  
لَيْسَ هَذَا الْجَلَادُ إِلَّا قَوَادِي!»

طَرَحْتَكَ السَّمَاءَ عَنْ قَلْبِ غُلُوءٍ      ۞ كَفَرَعِ رِجْسٍ مِنَ الْأَجْسَادِ  
خَائِنَ الْحُبِّ إِنَّ حُبَّكَ دُونُ      فَاحْتَجِبْ فِيهِ عَنْ عِيُونِ الْعِبَادِ  
ثُمَّ سَادَتْ سَكِينَةٌ وَتَوَارَتْ      جُزُرُ الثُّورِ فِي الْفَضَاءِ الرَّمَادِي

\* \*

لَمْ يَرِ الْفَجْرَ غَاسِلًا بِضِيَاهُ      هَضَبَاتِ الْمَدِينَةِ الْمَرْدُومَةِ  
وَقِبَابِ الْأَبْرَاجِ يُوقِظُهَا النُّو      رُ كَجِنٍّ عَلَى قُبُورِ قَدِيمَةٍ  
فَرَّ لَمْ يَلْتَفِتْ كَشَعْبٍ سَدُومٍ      حِينَمَا أَحْرَقَ الْإِلَهُ سَدُومَةَ

مُزَجَ الثُّورُ بِالْدَجَى حِينَ خَطَّ ال      فَجَرُّ فِي صَفْحَةِ السَّمَاءِ رُسُومَةٍ  
كَضَمِيرِ الْأَثِيمِ يَشْمَلُهُ الصَّف      حُ وَتَبَقَى مِنْ وَخْزِهِ جُرُثُومَةٍ  
فَاطَلَتْ غُلُوءٌ مِنْ كُوءِ الْخَد      رِ وَفِي نَفْسِهَا شَجُونٌ عَظِيمَةٌ  
قَالَتْ: «الْفَجْرُ شَاحِبٌ مِثْلُ وَجْهِ      وَالْيَمِّ سَاهٍ كَنَفْسِي الْأَلِيمَةِ  
أَيُّهَا الْعُمُرُ، كَمْ تَعُدُّ صَبَاحًا      بَعْدُ لِي... فِي أَيَّامِكَ الْمَحْطُومَةِ؟»

## العهد الثاني

### عذاب الضمير

١

تَرَامَى اللَّيْلُ كَالْهَمِّ الثَّقِيلِ      يَجْرُ ذُبُولَ مِعْطَفِهِ الطَّوِيلِ  
وَيُبْرِزُ فِي مَشَارِفِهِ نُجُومًا      يَلُونِ بُرْتُقَالِيَّ ضَنْبِيلِ  
وَكَانَتْ زُوقُ مِيكَائِيلَ تُصْغِي      إِلَى هَمْسِ النَّيَّاسِمِ فِي الْحُقُولِ  
فَتَبْسِمُ عَنْ كَوَاكِبِهَا النَّحِيلَةَ  
وَتَحْلُمُ فِي جَوَازِبِهَا الْجَمِيلَةَ  
بِعَهْدٍ — مَرَّ فِي الدُّنْيَا — جَمِيلِ

\* \*

وَكَانَتْ قُبَّةُ الْجَرَسِ الْمُقِيمَةِ      عَلَى عَمْدَي كَنِيسَتِهَا الْقَدِيمَةِ  
تَقَطُّعُ فِي السَّمَاءِ وَقَدْ تَرَامَى      عَلَيْهَا النُّورُ أَفْلَاحًا سَقِيمَةِ

كَطِيفٍ يَخْفِرُ الْأَمْوَاتَ لَيْلاً وَيَبْقَى سَاهِراً سَهَرِ الْأُمُومَةِ  
 وَكَانَ اللَّيْلُ مُنْفَطِرَ الشُّعُورِ  
 أَحْسَنَ لَهَيْبَ سُكَّانِ الْقُبُورِ  
 فَلَطَّفَ فِي مَعَابِرِهِ نَسِيمَهُ

\* \*

وَكَانَتْ أَغْصُنُ الدَّوْحِ الْقَدِيمِ يَهْزُ رُؤُوسَهَا مَرَّ النَّسِيمِ  
 فَيُسْمَعُ فِي الدَّجَى مِنْهَا خَفِيفٌ كَصَوْتِ الْوَحْزِ فِي قَلْبِ أَثِيمِ  
 وَفِي الْأَكْوَاخِ أَقْبَاسُ ضِعَافٍ كَأَخِيلَةِ الْكَوَاكِبِ فِي الْأَدِيمِ  
 تَصْعَدُ مِنْ نَوَافِذِهَا الصَّغِيرَةِ  
 زَفيراً مِنْ أَشِعَّتِهَا الْحَقِيرَةِ  
 كَأَنَّ بَزِيَّتِهَا بَعْضَ الْهُمُومِ

\* \*

وَفِي الْأَبْعَادِ كَانَ يُرَى الْخَلِيجُ تَمُجُّ مِيَاهُهُ نُوراً يَسْمُوجُ  
 كَلُوحٍ أَسْوَدٍ مُلْقَى عَلَيْهِ إِطَارٌ فِيهِ، مِنْ ذَهَبٍ، نَسِيجُ  
 تُدَبِّجُهُ مَصَابِيحُ وَزُهُرُ لَهَا فِي الْمَاءِ مَنْظَرُهَا الْبَهِيجُ  
 وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ عَلَى الشَّوَاطِئِ  
 إِذَا أَمْتَرَجَتْ بِأَضْوَاءِ الْمَرَاثِي  
 يَكُونُ مِنَ الْخَيَالِ بِهَا مَزِيجُ

\* \*

دَعِ الْأُبْعَادَ فِي اللَّيْلِ الْجَمِيلِ    تَنَمَّ سَكْرَى مَعَ النَّوْرِ الضَّيْلِ  
وَحُلَّ أَنَامِلَ النَّسَمَاتِ تَلْعَبُ    كَمَا شَاءَتْ بِأَوْرَاقِ الْحُقُولِ  
وَدَعِ قَطَرَ النَّدى الْمَخْمُورَ يَسْقُطُ    عَلَى جَسَدِ الْجَنَائِنِ وَالْطُّلُولِ

وَهَيَّا بِي نَلِجْ قَصْرًا صَغِيرًا

تَرَى الْمِصْبَاحَ يَمْلَأُهُ شُعُورًا

رَسَا فِي الزُّوقِ مِنْ عَهْدٍ طَوِيلِ

\* \*

فَتُبْصِرَ إِنِّ وَلَجْتَ فَتَى كَثِيرًا    مِنَ الْإِحْسَاسِ يُوشِكُ أَنْ يَذُوبَا  
إِذَا أَمَعْنَتْ فِيهِ رَأَيْتَ جِسْمًا    يَفُورُ كَأَنَّ فِي دَمِهِ لَهْيَا  
لَهُ قَلْبٌ يُرَى فِي كُلِّ قَلْبٍ    كَأَنَّ اللَّهَ ذَرَّ بِهِ قُلُوبَا  
فَتَى كَالْفَجْرِ أَلَوَانًا وَعُمْرًا

إِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَ فَجْرًا

يَمُدُّ جِوَاهُ ظِلًّا غَرِيبَا

\* \*

وَإِنْ أَصْغَيْتَ تَسْمَعُهُ يَقُولُ    لِوَالِدَةٍ أَلَمَ بِهَا الشُّحُولُ  
لَأُمٍّ فَارَقَتْ زَوْجًا حَبِيبًا    طَوَاهُ مِنَ الرَّدَى لَيْلٌ ثَقِيلُ:  
«أَحْسُ لَهَا أَضْطِرَابًا فِي فُؤَادِي    وَدَمْعًا فِي حَنَائِيهَا يَجُولُ  
وَمَا أَحْسَسْتُ أَمْسٍ بِمِثْلِ هَذَا

فَأَمْسِي كَانَ — لَا أَذْرِي لِمَاذَا —

جَمِيلًا، كُلُّ مَا فِيهِ جَمِيلٌ!

\* \*

أَجَلٌ، يَا أُمُّ، صِرْتُ فَتًى شَقِيًّا    يَكَادُ الْيَأْسُ يُطْفِئُ مُقَلَّتِيَا  
فَأَيْنَ مَضَتْ لَيَالِيَّ الْخَوَالِي    وَقَلْبٌ كَانَ فِي الْمَاضِي خَلِيًّا؟  
أَرَى غُلُوءًا تُعْرِضُ عَنْ هَيْامِي    وَيَكْتُمُ قَلْبُهَا سِرًّا خَفِيًّا!  
وَتَسْمَعُهَا تَقُولُ لَهُ: «شَفِيقُ

بُنَيَّ، لَقَدْ أَضَلَّتْكَ الطَّرِيقُ

فَهَلْ نَبَّهْتَ قَلْبَكَ يَا بُنَيَّا؟

\* \*

جَمِيلٌ، يَا وَحِيدِي، أَنْ تُحَيَّا    وَتَرْفَعَ لِلْهَوَى عَيْنَا وَقَلْبَا  
وَتَسْمَعَ مِنْهُ أَنْغَامًا عَذَابًا    وَتَشْرَبَ مِنْ يَدَيْهِ الْمَاءَ عَذْبَا  
لَقَدْ أَحْسَسْتُ قَبْلَكَ بِاضْطِرَابِ    وَقَاسَيْتُ الْهَوَى سَهْلًا وَصَعْبَا  
وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْدَمُ مَنْ تَأَنَّى

فَعَلُّوْا، يَا أَبْنِ، أَكْبَرُ مِنْكَ سِنَا

إِذَا رَضِيَ الْهَوَى فَالْعُمُرُ يَأْبَى

\* \*

تَأَنَّ، فَسَوْفَ تَهْوَى مَنْ تُرِيدُ    وَتَهْوَاكَ الْعَذَارَى وَالْوُرُودُ

فَمِثْلُكَ لَا يُجَاوِرُهُ قُنُوطٌ وَمِثْلُهُ شَبَابُهُ عَقْلٌ رَشِيدٌ  
 أَمَامَكَ، يَا ابْنِي، أَعْوَامٌ طَوَالٌ وَمِنْ زَهْرِ الْهَوَىٰ عَدَدٌ عَدِيدٌ  
 تَأَنَّ، فَسَوْفَ تَقْطُفُ مِنْهُ زَهْرَهُ  
 تَكُونُ أَشَدَّ مِنْ غُلَواءِ نُضْرَةِ  
 يُبَارِكُ عِطْرُهَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ.

\* \*

فَيُطْلَقُ زَفْرَةُ التَّعَسْرِ الْكَثِيبِ وَيَغْرَقُ فِي دُجَى فِكْرِ غَرِيبِ  
 وَيَذْهَبُ لَا يُجِيبُ... وَفِي هَوَاهُ لَظَى شَكٌّ أَشَدُّ مِنَ اللَّهَبِ  
 وَكَيْفَ يُجِيبُ أُمًّا جَفًّا فِيهَا عَصَارُ الْحُبِّ فِي عَهْدِ الْغُرُوبِ  
 — يَا أُمِّي أَصْرِي ذِي الْكَأْسِ عَنِّي  
 فَمَا فِي الْحُبِّ شَأْنٌ لِلتَّائِي  
 وَمَا لِلْعُمْرِ شَأْنٌ فِي الْقُلُوبِ

\* \*

وَيَذْهَبُ لَا يُجِيبُ... وَفِي هَوَاهُ مِنْ الْأَشْجَانِ مَا يُضْنِي قِوَاهُ  
 — دَعِي، يَا أُمِّ، زَهْرَ النَّاسِ يَسِمُ وَيَنْشَقُّ فِي الْوَرَى غَيْرِي شَذَاهُ  
 فَلِي فِي جَنَّةِ الْأَشْوَاكِ زَهْرٌ غَرِيبُ اللَّوْنِ لَا أَرْضَى سِوَاهُ!

. . . . .  
 . . . . .  
 . . . . .



وَشُفِيَتْ غُلُوءٌ مِنْ آلَامِهَا  
لَكِنَّهَا لَمْ تُشَفْ مِنْ أَوْهَامِهَا !

. . . . .  
. . . . .  
. . . . .  
. . . . .

صُبَابَةٌ اللَّيْلِ عَلَى الْهَضَابِ  
تَرْحَفُ زَحْفَ الْهَارِبِ الْمُرتَابِ  
سَاحِبَةً وَشَاحَهَا الرَّمَادِي  
عَنْ جَسَدِ الْأَعْشَابِ وَالْأُورَادِ  
وَبَرَزَتْ جَوَادِبُ السَّهُولِ  
عَارِيَةً ، بِلَحْظِهَا الْخَجُولِ  
وَأَنْتَعَشَتْ حُشَاةُ النَّسِيمِ  
فَارْتَعَشَتْ فِي وَرَقِ الْكُرُومِ  
وَذَوَبَتْ أَبْخَرَةُ الْأَنْوَارِ  
فِي الصَّبْحِ أَلْوَانًا عَلَى الْأَطْيَارِ

بِرَاعِمُ الزَّهْرِ عَلَى الْآكَامِ  
 تَبَسُّمُ الرَّبِيعِ لِلْأَيَّامِ  
 وَنَعْمُ الْجَدَاوِلِ الرَّقْرَاقَةُ  
 تَمْتَمَةُ الطَّبِيعَةِ الْمُشْتَاقَةُ  
 مَنْ يَا تُرَى يَكُونُ هَذَا الْوَلَدُ  
 فِي مُقْلَتَيْهِ حُلْمٌ مُشَرَّدُ  
 كَأَنَّهُ فِي جِسْمِهِ الضَّعِيفِ  
 وَرَيْقَةُ مِنْ وَرَقِ الْخَرِيفِ  
 لَا حُبَّهُ يَحْلُو وَلَا الرَّيْعُ  
 فَقَلْبُهُ وَعَيْنُهُ دُمُوعُ !

٣

أَطَلَّتْ مِنْ الشَّبَاكِ وَاللَّيْلِ نِيرُ  
 يَغِيبُ ضِيَاءُ الْبَدْرِ عَنْهَا فَتَحْتَنِي  
 فَقَالَتْ: «أَفِي الْبُسْتَانِ رِيحٌ لَطِيفَةٌ  
 أَفِيهِ خَيَالَاتٌ أَحْنُ مِنْ الْوَرَى  
 فَأَبْصَرْتَ الْأُورَاقَ تُطَوِي وَتُنْشِرُ  
 وَيُظْهِرُ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ فَتُظْهِرُ  
 تُبَرِّدُ فِي نَفْسِي لَظْيٌ يَتَسَعَّرُ  
 تُبَدِّدُ عَنِّي بَعْضَ مَا أَتَذَكَّرُ!»

\* \*

وَخَفَّتْ إِلَيْهِ، وَارْتَعَاشَتْ جِسْمَهَا  
 يُلُونَهَا الْبَدْرُ الْحَبِيُّ الْمُصَوِّرُ

فَصَادَفَ جَفْنَاهَا الْكَسِيرَانِ جَدُولًا  
وَقَدْ طَفَتِ الْأَزْهَارُ فَوْقَ مِيَاهِهِ  
وَفِي حِينٍ كَانَتْ تُرْسِلُ الْفِكَرَ فِي الدَّجَى  
تَرَاءَتْ لِعَيْنَيْهَا طُيُوفٌ مُخِيفَةٌ  
تَخَلَّلَ مَجْرَاهُ سُرَادِقُ أَخْضَرُ  
كَحْلُمٍ نَقِيٍّ اللَّوْنِ يَأْتِي وَيَعْبُرُ  
وَفِي نَفْسِهَا مَاضٍ يَمُدُّ وَيَجْزُرُ  
تَمُجُّ كَأَفْوَاهِ الْأَفَاعِي وَتَصْفِرُ!

\* \*

وَعَادَتْ لِمَأْوَاهَا لَدُنْ عَادَ رُشْدُهَا  
وَأَلْقَتْ بِأَيْدِي النَّوْمِ مَخْمُورَ رَأْسِهَا  
تَمُرُّ بِهِ الْأَحْلَامُ خَاوِيَةَ الْحَشَا  
جِبَاعٌ يُؤَدِّيهَا الْخَوَاءُ إِلَى الْكَرَى  
رَمُوزٌ هَوَى يَسْتَرْفِدُ الْقَلْبَ بُلْغَةً  
وَلَمَّا طَوَى اللَّيْلُ النَّجْيُ وَشَاحَهُ  
أَفَاقَتْ، وَقَدْ لَاشَى لَهَيْبَ شُجُونِهَا  
كَمِجْمَرَةٍ أَفْنَتْ مَدَى اللَّيْلِ نَارَهَا  
وَرَنَ صَدَى الْأَجْرَاسِ فِي كَبِدِ الضُّحَى  
فَقَالَتْ: «لَعَلَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي  
إِلَيْهَا، وَفِي الْأَجْفَانِ يَأْسٌ وَأُدْمَعُ  
فَجَاوَرَ عَيْنَيْهَا كَرَى مُتَقَطِّعُ  
جِبَاعٌ تُزَجِّبُهَا طَوَائِفُ جُوعُ  
فَتَأْكُلُ أَفْلَازَ الْعُيُونِ وَتَشْبَعُ  
إِذَا جَاعَ، أَوْ يُهْوِي عَلَيْهِ فَيَنْصَعُ  
وَجَاءَ سَفِيرٌ لِلصَّبَاحِ يُشِيعُ  
سَمَاعُ طُيُورٍ فِي الْحَدِيقَةِ تَسْجَعُ  
فَمَا حَشَوُهَا إِلَّا رَمَادٌ مُجْمَعُ  
يُهَيْبُ بِأَرْوَاحِ التَّقَاةِ، فَتُسْرِعُ  
فَمَا لِي فِي الدُّنْيَا سِوَى اللَّهِ مَرْجَعُ

النَّاسُ فِي الْمُعْتَكَفِ الْمُقَدَّسِ يُعْلُونَ لِلَّهِ بِخُورِ الْأَنْفُسِ  
وَلِلنَّفُوسِ صَوْتُهَا الْمَسْمُوعُ  
وَأَذْرَعُ الْعَجَائِزِ الْمُرتَجِفَةَ كَأَنَّهَا مَسَارِجُ مُنْعَكِفَةٍ  
جَفَّتْ عَلَى قِمَّتِهَا الشَّمْعُ

\* \*

وَصَلَوَاتُ الْكَاهِنِ الْقَدِيسِ  
تُذِيبُ رُوحَ اللَّهِ فِي النَّفُوسِ  
قَالَ بِصَوْتٍ خَافٍ: «أَبَانَا  
أَنْزِلْ عَلَى شُعُوبِكَ الْغُفْرَانَا!»  
إِذَا، بِغَلَا، كَضْمِيرِ الْجَانِي  
تَجَمُّدٌ عِنْدَ لَفْظَةِ الْغُفْرَانِ

\* \*

وَتَخْفِضُ الرَّأْسَ إِلَى الْحَضِيضِ ذَارِفَةً مِنْ جَفْنِهَا الْمَرِيضِ  
بَعْضَ دُمُوعٍ، كَالْعَقَافِ، يَبِضُ  
وَالْعَرَقُ الْبَارِدُ مِنْ جِبْهَتِهَا يَرْشَحُ كَاللَّهَبِ مِنْ مُهَجَّتِهَا  
أَوْ كَمَذَابِ الْقَلْبِ مِنْ تَوْبَتِهَا

وَكَانَ فِي إِحْدَى زَوَايَا الْهَيْكَلِ مُخْتَطَفَ الرُّوحِ شَرِيدَ الْمَقْلِ  
ذُو النَّظَرِ الْمُخَدَّرِ الْمُشْتَعِلِ

\* \*

فَبَدَرَتْ مِنْ عَيْنِهِ التِّفَافَةُ  
إِلَى الْمُصَلَّى فَرَأَى فَتَاتَهُ

\* \*

غُلُوءَ ذَاتِ الْأَلَمِ السَّرِيِّ ذَاتِ الضَّمِيرِ التَّعَبِ الشَّقِيِّ  
ذَاتِ الْهَوَى الْمُدْنَسِ النَّقِيِّ

تَقْرَأُ فِي كِتَابِهَا الصَّغِيرِ كَأَنَّهَا تَقْرَأُ فِي ضَمِيرِ  
مُعَذِّبٍ مُلْتَهَبِ السَّطُورِ

وَتَارَةً تَرْفَعُ عَيْنًا سَاهِيَةً إِلَى الْبَحُورِ الْمُتَلَاشِي  
فِي سَمَاءِ الزَّوَايَةِ

فَتَتَلَاشَى مِثْلَهُ أَنْفَاسُهَا فِي خَلَجَاتٍ وَارْتِعَاشِ  
مِثْلَ ارْتِعَاشَاتِ الْفَرَاشِ

فِي الْجَوِّ حِينَ تَنْتَهِي أَعْرَاسُهَا أَوْ كَالضَّبَابِ فِي مَسَا الْخَرِيفِ  
يَنْحَلُّ فِي ارْتِعَاشِهِ الْخَفِيفِ

فَقَالَ: «مَا تَخْشَى؟ تَرَاهَا، مَا بِهَا يَغْمُرُهَا، طَوْرًا، دُجَى اضْطِرَابِهَا  
وَتَارَةً، تُعْرِضُ عَنْ كِتَابِهَا؟»

وَأَتَتْهُ الصَّلَاةُ فِي هَيْكَلِ الْإِلَهِ  
فَانْصَرَفَ الْجُمْهُورُ

وَبَقِيَتْ غُلُوءُ وَالْهَمُّ وَالشَّقَاءُ  
فِي الْمَعْبَدِ الْمَهْجُورِ

كَشَمْعَةٍ لَمَّا تَزَلْ مُضَوَّاهُ  
بَيْنَ شُمُوعِ الْهَيْكَلِ الْمُنْطَفِئَةِ

٥

كَانَ شَفِيقٌ لَمْ يَزَلْ مُخْتَلِيً فِي الْجِهَةِ الْيُسْرَى مِنَ الْهَيْكَلِ  
مُفَكِّرًا فِي حُبِّهِ الْمُقْفَلِ

\* \*

يُسَائِلُ الْقَلْبَ فَلَا يَنْطِقُ  
وَالْقَلْبُ سِرٌّ فِي الْهَوَى يَخْفِقُ

\* \*

فَمُذْ رَأَى فَلَتَهُ الذَّائِبَةُ غُلُوءُ ذَاتِ الْكَبِدِ الدَّائِمَةِ  
بَاقِيَةً تَضْرَعُ فِي الزَّائِبَةِ

قَالَ: «أَفِقْ يَا حُبَّ مِنْ هَجَعَتِكَ فَسَيَدُ الْآلَامِ فِي بَسِيعَتِكَ  
أَحَبَّ حَتَّى مَرِيمَ الزَّانِيَةِ!»

ثُمَّ دَنَا مِنْهَا وَفِي مُقْلَتِهِ دَمْعٌ يَطُوفُ الْحُبُّ فِي مَوْجَتِهِ  
كَحِطْمَةٍ تُقَذَفُ مِنْ مُهَجَّتِهِ

فَانْتَفَضَتْ غُلُوءٌ مِنْ دُغْرِهَا وَثَارَتْ الْأَنْفَاسُ فِي صَدْرِهَا  
كَأَنَّهَا الْبُرْكَانُ فِي ثَوْرَتِهِ

فَقَالَ: «عَفْوًا، هَذِهِ أَدْمُعِي تَشْفَعُ، يَا غُلُوءًا، بِي فَاشْفَعِي  
قَطَرْتُهَا مِنْ قَلْبِي الْمَوْجَعِ

تَحْمِلُ فِي مَوْجَاتِهَا مِنْ دَمِي حَدِيثَ حُبٍّ لَمْ يَرِدْ مِنْ فَمٍ  
وَلَمْ يَقَعْ مِنْ قَبْلُ فِي مَسْمَعٍ

أَمَامَ هَذَا الْهَيْكَلِ الْأَطْهَرِ أَمَامَ عَيْنِ الْبَائِسِ الْأَكْبَرِ  
أَمَامَ شَمْعِ الْمَعْبُدِ الْأَصْفَرِ

وَهَذِهِ الْأَشِيعَةُ الذَّائِبَةُ مِنْ فِلَذَةِ الْغَزَالَةِ الشَّاحِيَةِ  
عَلَى رُخَامِ الْمَذْبَحِ النَّيِّرِ

أَمَامَ أَوْجَاعِي، أَمَامَ الْأَلَمِ أَمَامَ هَذَا الضَّعْفِ، هَذَا السَّقَمِ  
وَهَذِهِ الْعَيْنِ الَّتِي لَمْ تَنَمْ

أَطْرَحُ قَلْبِي لِلْهَوَى مِجْمَرَةً! «فَغَمَغَمَتْ غُلُوءًا: «مَا أَكْفَرَةٌ  
هَذَا الْهَوَى! يَمْضِي وَيَأْتِي النَّدَمُ.»

وَحَدَّثَتْ حِينًا إِلَى الْمُغْرَمِ وَقَلْبُهَا فِي صَدْرِهَا الْمُظْلِمِ  
يَمْشِي مِنَ الْآلَامِ فِي مَاتَمِ

ثُمَّ أَمَلَتْ عَيْنُهَا السَّاهِيَةَ عَنْ عَيْنِهِ الْكَثِيَّةِ الْبَاكِيةِ  
وَأَسْتَفْرَقَتْ فِي حُلُمِ مُبْهِمِ

فَقَالَ: «لا، لا تُعْرِضِي فَالْشَقَا أَرَادَ، يَا غُلَوَاءُ، أَنْ أُخْلَقَا  
أَنْ أَعْرِفَ الْحُبَّ وَأَنْ أَعْشَقَا

فَأَيُّ سِرٍّ فِي دُجَاكِ أَسْتَتِرُ نَفْسِيهِ عَيْنَاكِ لِهَذِي الصُّورِ  
وَعَنْ فُؤَادِي لَمْ يَزَلْ مُغْلَقًا؟»

وَلَمْ يَكَدْ يَصْمُتُ حَتَّى سَجَدَ - قُدْسُ الْهَوَى مَا ذَلَّ فِيهِ أَحَدٌ  
فَالْحُبُّ - لَا كُفْرَ - إِلَهُ صَمَدُ

كَأَنَّ فِي مُقْلَتِهَا هَيْكَلَهُ يَرَى عَلَيْهِ سَيِّدَ الْجَلْجَلَةِ  
يَفْتَحُ لِلْحُبِّ جِرَاحًا جَدْدُ

وَقَالَ: «غُلَوَاءُ، هُنَا مَعْبُدِي فِي صَدْرِكَ الْمُنْطَفِئِ الْمُوقِدِ  
وَعَيْنُكَ الْغُرْقَى يَبْحِرُ الْغَدِ.»

وَصَادَفَتْ مُقْلَتُهُ الْمَذْبَحَا عَلَيْهِ ذَيْلٌ مِنْ شُعَاعِ الضُّحَى  
وَصُورَةَ الْعَذْرَا، فَقَالَ: «أَشْهَدِي!»

قَالَ: «أَشْهَدِي، إِنَّ الْهَوَى يَشْهَدُ يَا صُورَةَ لِمَرِّمِ تُعْبَدُ  
يَا مَوْقِدًا لِلْحُبِّ لَا يَخْمَدُ.»



الْحُبُّ نِيرَانٌ تُنِيرُ السَّمَاءَ فَتُرْسِلُ النُّورَ لَنَا كُلَّمَا  
 حَانَ مَعَ اللَّهِ لَنَا مَوْعِدُ  
 أَشِيعَةٌ مِنْ مُقَلَّةِ الْخَالِقِ تَذُوبُ فِي الْأَكْبَادِ مِنْ خَالِقِ  
 فَتَمَزُجُ الْخَالِقَ بِالْعَاشِقِ  
 وَاللَّهُ مَا أَبْدَعَ قَلْبَ الْبَشَرِ حَتَّى يَظُلَّ خَامِداً كَالْحَجَرِ  
 فَالنَّارُ فِي غُنْصِرِهِ الْخَافِقِ  
 قَالَ لَهَا: «قَلْبُكَ، مَا أَفْجَعَهُ اللَّهُ مَا أَقْسَاهُ، مَا أَوْجَعَهُ  
 تَكَلِّمِي، أَوَدَّ أَنْ أَسْمَعَهُ  
 أَوَدَّ أَنْ أَحْنِي لَهُ أَضْلُعِي قَوْساً مِنَ الْحُبِّ فَيَبْقَى مَعِي  
 مَا بَقِيَ الْعُمُرُ، وَأَبْقَى مَعَهُ  
 أَوَدَّ أَنْ أَفْرُشَ عَيْنِي لَهُ هَذَا دَمِي أَوَدَّ أَنْ يَأْكُلَهُ  
 إِنَّ الْهَوَى يُهَوِّنُ الْجَلْجَلَةَ  
 لَيْسَ الْهَوَى، يَا أُخْتَ رُوحِي، سَوَى قُرْبَانَةِ الْأَرْوَاحِ، لَيْسَ الْهَوَى...»  
 فَغَمَّغَمَتْ غَلْوَا: «سَوَى مَهْزَلَةٍ»  
 وَغَادَرَتْهُ فِي أَسَى مُوْغِلٍ مِنْ مُشْكِلٍ يُزْجِي إِلَى مُشْكِلٍ  
 كَمُدْلِجٍ فِي لَيْلِهِ الْأَلِيلِ  
 فَقَالَ: «هَذَا الْحُبُّ مَنْ أَنْزَلَهُ؟» فَرَنَ فِي مِسْمَعِهِ: «الْمَهْزَلَةُ!»  
 وَرَجَعَتْهَا قُبَّةُ الْهَيْكَلِ!

## العهد الثالث

### التجلي

١

إِجْرَحِ الْقَلْبَ وَأَسْقِ شِعْرَكَ مِنْهُ  
مَصْدَرُ الصَّدْقِ فِي الشَّعُورِ هُوَ الْقَلْدُ  
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَذِّبْ وَتَغْمِسْ  
فَقَوَافِيكَ زُخْرُفٌ وَبَرِيقٌ  
وَإِذَا الْقَلْبُ لَمْ يُرَقِّقْ بِحُبٍّ  
وَالْهَوَى دُونَ أَكْبَدٍ لَيْسَ يَحْيَا  
ضَحٌّ بِالْقَلْبِ إِنْ هَوَيْتَ فَلَيْسَ الـ  
يَا لَهَا فِي الْهَوَى وَلِيْمَةٌ قَلْبٍ  
وَأَشَقُّ مَا شِئْتَ، فَالْشَّقَا مُحْرِقَاتُ  
رُبَّ جُرْحٍ قَدْ صَارَ يَنْبُوعَ شِعْرِ

فَدَمُ الْقَلْبِ خَمْرَةُ الْأَقْلَامِ  
بُ وَفِي الْقَلْبِ مَهْبِطُ الْإِلْهَامِ  
قَلَمًا فِي قَرَارَةِ الْآلَامِ  
كَعِظَامٍ فِي مَدْفَنٍ مِنْ رُخَامِ  
حَجَّرَتْهُ ضَغَائِنُ الْأَيَّامِ  
فَغِذَاءُ الْهَوَى مِنَ الْأَجْسَامِ  
قَلْبُ إِلَّا وَلِيْمَةٌ لِلْغَرَامِ  
سَوْفَ يَبْقَى لَهَا صَدَى فِي الْأَنَامِ  
صَعِدَتْ مِنْ مَذَابِجِ الْأَرْحَامِ  
تَلَسَّتِي عِنْدَهُ النَّفُوسُ الظُّلُومِي

وَزَفِيرٍ أَمْسَى — إِذَا قَدَسَتْهُ الـ  
وَعَذَابٍ قَدْ فَاحَ مِنْهُ بَخُورٌ  
رُوحٌ — ضَرْباً مِنْ أَقْدَسِ الْأَنْغَامِ  
خَالِدٌ فِي مَجَامِرِ الْأَحْلَامِ

قَطَفَ الْهَمُّ وَالْأَسَى زَهْرَاتِ  
وَجَنَى الْبُؤْسُ بَعْضَ أَشْوَاكِ وَرَدِ  
نَبَتٌ فِي ضِفَافِ نَبْعِ الدَّمْعِ  
عَطَفَتْهَا الصَّبَا عَلَى الْيَنْبُوعِ  
وَإِذَا بِالْغَرَامِ يَضْفِرُ مِنْهَا  
لِشْفِيكِ إِكْلِيلَ قَلْبٍ وَجِيعِ

\* \*

وَتَرَاءَتْ مَلَائِكُ لِشْفِيكِ  
وَكَتَبَتْهَا مِنَ السَّمَاءِ عَذَارَى  
فِي ثَنَائِهَا غَمَامَةٌ بَيْضَاءُ  
طَاهِرَاتُ كَادُمِعِ الشَّعْرَاءُ  
حَامِلَاتُ عَلَى الصُّدُورِ حُلِيًّا  
كَمَصَابِيحَ أَشْعَلَتْ فِي السَّمَاءِ

أَوْ عَنَاقِيدَ أَنْضَجَتْهَا شُمُوسُ الْحُبِّ

فِي عَالَمِ الْخَيَالِ الرَّفِيعِ

حَيْثُ لَا يَضْمَحَلُّ فَصْلُ الرَّبِيعِ

\* \*

وَتَرَاءَتْ لَهُ سَلَالِمُ حَمْرَا  
فُرِشَتْ كُلُّ سُلَمٍ بِوُرُودِ  
تَدَلَّتْ أَذْيَالُهَا فِي الْأَثَرِ  
رَبَطَتْهَا شَفَائِفُ مِنْ حَرِيرِ  
وَعَلَى كُلِّ وَرْدَةٍ قَطْرَاتُ  
شَعٍّ مِنْهَا لَمْ أَدْرِ أَيُّ شُعُورِ  
فَكَانَ الْوُرُودَ جَامَاتُ حُبٍّ

أَوْ قَوَارِيرُ رُصَّعَتْ بِدُمُوعٍ  
وَطَلَّتْهَا السَّمَاءُ بِلَوْنِ النَّجِيعِ

\* \*

وَتَرَاءَتْ لَهُ جُمُوعُ الْعَذَارَى فَوْقَ تِلْكَ السَّلَامِ الْعُلُويَّةِ  
عَازِفَاتٍ لَهُ مَزَامِيرَ دَاوُدَ بِكِنَارَةِ الْهَوَى الْقُدْسِيَّةِ  
كُلَّ لَيْلٍ، يَا رَبِّ، أَغْمُرْ بِالْدمِ عِشْرِينَ سَرِيرِي مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ  
وَيُصْبِحُ الْفِرَاشَ مَاءً عَيُْونِي !  
كُنَّ يَعْزِفْنَ ، وَالصَّدى فِي الرَّقِيعِ  
كَانَ يَرْقَى إِلَى الْعَلَا بِخُشُوعٍ

\* \*

«فِي قُلُوبِ الْوَرَى فَسَادٌ، وَلَا صِدْقَ بِأَفْوَاهِهِمْ، فَفِيهَا شُرُورٌ  
وَحُلُوقُ الْوَرَى قُبُورٌ!...» وَلَمَّا انْقَطَعَ اللَّحْنُ وَأَنْتَهَى الْمَزْمُورُ  
سَمِعَ الْعَاشِقُ الْمُعَذَّبُ صَوْتًا رَجَعَتْ فِي الْعَلَا صَدَاهُ الْخُدُورُ:  
«طَهَّرْتِكَ الْآلَامُ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ  
وَالْهَوَى فِي قُودِكَ الْمَوْجُوعِ  
وَلَيْسَالِيكَ فِي ظَمَاءٍ وَجُوعٍ

\* \*

قَدَسَتْ شُعْلَةُ السَّمَاءِ فَمَكَ الْإِنْدُ سَيِّئًا فَاحْمَدُ نَارَ السَّمَاءِ وَمَجْدُ

وَهَوَاكَ الشَّقِيَّ قَدَسَهُ الدَّمْعُ فَعَمَسَهُ بِالدِّمَاءِ وَخَلَدَ  
فَجَرَ الْحُبِّ مِنْ قَوَادِكِ شِعْرًا أَيُّهَا الْبَلْبُلُ الصَّمُوتُ فَأَنْشِدْ! »

. . . . .

. . . . .

أَيُّهَا الْفَاتِحُونَ فِي الْأَرْضِ طُرًّا أَيُّهَا الشَّارِبُونَ كَأْسَ الدِّمَاءِ  
أَيُّهَا الشَّاحِصُونَ لِلْكَوْنِ سُخْرًا مِنْ خِلَالِ الْقَذَائِفِ الصَّمَاءِ  
وَدِمَاءِ الضَّعَافِ وَالْأَبْرِيَاءِ

قَدْ عَرَفْتُمْ مَجْدَ الْعُرُوشِ الْعَظِيمَةِ وَطَلَيْتُمْ تَيْجَانَكُمْ بِاللُّبَانِ  
وَعَشِقْتُمْ مِنَ الْجَمَالِ نُجُومَهُ وَأَرْتَدَيْتُمْ مَطَارِفَ الْأَرْجُوانِ  
وَلَعِبْتُمْ بِالذَّهْرِ وَالتَّيْجَانِ

ذُقْتُمُ الْحُبَّ فِي مَجَالِي جَمَالِهِ بَيْنَ رَقْصِ الْأَجْسَادِ وَالْأَوْتَارِ  
وَأَعْتَصَبْتُمْ حَتَّى حَرِيمَ خِيَالِهِ مُذْ شَبِعْتُمْ مِنْ شَهْوَةِ الْأَقْدَارِ  
شَهْوَةِ الطَّيْنِ فِي خُدُورِ السَّرَارِي

وَأَفْتَحْتُمْ مُلْكَ الثَّرَى بِالصَّوَارِمِ وَسَكِرْتُمْ بِخَمْرَةِ الْإِنْتِصَارِ  
وَشَرِبْتُمْ دَمَ الْوَرَى بِالْجَمَاجِمِ وَاخْتَصَرْتُمْ صَفَائِحَ الْأَعْيَارِ  
بِسِرَاعٍ مِدَادُهُ مِنْ نَارِ

ذُقْتُمُ الرَّاحَ فِي اخْتِلَافِ كُؤُوسِهِ وَتَفَلَّيْتُمْ عَلَى يَدِ الْعَصَا  
مَا تَرَكْتُمْ لِلشَّعْبِ غَيْرَ رُؤُوسِهِ وَظَمَاءِ الْأَحْشَاءِ لِلْخَمَارِ  
وَسُقَاطِ الطَّلَى لِبَعْضِ الْجَوَارِي

وَعَرَفْتُمْ فِي الْمَجْدِ كُلَّ الْأَمَاكِينِ وَقُصَارَى لَذَاتِهِ الْحَمَرَاءِ  
وَعَرَفْتُمْ حَتَّى الْغُيُوبَ وَلَكِنْ مَا عَرَفْتُمْ فِي الْمَجْدِ نُورَ السَّمَاءِ  
مِنْحَةً الْآلِهَاتِ لِلشُّعْرَاءِ !

٢

فِي لَيْلَةٍ حَالِكَةٍ كَالْهَمُومِ هَابِطَةِ الْجَوِّ بِثِقَلِ الْغُيُومِ  
كَأَنَّهَا قَدْ حُبِلَتْ بِالرُّجُومِ  
كَانَ الْفَتَى الشَّاعِرُ فِي مِخْدَعِهِ يَبْكِي فَيَجْرِي الْقَلْبُ فِي أَذْمُعِهِ  
شِعْرًا يَبْعِيهِ الْحُزْنُ فِي مِسْمَعِهِ  
وَكَانَتِ الشَّمْعَةُ فِي حُجْرَتِهِ تَنْزَعُ كَالْمَيِّتِ فِي سَاعَتِهِ  
أَكُلُ شَيْءٍ مِثْلَهَا لَا يَدُومُ؟  
وَكَانَتِ الْوَحْدَةُ كَالْمَدْفَنِ مُوَحِّشَةً فِي ذَلِكَ الْمَسْكَنِ  
وَقَدْ سَطَا النَّوْمُ عَلَى الْأَعْيُنِ  
وَأَسْتَيْقِظَ الشَّاعِرُ مِنْ سَكْرَتِهِ وَحَوَّلَ الْعَيْنَ إِلَى شَمْعَتِهِ  
أُنَيْسَةً الْأَشْجَانِ فِي وَحْدَتِهِ  
وَبَعْدَ أَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ ثَوَانٌ كَأَنَّهَا مِنْ دَامِيَاتِ الزَّمَانِ  
قَالَ بِصَوْتٍ رَاعِشٍ مُحْزِنٍ:

«يا شَمْعِي، ماذا وراءَ التَّزاعُ مَا هَذِهِ القَطْرَةُ تَحْتَ الشُّعاعِ  
وَلَمْ أَرَى فِيهَا أَصْفِرَارَ الوداعِ؟»

في دَمْعِكَ الشَّاحِبِ نُورٌ يَذُوبُ ماذا تقولينَ بِهِ للقلوبِ؟  
لَمْ يَغْمُرِ الشُّعْلَةَ هَذَا الشُّحُوبُ؟

أَيَنْتَهِي الحُبُّ كَمَا تَنْتَهِي يَا شَمْعِي، يَا مِثْلَ العَاشِقِينَ  
لِذَاتِهِ تَأْتِي وَتَمْضِي سِرَاعٌ؟»

وَإِذْ تَلَاشَى نَفْسُ الشَّمْعَةِ مِثْلَ تَلَاشِي الرُّوحِ فِي المَيِّتِ  
قَالَ الفَتَى الشَّاعِرُ لِلظُّلْمَةِ:

«يَا مَدْفَنَ الأنوارِ ماذا وراءَ هذا الدُّجَى الحَالِكِ، هَذَا الغِطَاءُ  
ماذا وراءَ اللَّيْلِ، هَلْ مِنْ ضِيَاءِ؟»

. . . . .

. . . . .

. . . . .

لَمْ يَنْقُضِي اللَّيْلُ وَيَأْتِي السَّحَرُ؟  
مَهْزَلَةٌ مِنْ مَهْزَلَاتِ القَدَرِ!

\* \*

في ذَلِكَ اللَّيْلِ العَصِيبِ الطَّوِيلِ تَذَكَّرَ الشَّاعِرُ عَهْدًا جَمِيلَ  
لَمْ يَرِ مِنْهُ غَيْرَ شَطْرِ ضَيْلٍ

إِذْ كَانَ فِي مَيْعَتِهِ النَّاعِمَةُ يَحْلُمُ بِالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ...  
 خَابَ رَجَاءُ الْأَنْفُسِ الْحَالِمَةِ!  
 يَا خَافِقًا، اللَّهُ مَا أَوْجَعَكَ مَا أَبْخَلَ الدُّنْيَا وَمَا أَطْمَعَكَ  
 تُعْطِي وَلَا تُمْنَحُ حَتَّى الْقَلِيلِ

\* \*

فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ... وَمَا أَظْلَمَهُ ذِكْرُ الصَّبِيِّ فِي الْأَكْبِيدِ الْمُغْرَمَةِ  
 وَنُورُهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ  
 تَذَكَّرَ الشَّاعِرُ فَجَرَّ الشَّبَابَ وَذَلِكَ الْوَادِي وَتِلْكَ الْهَضَابُ  
 وَعَوْدَةَ الْقُطْعَانِ عِنْدَ الْغِيَابِ

. . . . .  
 . . . . .

وَوَالِدًا مَرَّ مُرُورَ الشَّبَحِ  
 كَأَنَّهُ يَوْمَ صَفَاءِ سَنَحِ

فَقَالَ: «يَا قَلْبِي، إِلَى الْجَلْجَلَةِ حَمَلْتَ آمَالَ الصَّبِيِّ الْمُثْقَلَةِ  
 وَلَمْ تَدْعَ مِنْهَا سِوَى الْأَخِيلَةِ

. . . . .  
 . . . . .

لَأَجَلٍ غَلَوَاءَ وَأَجَلٍ الْعَذَابِ



كَبَّتْ لِي فِي الْحُبِّ هَذَا الْكِتَابُ  
يَا شُعْلَةً مَحْجُوبَةً بِالضَّبَابِ  
يَا قَلْبَ! ...»

\* \*

إِذَا بِهِ ، فِي الْحُجْرَةِ الْمُظْلَمَةِ ، يُصْغِي إِلَى حَشْرَجَةٍ مُؤْلَمَةٍ  
بَيْنَ خُفُوقِ الْقَلْبِ وَالتَّمْتَمَةِ  
وَرَاءَ فِي قَلْبِ الدَّجَى وَالِدَةِ يَغِيْمُ فِي شَقَافَةِ صَاعِدَةٍ  
مِنْ صُلْبِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ  
كَأَنَّهَا ، وَهِيَ تَشْقُ الْقَتَامَ ، لَوْحَةً فَجَرٍ فِي إِطَارِ الظَّلَامِ  
أَوْ وَمُضَّةٍ مِنْ شُعْلَةٍ مُبْهِمَةٍ

\* \*

— قُدِّسَتْ يَا غَيْبُوبَةَ الشَّاعِرِ رُؤْيَا كَمَرِّ الْحُلُمِ الطَّاهِرِ  
أَوْ كَالْهَوَى فِي عَهْدِهِ السَّاحِرِ  
قُدِّسَتْ فِي أَحْلَامِكَ الشَّاحِيَةِ قُدِّسَتْ فِي آلامِكَ الذَّائِبَةِ  
فِي رُوحِكَ الْحَاضِرَةِ الْغَائِبَةِ  
فِي كُلِّ مَا تَحْمِلُ مِنْكَ الْعُيُونُ فِي سَوْرَةِ الْحُبِّ وَسُكْرِ الْجُنُونِ  
وَفِي اخْتِلَاجِ الْخَافِقِ الْحَاثِرِ —

فِي جَوْفِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ كَأَنَّهَا ضَمَائِرُ جَاحِدَةٍ  
تَخْطُرُ فِيهَا فِكْرَةٌ حَاقِدَةٌ

— وَلِلرَّيَّاحِ الْهُوجِ بَيْنَ الْوَرَقِ عَزْفٌ كَأَنَّ الْجِنَّ فِيهِ زَعَقٌ  
فَمَزَّقَ الْأَرْوَاحَ ثُمَّ انْطَلَقَ —

تَحَرَّكَ اللَّيْلُ وَقَالَ الْخَيَالُ: «مَنْ لَيْسَ يَكِي فِي اللَّيَالِي الطُّوَالِ  
وَلَا يُدَمِّي الْمُقَلَّةَ السَّاهِدَةَ،

مَنْ لَمْ يَذُقْ فِي الْخُبْزِ طَعْمَ الْأَلَمِ وَلَمْ يُنَكِّرْ وَجَنَّتِيهِ السَّقَمُ  
وَتَسْلُخِ الْأَوْجَاعُ مِنْهُ حِطَمٌ

مَنْ لَا يَرَى فِي الشَّمْسِ طَيْفَ الْغُرُوبِ وَيَسْمَعُ اللَّيْلَ اخْتِلَاجَ الْقُلُوبِ  
وَيَرْصُدُ الشَّمْعَةَ حَتَّى تَلُوبَ،

مَنْ لَمْ يُغْمَسْ فِي هَوَاهُ دَمَهُ مَنْ يَمْنَعُ الْأَهْوَالَ أَنْ تُطْعِمَهُ  
وَلَا يَرَى فِي كُلِّ جُرْحٍ حِكْمَ،

مَنْ لَيْسَ يَرْقَى ذُرُوءَ الْجَلْجَلَةِ وَلَمْ يُسَمِّرْ فِي الْهَوَى أُنْمَلَهُ  
وَيُرْفَعَ الْعَلَقَمُ وَالْخَلُّ لَهُ،

مَنْ يَصْرِفُ الْعُمَرَ عَلَى الْمَخْمَلِ وَلَا يَذُوقُ الْبُؤْسَ فِي الْأَوَّلِ!  
وَلَا الْأَسَى فِي مِخْدَعِ مُقْفَلِ

لَنْ يَعْرِفَ الْعُمَرُ شُعَاعَ الْإِلَهَةِ وَلَنْ يَرَى آمَالَهُ فِي رُؤَاهُ  
بَلْ عَالِمًا يَخِيطُ فِي مَهْرَلَهْ!»

\* \*

وَأَنْسَحَبَ الطَّيْفُ إِلَى ظُلْمَتِهِ يَجُرُّ بِالْأَذْيَالِ مِنْ وَمُضَتِهِ  
عَيْنَ الْفَتَى الْغَرْقَى بَغْيُوتِهِ

حتى إذا ساد السكون المخيف — وكان في الخارج صوت الحفيف  
يعلو شديداً من غصون الخريف —

أفاق من سكرته الشاعر وقال: «هل يرجى له آخر  
هذا الدجى الغارق في ثورته؟»

\* \*

قَدْ يَحْمِلُ الْفَجْرُ عِزَاءً إِلَيَّ إِنْ حَمَلَ النُّورَ إِلَى مُقَلَّتِي  
فَاللَّيْلُ قَدْ أَخْنَى عَلَى كَاهِلِي

يُخَيِّفُنِي اللَّيْلُ بِأَرْوَاحِهِ نَائِرَةً كَالْهَوْلِ فِي سَاحِهِ  
وَبِالرَّوْى مِنْ بَيْضِ أَشْبَاحِهِ

لَا أَنْشُدُ الْبُؤْسَ وَلَا أَرْغَبُ فِي حَمْلِ حُبِّ قَوْمِهِ عَذَّبُوا  
فَالْحُبُّ فِي الْآلَامِ ثِقْلٌ عَلَيَّ

يُخَيِّفُنِي فِي مِخْدَعِي الْبَارِدِ خَيَالُ حُبِّ مُبْهَمٍ جَامِدٍ  
أُبْكَمُ كَالْأَرْمَاسِ ، يَا وَالِدِي

يُخَيِّفُنِي اللَّيْلُ فَأَيْنَ السَّحَرُ يَطْرُدُ مِنْ عَيْنِي هَذِي الصُّورُ  
وَمَا عَلَيْهَا مِنْ شَقَاءِ الْبَشَرِ!

. . . . .

. . . . .

كَانَ الدَّجَى لَمَّا يَزَلُ نَائِرًا وَالرَّيْحُ تُدْمِي الْأُفُقَ الْمَاطِرَا  
بِالْبَرْقِ ، جُرْحِ الْمَلَأِ الْخَالِدِ

. . . . .

. . . . .

كَأَنَّ لَيْلَ هَوَى حَائِرَا  
ذَاقَ الْأَسَى فَلَمْ يَزَلْ سَاهِرَا

## العهد الرابع

### الغفران

١

مَضَتْ أَشْهُرٌ نُذِرَتْ لِلْمَطَرِ      وَأَظْلَمَ فِيهَا الْمَسَا وَالسَّحَرُ  
وَأَقْبَلَ نَوَارٌ — عُرْسُ الطَّبِيعَةِ —      يَضْحَكُ فِي وَرَقَاتِ الشَّجَرِ  
يُدْعِدُّ بِالطَّلِّ عُشْبَ الْحُقُولِ      وَيَطْبَعُ أَلْوَانَهُ فِي الزَّهَرِ  
وَيَبْنِي عَلَى الْهَضَبَاتِ مَتَاحِفَ      تَسْخَرُ مِنْ هَذَيَانِ الْبَشَرِ  
كَأَنَّ عِبَاقِرَةَ الْجِنِّ فِيهَا      سَكَنَ وَعَلَّقْنَ تِلْكَ الصُّورَ  
فَحَفَّ الشَّبَابُ نَدْيَ الْحَيَاةِ      يَسْتَقْبِلُ الْحُلُمَ الْمُنْتَظَرُ  
عَلَى ثَغَرِهِ بَسَمَاتُ الرَّبِيعِ      وَفِي قَلْبِهِ بَسَمَاتُ أُخَرِ

. . . . .

وَفِي يَوْمِ عِيدِ نَقِيِّ السَّمَاءِ      كَأَنَّ السَّمَاءَ صَفْحَةً مِنْ سُورِ

فَرَأَى الشَّبَابَ عَلَيْهَا أَنْشَرُ  
كَحَوَاءَ بَيْنَ شَهْيِ الشَّمْرِ  
عَرَفْنَ أَزَاهِيرَ خَيْرٍ وَشَرِّ  
عَلَيْهِ نَسِجٌ بِلَوْنِ الْخُضْرِ  
كَغُصْنٍ مِنَ الْيَاسْمِينِ انْكَسَرَ  
بَدَأَ مِنْهُ فِي مُقْلَتَيْهِ أَثَرُ  
رِدَاءِ الشِّتَاءِ وَغَطَى الْحَجَرَ  
جَمَالَ الطَّبِيعَةِ فِيهِ أَنْحَصَرَ  
وَالْبَسَتْ رُوحَكَ ثَوْبَ الْبُكَرِ  
فَمَا كَادَ يُحْجَبُ حَتَّى ظَهَرَ  
ذُنُوبَ الشِّتَاءِ الْكَفِيفِ الْبَصَرِ  
فَقِي كُلِّ غَرْسٍ فُوَادُ غَفَرٍ.  
زَمَانًا مَضَى وَخِيَالًا عَبْرًا!  
حَيَالُ؟» فَقَالَتْ: «غَرَامًا عَثَرُ.»  
«وهذا؟» فَقَالَتْ: «حَبِيبًا غَدَرُ.»

وَيَعْفُو إِلَهُكَ عَمَّا بَدَرُ  
زُهُورُ الرَّبِّى لِشِتَاءِ كَفَرِ  
يُرِنِي الْحَيَاةَ خِلَالَ الشَّرْرِ

أَطْلَ شَفِيقٌ عَلَى الْهَضَبَاتِ  
وَأَبْصَرَ غُلُوءَ بَيْنِ الزُّهُورِ  
تَسَرَّحُ فِي عَدْنِهَا نَظَرَاتِ  
وَقَدْ لَبِسَتْ ثَوْبَهَا الزَّنْبَقِيَّ  
وَالْقَتَّ عَلَى الْعُشْبِ جِسْمًا هَزِيلًا  
فَحَفَّ إِلَيْهَا وَفِيهِ عَذَابُ  
وَقَالَ: «لَقَدْ خَلَعَ الْحَقْلُ عَنْهُ  
وَأَلْقَى عَلَيْهِ الرَّبِيعُ وَشَاحًا  
فَهَلَّا خَلَعْتَ رِدَاءَ اللَّيَالِي  
وَهَلَّا تَشَبَّهْتَ بِالْيَاسَمِينِ  
لَقَدْ غَسَلْتُ بَسَامَتُ الزُّهُورِ  
وَعَادَ الْعَفَافُ إِلَى الْهَضَبَاتِ  
فَقَالَتْ: «أُحَاوِلُ أَنْ أَتَنَاسَى  
فَقَالَ: «وماذا يُمَثِّلُ هَذَا الـ  
فَقَالَ، وَقَدْ جَحَظْتُ مُقْلَتَاهُ:

— وهذا الحبيبُ؟

— غَفَرْتُ لَهُ

غَفَرْتُ كَمَا غَفَرْتُ فِي الرَّبِيعِ  
وَلَكِنْ بِي نَدَمًا كَاللَّهَبِ

\* \*

وَكَانَ النَّسِيمُ يَهْزُ الغُصُونَ  
كَأَنَّ العُطُورَ خَطَايَا عَذَارَى  
وَلَمَّا أَفْقَنَ اعْتَرَفْنَ بِهَا  
وَكَانَ الْمَسَاءُ عَلَى الهَضْبَاتِ  
وَشَمْسُ الْمَغِيبِ تُعِيرُ الظَّلَالَ  
فَقَالَ شَفِيقٌ ، وَفِي قَلْبِهِ  
«عَشِيقَتُكَ، يَا غُلُو، عِشْقًا نَمًا  
وَكُنْتُ مِنَ الدَّاءِ فِي نَشْوَةِ  
جَهْلَتِ الْهَوَى فَنَكَرْتُ الرَّيْعَ  
وَمَنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ أَنْ يَشُمَّ  
فَقَالَتْ : «صَدَقْتَ وَلَكِنِّي  
فَأَنْتَ تَرَى فِي الرَّيْعِ الْجَمَالَ  
وَتُبْصِرُ فِي الزَّهْرِ لَوْنَ الْحَيَا

٢

وَأَهْوَى عَلَى صَدْرِهَا بَاكِئًا  
وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى  
وَأَهْوَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِئَةً  
تَلَاشَتْ رُؤْيَ نَفْسِهَا الدَّامِيَةَ

فَادْنَتْ إِلَى ثَغْرِهِ ثَغْرَهَا      عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ تَقَى الرَّابِيَةِ  
عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ نَقَاءِ الزُّهُورِ      الْعَذَارَى وَمِنْ عِفَّةِ السَّاقِيَةِ

\* \*

وَإِذْ صَعِدَ الْبَدْرُ خَلْفَ الْجِبَالِ      وَذَابَ عَلَى الرَّبْوَةِ الْعَالِيَةِ  
وَهَوَّمتِ الطَّيْرُ بَيْنَ الْغُصُونِ      لِتَحْلُمَ أَحْلَامَهَا الصَّافِيَةِ  
وَلَمْ يَبْقَ يُسْمَعُ فِي الْحَقْلِ إِلَّا      تَنَهَّدُ شَبَابَةِ الرَّاعِيَةِ  
أَفَاقَ الْحَبِيبَانِ مِنْ سَكْرَةٍ      الدَّمْعِ إِلَى سَكْرَةٍ ثَانِيَةِ  
وِظَلًّا مِنَ السُّكْرِ فِي نَزَوَاتٍ      تُطَهِّرُهَا عِفَّةُ بَاقِيَةِ  
إِلَى أَنْ دَنَا مَوْعِدُ لِلْفِرَاقِ      وَأَصْفَرَّتِ الْأَنْجُمُ السَّاهِيَةِ  
كَأَنَّ النُّجُومَ الضَّئِيلَةَ فِي الْأَفْقِ      رَشَعُ خُمُورٍ عَلَى خَابِيَةِ  
كَأَنَّ النُّجُومَ زَفِيرُ خَطَايَا      تُصَعِّدُهُ لَيْلَةٌ زَانِيَةِ

٣

«أَشِيعَةٌ مِنْ مُقْلَتَيْكِ مُلْهَبَةٌ  
يَا أَلْمِي، تَجْعَلُ نَفْسِي طَرِبَةً  
أَشْرِقُ عَلَى قَلْبِي بِهِيًّا نِيرًا  
فَيُورِقَ الشَّوْكُ بِهِ وَيُزْهِرَا



يَا هَيْكَلاً كُفَّاهُ الْقُلُوبُ  
بَخُورُهُ الْأَذْمَعُ وَالشُّحُوبُ  
أَسْمَعُ أَجْرَاسَكَ مِنْ بَعِيدٍ  
فَهِيَ تُنَادِينِي إِلَى السَّجُودِ!

\*

وَدَقَّ نِصْفُ اللَّيْلِ فِي السَّكُونِ  
فَاخْتَلَجَ الشَّاعِرُ كَالظُّنُونِ  
وَقَالَ: «إِنَّ تَعَبَ الضَّمِيرِ  
يَصْعَدُ مِنْ مَجَاهِلِ الْقُبُورِ  
يَا لَيْلُ، يَا مَسَارِبَ الْفَوَاجِعِ  
يَا قَرَبَ الدِّمَاءِ وَالْمَدَامِعِ  
كَمْ مِنْ خَلِيٍّ فِيكَ يَسْتَرِيحُ  
وَكَمْ شَقِيٍّ بِأَيْسٍ يَنْوَحُ  
أَرْقُدْ قَرِيرَ الْعَيْنِ يَا خَلِيٍّ  
وَأَنْتَ فَاشُقْ أَيْهَا الشَّقِيٍّ  
فَاللَّيْلُ مَلِكُ الْمُتَرَفِّ السَّعِيدِ  
وَمِلْكُ كُلِّ نَعِيسٍ شَرِيدٍ!»

. . . . .

. . . . .  
 . . . . .  
 . . . . .  
 — غَلَوَاءُ ، يَا نِيرَاسَ قَلْبِي الْبَائِسِ  
 يَا أَمَلًا فِي ظُلُمَاتِ الْيَائِسِ  
 يَا مَرَهَمًا لِقَلْبِي الْمَوْجُوعِ  
 يَا مَلَكًا يَطُوفُ فِي دُمُوعِي  
 أُحِبُّ فِيكَ صُورَةَ عَذْرَاءَ  
 وَإِنْ تَكُنْ أَصْبَاغُهَا شَوْهَاءَ  
 يَا صُورَةَ تَجْرِي بِهَا السَّعَادَةُ  
 الْحُبُّ فِيهَا دُونَهُ الْعِبَادَةُ  
 يَا أَرْجَ الْمُرُوجِ وَالْآكَامِ  
 يَا وَتَرًا أَسْمَعُنِي أَنْغَامِي  
 مَجَّدْتُ آلاَمَكَ فِي الزَّهْوَرِ  
 فِي وَهَجِ الْأَنْوَارِ ، فِي الطُّيُورِ  
 فِي بَسَمَاتِ الصَّبْحِ ، فِي الْأَصَائِلِ  
 فِي الْقَمْحِ ، فِي تَمْوِجِ السَّنَابِلِ  
 فِي أَدْمَعِ الْآيِمِ وَالْيَتِيمِ  
 فِي صَرْخَةِ الْبَرِيِّ وَالْمَظْلُومِ

يَا زَهْرَةَ نَائِبَةٍ مُقَدَّسَةٍ  
يَا خُبْزَ قُرْبَانَةِ نَفْسِي التَّعِيسَةِ  
أَحْمَدُكَ الْيَوْمَ كَأَمْسٍ وَغَدًا  
وَكُلَّمَا غَابَ النَّهَارُ وَبَدَأَ  
وَكُلَّمَا بَلَغْتُ بِالدُّمُوعِ  
شِعْرًا شَقِيًّا قَدْ مِنْ ضُلُوعِي !

\* \*

... وَقَدْ أَحَسَّتْ فِتْرَةَ بِرُوحِهَا  
تَطَّرِحُ الْأَوْهَامَ مِنْ جُرُوحِهَا  
وَرَفَعَتْ إِلَيْهِ عَيْنًا ذَائِبَةً  
كَأَنَّهَا صُورَةُ نَفْسٍ نَائِبَةٍ  
لَكِنَّهَا عَادَتْ إِلَى جُنُونِهَا  
وَنَارَتِ النَّيْرَانُ فِي عُيُونِهَا  
وَكَانَ قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يُقْبَلَ  
جَبِينُهَا الْمُضْطَرِبَ الْمُشْتَغِلَ  
حِينَ اسْتَحَالَتْ جَمْرَةً مُلْتَهَبَةً  
تَرَاجَعَتْ عَنْهُ خُطَى مُضْطَرِبَةٍ  
وَبَعْدَ فِكْرٍ قَالَتْ: « الْحَيَاةُ

عَقَارِبُ مِنْ جَسَدِي تَقَاتُ  
دَعْنِي ، فَلَا أَبْرَحُ يَا حَبِيبِي  
أَعِشْ فِي مَاضِيٍّ ، فِي ذُنُوبِي  
فِي حَمَاقَةِ الضَّمِيرِ ، فِي أَوْجَاعِي  
فِي بُورَةِ الدَّيْدَانِ وَالْأَفَاعِي  
أَيَسْتَطِيعُ الطَّيْبُ فِي الْقَارُورَةِ  
أَنْ يَغْسِلَ الْأَوْسَاحَ فِي الْقَادُورَةِ  
دَعْنِي ، وَخَلِّ نَفْسَكَ الْعَذْرَاءَ  
عَذْرَاءَ لَا تَرْجِسُ فِي غُلُوءِ  
وَأَسْتَرْجِعِ الْقُبُلَاتِ مِنْ خَدَّيَا  
مَغْفِرَةً نَقِيلَةً عَلَيَّا !  
فَقَالَ : « إِنَّ دَمْعَةً تَطَهَّرَتْ  
تَكْفِي لِيغْسِلَ النَّفْسَ مَهْمَا قَدِرَتْ  
فَأَذْمُعُ التَّوْبَةَ وَالْغُفْرَانَ  
أَقْدَسُ ، يَا غُلُوءَا ، مِنْ الْقُرْبَانِ  
فَهِيَ خَمِيرُ الْأَلَمِ الْمَعْجُونِ  
وَفِلْذَةُ الْقُلُوبِ فِي الْعُيُونِ  
وَسُبْحَةُ النَّفُوسِ فِي الْعَذَابِ

تُجْمَعُ فِي سِلْكٍ مِنَ الْأَهْدَابِ  
وَهِيَ عَصِيرٌ مِنْ لُبَانٍ طَاهِرٍ  
تَعْقُدُهُ الْأَلَامُ فِي الْمَحَاجِرِ  
وَلَوْلَوْ فِي قَعْرِ بَحْرِ خَاطِي  
يَقْدِفُهُ الْمَوْجُ إِلَى الشَّوْطِي .»

\* \*

مَرَّتْ ثَوَانٍ كُلُّهَا أَحْلَامُ  
لَمْ يَتَخَلَّلْ سُكْرَهَا كَلَامُ  
كَانَ بِهَا الْإِنْسَانُ يُضْغِيَانِ  
إِلَى نَزَاعِ الْأَلَمِ السَّكَرَانِ  
إِذَا بِهِ يَقُولُ: «يَا غُلَوَاءُ  
هَذَا الشَّقَاءُ — تَبَارَكَ الشَّقَاءُ —  
هَذَا الشَّقَاءُ، يَا غُلَوُ، يَا حَبِيبِي  
يَا أُخْتِ، يَا عُرُوسِ، يَا رَفِيقَتِي  
هَذَا الشَّقَاءُ فِي مَطْهَرِ التَّكْفِيرِ  
آخِرُ حَدٍّ لِشَقَا الضَّمِيرِ  
غُلَوَاءُ، فِرْدَوْسُ الْحَيَاةِ هَهُنَا  
فَأَنْتِ لَمْ تَزْنِي بِلِ الْوَهْمِ زَنَى

إِحْتَفِظِي بِقُدْسِ تَذْكَارِ الشَّقَا  
فَهُوَ طَرِيقٌ لِلْعَفَافِ وَالتَّقَى  
إِنَّ الشَّقَاءَ سَلَّمَ إِلَى السَّامَا  
فَعَدْنُ مِيرَاثُ لِمَنْ تَأَلَّمَا  
وَتَمَنَّ السَّعَادَةَ الْخَلَائِبَةَ  
لَيْسَ يُوَازِي تَمَنَّ الْكَآبَةَ!

. . . . .  
. . . . .

وَشُفِيَّتْ غُلُوءٌ مِنْ أَوْهَامِهَا  
لَكِنَّهَا لَمْ تُشَفَّ مِنْ آلامِهَا!

# مِنْ صُعَيْدِ الْآلِهَةِ

الطبعة الأولى

١٩٥٩





## من صعيد الالهة

أَعَشَّقُ الصَّدُقَ ، لَا أَقُولُ سِوَى الْحَقِّ وَلَوْ جَارَ فِي الْحَيَاةِ عَلَيَّا  
فِي فُؤَادِي الْقَوِيَّ رُوحُ إِلَهٍ وَلَوْ أَنِّي وُلِدْتُ مِنْ أَبَوِيَا  
فَالسَّمَاءِ الَّتِي أَنْارَتْ شَبَابِي وَضَعْتُ مُهَجَّتِي عَلَى شَفَتَيَا

## أسطورة

إلى صديقي شفيق معلوف

كَانَ مَا كَانَ  
فِي رَبِّي لُبْنَانُ

\* \*

شَاحِبٌ كَالطَّيْفِ  
أَهْلِيْفٌ أَسْمَرُ  
ضَامِرٌ كَالسَّيْفِ  
أَوْ أَضْمَرُ

خَدَّرُ الرَّؤْيَا عَلَى عَيْنَيْهِ  
وَأَرْزَعَاشُ الْحُبِّ فِي فَمِهِ  
عَرَقُ الْوَحْيِ عَلَى صُدْغَتِهِ  
فَاضَ مِنْ دَمِهِ

قَلْبُهُ، مَا أَبْعَدَ الْآثَامُ  
عَنْ هَوَاهُ ، عَنْ لِيَالِيهِ  
وَالْهَوَىٰ إِنَّ رَاحَ يُخْفِيهِ  
حَدَّثْتُ عَنْ سِرِّهِ «الْأَحْلَامُ»  
وَأَغَانِيهِ

وَالْحَوْرُ سَهْرَانُ  
مُوهَنَ الْخَضِرِ  
وَالْقَمَرُ سَكْرَانُ  
فِي التَّهْرِ

وَالرُّبَى أَلْوَانُ  
كَانَ مَا كَانَ

\* \*

بَكَرَ الْعُصْفُورُ  
دُونَ مِيعَادِ  
وَأَسْتَفَاقَ النُّورُ  
فِي الْوَادِي

وَالصَّبَا لَمَّا تَزَلَّ سَكْرَى  
تَخِيطُ الدَّوْحَ وَتَمْرُدُهُ

وَبِرْفَقٍ تَغْطِفُ النُّهْرَا  
لَا تُجَعِّدُهُ

وَالنَّدَى يَصْحُو عَلَى الْعُنُقُودِ  
فَكَحْلُمِ الطِّفْلِ مَبْسِمُهُ  
وَشِفَاهُ الشَّمْسِ تُطْعِمُهُ  
وَتُرَوِّي كَنْزَهُ الْمَرْصُودِ  
حِينَ تَلْتِمُهُ

وَالدُّمَى الْأَجْفَانُ  
وَالشَّذَا الْعَايِرُ  
كُلُّهَا أَلْوَانُ  
لِلشَّاعِرِ

كُلُّهَا أَلْحَانُ  
كَانَ مَا كَانَ

\* \*

هَـذِهِ الْأَوَاحُ  
فِي رُبَى زَحْلَةٍ  
كَالْهَوَى وَالرَّاحِ  
وَالْقُبْلَةِ

جَنَّةُ الْأَظْلَالِ تَرْسُمُهَا  
 وَعَرُوسُ النُّورِ تُحْيِيهَا  
 عَبَقَرٌ ، حَتَّى جَهَنَّمُهَا  
 عَرَّشَتْ خَضْرَاءَ بَوَادِيهَا  
 دَرَجَتْ فِيهَا مُخِيلَتُهُ  
 شَاعِرُ الْأَحْلَامِ وَالْحُبِّ  
 وَأَزْتَوَتْ مِنْ نَهْرِهَا الْعَذْبِ  
 تَأْخُذُ الْأَصْبَاغَ أَخْيَلَتُهُ  
 مِنْ دَمِ الْقَلْبِ

حُبُّهُ السَّنَشْوَانُ  
 مِنْ جَنَى السَّحْرِ  
 غَائِمٌ سَهْرَانُ  
 لِلْفَجْرِ

ذَاهِلٌ حَيْرَانُ  
 كَانَ مَا كَانَ

\* \*

غَرَبَ الشَّخْرُورُ  
 وَالنُّوَى جُرْحُ

فَالْمَسَا مَهْجُورٌ  
وَالصُّبْحُ

قَالَتْ الْأَغْصَانُ لِلنَّهْرِ  
ذَاتَ يَوْمٍ : «أَيْنَ شَادِينَا  
مَا دَهَى حُلُقُومَهُ السَّحْرِي  
لَا يُغْنِينَا؟»

وَالسَّوَاقِي قُلْنَ لِلزَّهْرِ:  
«أَيْنَ مَنْ كَانَ يُنَاجِينَا  
يَمْلَأُ الْوَادِي تَلَاحِينَا  
مَا دَهَاهُ؟ فِيمَ لَا يَجْرِي  
ظِلُّهُ فِينَا؟»

وَالهَوَى الظَّمَّانُ  
قَالَ لِلْبَّانِ:  
«لَا أَرَى مَنْ كَانَ  
يُرْعَانِي!»

فَأَجَابَ الْبَّانُ:  
«كَانَ مَا كَانَ»

\* \*

عِشْتَ يَا أَغْصَانُ  
عِشْتَ يَا نَهْرُ  
الْهَوَى رِيَّانُ  
وَالشَّعْرُ

فَالِدُمَى فِي الْكَرْمِ نَاهِدَةٌ  
وَعَلَيْهَا الطَّلُّ فِي حَرَمِ  
كَرِضَاعِ الْحُبِّ جَامِدَةٌ  
نُقْطُ مِنْهُ عَلَى الْحَلَمِ  
وَرَشَاشُ الْعِطْرِ وَالْأَنْغَامِ  
وَحَرِيرُ الْجَدُولِ الْكَوْثَرِ  
وَالْحَلِيبُ الْخَمْرُ وَالْعَنْبَرُ  
حُمِلَتْ مِنْ شَاطِئِ «الْأَحْلَامِ»

لِذَرَى «عَبَقَرِ»  
فَالْمَسَا الْمَلَانُ  
مِنْ دَمِ الْكَرْمِ  
لَمْ يَزَلْ يَهْمِي  
مِثْلَمَا كَانَ

\* \*

بِبَنَانِ النُّورِ  
لَمْ يَزَلْ هَارُوتُ  
يَفْرِشُ الْيَاقُوتُ  
فِي الْمَدَى الْمَسْحُورِ

وَعَلَى هَوْدَجِهِ الْهَادِي  
يَنْفُتُ اللَّيْلُ مَصَابِيحَهُ  
وَسَرِيرُ الْحُبِّ فِي الْوَادِي  
لَمْ يَزَلْ لِلطَّيْرِ أَرْجُوحَهُ  
كُلُّ مَا مَرَّ بِنَا يَبْقَى  
ثَابِتَ اللَّوْنِ كَمَا كَانَا  
إِنَّمَا الْأَرْوَاحُ أَحْيَانَا  
حَسْبَمَا تَسْفُلُ أَوْ تَرْقَى  
تُكْسِبُ الْأَشْيَاءُ الْوَانَا

وَالْهَوَى إِيْمَانُ  
لَمْ يَزَلْ نَاضِرُ  
فِي دَمِ الشَّاعِرِ  
مِثْلَمَا كَانَ

\* \*

فِي رَبِّي الْأَسْرَارُ



حَيْثُ لَا شَهْوَهَ  
قَالَتْ الْأَزْهَارُ  
لِلرَّبْوَةِ:

«أَنْظُرِي عَيْنَيْهِ، يَا أُمِّي  
فَالْهَوَى بَاقٍ بِعَيْنَيْهِ  
جَفْنُهُ، كَمْ ذَابَ فِي حُلْمِي  
كُلُّ جَفْنِيهِ

مَا أُحْيَلَى هَذِهِ الْخَلْوَةُ!  
... هَلْ سَمِعْتَ الْحُبَّ، يَا أُخْتِ؟  
عَادَ مُشْتَقًا كَمَا عُدْتُ.»  
فَاجَابَتْ أُمُّهَا الرَّبْوَةُ:

«عَادَ يَا بِنْتِ  
قَلْبُهُ الْوَلَهَانُ  
هَكَذَا كَانَا  
عَادَ وَلَهَانَا  
مِثْلَمَا كَانَ!»

## اليتيم

حَرَمُ الْجَمَالِ عَلَى سَرِيرِكَ يَحُلُمُ وَعَلَيْكَ مِنْ سُورِ الْهَوَى مُتَرَدِّمُ  
وَالشَّمْسُ تَبْرُ فِي أَدِيمِكَ كُلَّمَا شَبَّ النَّهَارُ نَمًا وَأَيْنَعَ مَوْسِمُ

\* \*

لُبْنَانُ يَا رِيفَ السَّمَاءِ وَثَغَرَهَا فِي كُلِّ شَبْرٍ مِنْ تُرَابِكَ مُلْهَمُ  
مَا أَنْتَ بِالْبَلَدِ الْيَتِيمِ وَإِنَّمَا فِي كُلِّ عَيْنٍ لَا تَرَاكَ تَيْتُمُ  
لَكَ فِي الْفُضُولِ عَلَى الطَّبِيعَةِ ذِمَّةٌ وَعَلَى الْجَمَالِ مُؤَخَّرٌ وَمُقَدَّمُ  
فَمَنْ الشِّتَاءُ أَبٌ يَدْبُ بِصُلْبِهِ جَيْشٌ مِنَ الْخَضِرِ الْجَنِيِّ عَرَمَرُمُ  
وَمِنْ الرَّبِيعِ أَجَنَّةٌ لَمْ يَخْتَمِرُ فِي مِثْلِهَا نُورٌ وَلَمْ يَطْهَرْ دَمُ  
وَلَكَ الشَّبَابُ كَرِيمَةٌ أَغْصَانُهُ فِي الصَّيْفِ تَرْتَرِقُ الْجَنَانَ وَتُوَلِّمُ  
وَإِذَا الْخَرِيفُ تَكَمَّشَتْ أَعْرَافُهُ أَجْرَى الْفُتُوَّةِ فِيكَ حَتَّى الْمَاتَمُ  
لَكَ مِنْ شَبَابِكَ أُسْرَةٌ مَيِّمُونَةٌ فَا بٌ يَفِيضُ نَدَى وَأُمٌّ تَرَامُ  
مَا الْيَتِيمُ أَنْ تُشْقِكَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ الْيَتِيمُ أَنْ تُزْرِكَ عَيْنٌ أَوْ فَمٌ

إِنَّ الْيَتِيمَ مِنْ أَمْحَىٰ وَجْدَانِهِ  
هُوَ حَاكِمٌ يَشْقَى الْيَتِيمَ بِعَهْدِهِ  
الْخَزْزُ يُنْكِرُ إِنْ أَتَىٰ بِنَصِيحَةٍ  
«يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً  
هُوَ مَنْ يَسُوقُ الظَّلْمَ لَا مَنْ يُظْلَمُ  
جَوْرًا، وَمِنْ خُبْرِ الْيَتَامَىٰ يُطْعَمُ  
وَالْعَنْكَبُوتُ إِذَا تَغَلَّبَ يُكْرَمُ  
وَيَرَوْغُ مِنْكَ كَمَا يَرَوْغُ» الْأَرْقَمُ

\* \*

كُلُّ أَمْرٍ شَطْرَانِ فِي سُلْطَانِهِ  
فِي كُلِّ مَادْبَةٍ يَسِيلُ لُعَابُهُ  
عَسَلُ الزَّبِيبِ يَسِيلُ مِنْ أَحْدَاقِهِ  
يَخْشَى لِضَعْفِ يَقِينِهِ هَمْسَ الصَّدَى  
وَلَهُ مِنَ الْأَبْوَابِ أَنْظَارٌ تَرَى  
يَا حَاكِمًا فِي أَيِّ يَوْمٍ تَسْتَحِي  
رَأْسٌ لَهُ يُحْنِي وَقَلْبٌ يُشْتَمُ  
كَالْهَرِّ يُؤْمِنُ شَرُّهُ إِذَا يُلْقَمُ  
وَعَلَىٰ سَرِيرَتِهِ يَجِفُّ الْحِضْرُ  
وَيَرَى الشَّفَاهَ كَأَنَّهَا تَتَهَكَّمُ  
وَمِنَ السَّقُوفِ مَسَامِعٌ تَتَفَهَّمُ  
أَوَلَسْتَ تَدْرِي كَيْفَ أَنْتَ وَتَعْلَمُ

\* \*

هُوَ مُرْشِدٌ خُبْرُ السَّمَاءِ طَعَامُهُ  
سُورُ التَّقَى تُتْلَىٰ عَلَىٰ فَمِهِ وَفِي  
الدِّينِ حَانُوتٌ يَبِيعُ بِهِ الرَّجَا  
وَلَهُ كَلَامٌ فِي السِّيَاسَةِ فَاصِلٌ  
أَبَا الْيَتَامَىٰ، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ،  
لَكَ فِي الْجَحِيمِ مَتَى تَهْمٌ إِلَى السَّمَاءِ  
يُصْغِي إِلَى أَسْرَارِهَا فَيُتَرْجَمُ  
وَجْدَانِهِ الْهَارِي تَفْعُ جَهَنَّمَ  
وَاللَّهُ نَهَبٌ فِي حِجَاهِ مُقْسَمُ  
خَطَأُ الشَّرَائِعِ أَنْ يُعَابَ فُتْرَجَمُ  
مَاذَا يُعَلِّمُكَ الْيَتِيمُ الْأَعْظَمُ  
فِي كُلِّ إِسْطَبْلٍ يُحْمَجِمُ مَرْجَمُ

هُوَ عَاشِقٌ لَمْ يَدْرِ مَا شِيمُ الْهَوَى  
رُوحٌ مُهْرَاةٌ وَلَحْمٌ جَائِعٌ  
مَا بَيْنَ غَدْرَتِهِ وَبَيْنَ يَمِينِهِ  
فَحْدَارٍ مِنْ جُرْحِ الْهَوَى فَجِرَاحُهُ  
فَلِذَا أَحَسَّ فَعِرْقُهُ الْمُتَأَنِّمُ  
وَقَمٌ يَنْبِمْ وَمُقَلَّةٌ تَتَضَرَّمُ  
إِلَّا تَسْلُفُ حَاجَةٍ تَتَكْتَمُ  
يَبْقَى الْأَذَى فِيهَا وَيَفْنَى الْمَرْهَمُ

\* \*

تَاللَّهِ عَصْرُكَ يَا جَمِيلُ، فَعَصَرْنَا  
الْفَاجِرُ الزَّنْدِيقُ فَحُلُّ رَاشِدُ  
يَا بُشْنُ كَمْ يَحُلُو زَمَانُكَ حِينَمَا  
مَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا  
فِيهِ رُقِيٌّ لِلْهَوَى وَتَقَدَّمُ  
وَالْعَاشِقُ الْعُذْرِيُّ أَبْلَهُ مُسْتَقَمُ  
تَصِفُوا لَنَا لَيْلَى وَتَغْدُرُ مَرِيَمُ  
إِلَّا يَقُولُوا إِنَّهُ بَكَ مُغْرَمُ

\* \*

هُوَ تَاجِرٌ أَذْنَى وَأَبْخَسُ سِلْعَةٍ  
حَجَرٌ تَحَجَّجَتِ الْعُيُونُ بِعَيْنِهِ  
حَتَّى دُمُوعُ الْبَائِسِينَ شَهِيَّةٌ  
يَا تَاجِرًا تَعْلُو بِهِ أَسْعَارُهُ  
سَتْدُوبُ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ تَرْكَةٌ  
هُوَ شَاعِرٌ إِنْ لَمْ يَذُقْ أَلَمُ الْهَوَى  
مَا الشُّعْرُ إِلَّا حِلْيَةٌ بَرَّاقَةٌ  
صُورُ الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ أَلْوَانُهَا  
هُوَ شَاعِرٌ تَلِدُ الشَّمْسُ صَرِيحَةً  
إِنْ الْيَتَامَى مَنْ يَمْجُهِمُ الْوَرَى  
وَجَدَانُهُ ، يُعْطِيهِ لَا يَتَلَعَّمُ  
فَالنَّاسُ نَقْدُ وَالْمَصَائِبُ أَسْهُمُ  
فِي قَلْبِهِ إِنْ كَانَ فِيهَا مَغْنَمُ  
مِقْدَارُ مَا يَدْنَى الضَّمِيرُ الْمُجْرِمُ  
بِيَدِ الْمُبْدِرِ أَوْ كَأَنَّكَ دِرْهَمُ  
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَحْرَفُ تَتَأَلَّمُ  
خَرَفُ يَغْرُكَ أَوْ زُجَاجُ يُوْهِمُ  
وَأَحْبُهَا مَا قَدْ حَوَاهُ الْمُعْجَمُ  
مِنْ حَوْلِهِ أَسَرَ الْجَمَالَ وَيُيْهِمُ  
لَيْسَ الْيَتَامَى مَنْ يَضُمُّ الْمَيْتَمُ

## شوقي وحافظ

لا لِقَوْمٍ وَلَا لِدِينٍ      أَنْتَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ  
أَهْلُكَ الْوَحْيُ وَالْهُدَى      دِينُكَ الْحَقُّ وَالْيَقِينُ  
سِرَّتَ فِي الْأَرْضِ رَافِعاً      مَشَعَلَ الْخُلْدِ فِي الْجَبِينِ  
فَكَأَنِّي بِكَ السَّمَاءَ      أُودِعْتُ فِي لَظَى وَطِينِ  
أَنْتَ لِلْجِيلِ، إِنَّمَا      لِلذَّرَارِيِّ بَعْدَ حِينِ  
لِلطُّغَاةِ الْمُهْذَمِينَ      لِلْبُنَاةِ الْمُشَيِّدِينَ  
لِلْمُلُوكِ الْمُخْلَعِينَ      لِلْعَبِيدِ الْمُتَوَجِّعِينَ  
لِلصَّعَالِكِ ، لِلَّذِينَ      خَدَرُوا الْأَسَدَ فِي الْعَرِينِ  
لِلزَّانَةِ الْمُسَيِّطِرِينَ      لِلْأَبَاةِ الْمُسْتَعْبِدِينَ  
أَنْتَ لِلشُّوكِ ، لِلرُّودِ      لِلنَّبِيِّينَ فِي الْقُبُودِ  
لِلْبُذِيِّينَ ، لِلْيَهُودِ      لِلنَّصَارَى لِلْمُسْلِمِينَ  
لا لِقَوْمٍ وَلَا لِدِينٍ      أَنْتَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ

\* \*

مُضَحَفٌ قَصَّتِ السُّورُ  
كُلَّمَا أَسْمَعَ الْعُلَى  
حَرَمُ الْوَحْيِ لَوْنُ الْـ  
فَعَلَى كُلِّ صُورَةٍ  
صُورٌ غِمْزٌ بِالرَّوْىِ  
فَكَأَنِّي بِهِنَّ أُحْدِرُ  
يَا فَخُورًا بِزُفْرَةِ الشَّعْرِ  
هَازِي الْقَلْبِ بِالطَّرْرِ  
نَسَكَ الْفَنُّ حِينَ قَبْدِ  
أَيَّهَا الْحَارِسُ الْأَمِينُ  
يَا أَمِيرَ الْمُشَرَّدِينَ

فِيهِ أَسْطُورَةُ الْبَشَرِ  
آيَةً شَرَفَ الْمَدَرِ  
حُبٌّ فِي عَدْنِهِ الصَّوَرُ  
مُرْضِعُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرُ  
وَتَجَلَّلِينَ بِالْفِكْرِ  
نَ مِنْ عَبَقَرٍ أَثَرُ  
وَالْحُبُّ فِي الْوَتْرِ  
ضَارِبًا بِالْدُمَى الْآخِرُ  
تَهُ فَيْكَ وَأَنْحَصَرَ  
هَيْكَلُ الْمَنْطِقِ الْمُبِينُ  
إِخْوَةَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

\* \*

مَا الصَّبَى فِي تَرْنَمِهِ  
وَصَبَاحُ الرَّبِيعِ يَفْتَحُ  
وَالْمَسَاءُ الْوَلَهَانُ يُضْغِي  
وَالْأَقْصَا الْبَرِيءُ يَنْدُ  
مِثْلَ سِحْرِ تَذِيبِهِ  
مَا الْهَوَى فِي تَأْلِيمِهِ  
وَالسَّامَى فِي أَنْتِقَامِهَا

فِي هَوَاهُ وَفِي دَمِيمِهِ  
رُ عَنْ عَاجِ مَبْسِمِهِ  
لِهَمَسَاتِ أَنْجُمِهِ  
غُفْتُ أَحْلَامِ بُرْعُمِهِ  
رُوحُ شَوْقِي بِمِرْقَمِهِ  
وَالدَّجَى فِي تَجَهُّمِهِ  
وَاللَّظَى فِي تَضَرُّمِهِ

نَزْوَةٍ مِنْ تَظْلُمَةٍ  
ثَائِرًا فِي تَهَكُّمِهِ  
غَضَبَةً مِنْ جَهَنَّمِ  
وَعَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَضْبِ  
نَائِحَاتٍ بِمَاتِمِهِ

وَصُرَاخُ الْبَرِيِّ فِي  
وَالْمَعَرِّي عَلَى الْوَرَى  
مِثْلَ شَوْقِي تُثِيرُهُ  
مَا عَلَى النُّورِ وَاللَّهَبِ  
إِنْ أَتَتْ شَاعِرَ الْعَرَبِ

\* \*

نَاشِرَ النُّورِ فِيهِمَا  
وَسَمَا الْحُبِّ أَنْجُمًا  
كُنْتُ فِي النَّاسِ مُعَدَّمًا  
فِي فُؤَادٍ تَأَلَّمَا  
وَشُعُورٍ تَظَلَّمَا  
وَكَعْبَاسٍ مُتَحَمَّمَا  
تَ دُمُوعًا وَلَا دَمًا  
كَانَ أَشْقَى... وَأَعْظَمًا  
سَ وَتَسْتَلْهُمُ الدَّمَى  
حِينَ يُغْنِي مُيْتَمًا  
عَرْشُهُ الشَّعْرُ وَالْخَشَبُ  
أَيَّ مَلَكَينِ كُنْتُمَا

بُلْبُلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ  
مَالِيَّ الْأَرْضِ حِكْمَةً  
يَا أَخَا الْمُعْدَمِينَ مَا  
إِنَّمَا الْبُؤْسُ ذُقْتَهُ  
فِي نُفُوسٍ تَظَلَّمَتْ  
عِشْتَ كَالنُّورِ مُلْهِمًا  
ثَمَنَ الْغَارِ مَا دَفَعْتُ  
إِيَّهِ شَوْقِي فَحَافِظُ  
كَانَ يَسْتَلْهُمُ الْبُؤُوسُ  
كُنْتُ تُغْنِي مُتِيَمًا  
عَرْشُكَ الشَّعْرُ وَالذَّهَبُ  
أَوِ! فِي دَوْلَةِ الْأَدَبِ

\* \*

عِشْتَ فِي النَّفْيِ مِثْلَمَا  
بَيْنَ أَسْمَى مِنَ الْجَلَا  
عِشْتَ فِيهِ كَبُلْبُلٍ  
حَامِلاً مِنْ جَنَاحِهِ  
لَسْتُ أَنْسَاكَ طَائِفاً  
فِي قُصُورِ الْحَمْرَاءِ تَسْتَدُ  
تَسْأَلُ الْفَنَّ، رَافِعَ الرَّأ  
فَأَرَى مِنْ أُمِّيَّةٍ  
ثَمَنَ الْغَارِ مَا دَفَعُ  
إِلَيْهِ شَوْقِي فَحَافِظُ  
كَانَ يُغْنِي مُيْتَمًا  
أَيَّ مَلَكَينِ كُنْتُمَا

عَاشَ فِي الْخَمْرِ الْحَبُّ  
لِ وَأَشْهَى مِنَ الطَّرْبِ  
مَرَّ فِي الْعِيدِ وَأَحْتَجَبُ  
رَعِشَةَ الْحِطِّ فِي الزَّعْبِ  
فِي الْيَوَاقِيتِ وَالذَّهَبِ  
مَطَقُ الْمَجْدِ فِي الْخِرْبِ  
سِرٌّ، عَنْ أُسْرَةِ الْعَرَبِ  
فِيكَ ظِلًّا مِنَ النَّسَبِ  
تَ دُمُوعاً وَلَا تَعَبُ  
كَانَ فِي بُؤْسِهِ أَحَبُّ  
حِينَ تُغْنِي مُتَيِّمًا  
أَمْسَ فِي دَوْلَةِ الْأَدَبِ!



## الْحُرُّ

لَيْتَكَ يَا قَلْبَ، مَاضٍ فِيكَ نَادَانِي  
أَيَّامَ كَانَ الْهَوَى الْغَرِيدُ يَضْحَكُ بِي،  
وَكَانَ لِلنَّاسِ آمَالُ مُحَبَّرَةٌ  
فَقَدْ دَهَى الْحُكْمَ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ  
كَانَتْ لَهُ الْقُرْعَةُ الْحَمَقَاءُ فِي بَلَدٍ  
فَكَانَ كَالْجَهْلِ لِلْعُرْفَانِ عَجْرَقَةٌ،  
عَذِيرُهُ وَمُضَّةٌ فِي لَيْلٍ مُدْلَجٍ،  
كَسَائِحٍ ضَلَّ فِي صَحْرَاءٍ مُحْرِقَةٍ  
يَمْشِي، وَلِلنَّارِ فِي أَجْفَانِهِ زَبَدٌ  
وَلِلْسَرَابِ خِيَانَاتٌ عَلَى فَمِهِ  
حَتَّى أَصَابَ سَرَاةَ الْعَصْرِ نَاحِيَةً  
فَمَا تَخَيَّرَ، بَلْ أَهْوَى عَلَى ظَمَلٍ،

خَبَّاتُ فِي عِطْرِهِ حُبِّي وَلِيْمَانِي  
وَبِرْتَمِي مَرَحُ الدُّنْيَا بِالْحَانِي  
تَفَكَّكَتْ عَنْ كَلَالِيبِ وَارْسَانِ  
هَانَ الْقَوِيُّ لَهُ، وَأَسْتَأْسَدَ الْوَانِي  
بَلَا التَّقِيضِينَ مِنْ جَهْلٍ وَعُرْفَانِ  
وَكَانَ لِلْجَهْلِ كَالْعُرْفَانِ عُرْفَانِ  
بَاقٍ لَهُ أَمَلٌ، فِي قَلْبِ حَيْرَانِ  
كَأَنَّهَا قَلَقٌ فِي حُلْمٍ ظَمَانِ!  
عَلَى لَطَى الرَّمْلِ، مِنْ وَادٍ لِيُودِيَانِ  
كَأَنَّهَا هُزْءُ شَيْطَانٍ بِإِنْسَانِ  
يَمُجُّ فِيهَا سَحَابَ الظِّلِّ كَهْفَانِ  
فَصَادَفَتْ شَفَتَاهُ حَلَقَ ثُعْبَانِ

\* \*

فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْعَاقِي لَبِسْتُ فَتًى  
 مِنْ سَالِفِ الْكَرَمِ الْمَسْلُوحِ عَنْ يَدِنَا  
 أَحْلَامُ لُبْنَانَ أَجْسَادُ عَلَى فَمِهِ  
 تُصْغِي إِلَى السَّحْرِ يُحْيِيهِ بِهِ ، فَتَرَى  
 وَلَيْسَ كَالْفَالِ فِي الْآدَابِ دَاعِيَةً  
 وَكَالْخَيَالِ لِسَانُ يُسْتَفْزُّ بِهِ  
 وَكَانَ أَنَّ الْبَيَانَ الْحَرَّ فِي دَمِهِ  
 فَقَالَ : نَهْجُكَ فِي مَا تَدْعِي خَطَرٌ  
 أَمَا سَمِعْتَ صُدُورَ الشَّعْبِ تَهْتَفُ لِي ؟  
 فَأَعْمَدَ الْحَرُّ فِي عَيْنَيْهِ فُوْهَةً  
 وَقَالَ : مِلْكُكَ لَيْسَ الشَّعْبُ ، يَا مَلِكِي  
 كُنْ مَنْ تَشَاءُ ، كُنِ الدُّنْيَا بِكَامِلِهَا

\* \*

جَمَالَ قَلْبِي عُرْيَانُ عَلَى شَفَتِي  
 وَكَيْفَ أَكْذِبُ ، وَالْدُّنْيَا تُصَارِحُنِي  
 أَنْظُرْ إِلَى النَّهْرِ فِي صَفْوٍ وَفِي كَدَرٍ  
 لِلنُّورِ فِي كُلِّ مَجْرَى مِنْهُ مِصْقَلَةٌ ،  
 وَأَنْظُرْ إِلَى حَرْمُونِ الشَّيْخِ كَيْفَ بَدَأَ  
 فَذَلِكَ الْجَبَلُ الْجَبَّارُ أَطْعَمَنِي  
 وَنُورُ نَفْسِي مَعْقُودٌ بِأَجْفَانِي  
 حَتَّى قُشُورِي ، حَتَّى جِسْمِي الْفَانِي  
 فَهَلْ تُخْفَى عَلَى الصَّفْصَافِ وَالْبَانَ ؟  
 وَكُلُّ مُنْعَطَفٍ لِلْحُبِّ ثُدْيَانِ  
 فَهَلْ لِهَيْبَتِهِ الشَّمَاءُ وَجْهَانِ ؟  
 قُوتَ التَّسْوِيرِ ، وَهَذَا النَّهْرُ رَوَّانِي

\* \*

لِلظُّلْمِ يَوْمٌ وَلِلْمَظْلُومِ يَوْمَانِ  
 شَتِيمَةٌ رَحِمَتْ فِي قَلْبِ سَكْرَانِ  
 إِنَّ السِّيَادَةَ مَا أَحْتَاجَتْ لَتِيْجَانِ  
 وَمَنْ تَكُنْ لَسْتُ فِيهَا غَيْرَ سُلْطَانِ ...  
 وَحِينَ أَعْصِي ضَلَالاً فِيكَ تَنْهَانِي !  
 لَكَ الْوِدَاعَةُ وَالطَّغْيَانُ ثَوْبَانِ  
 إِلَّا لِتَفْرِيقِ أَحْسَابِ وَإِخْوَانِ  
 رُوحِي بِهَا لَمْ أَبْغِ سَهْلِي وَأُظْعَانِي  
 لَا بُؤْسُهُ ، فَبِكَ الْهَدَامُ لَا الْبَانِي  
 وَقَدْ زَنَيْتَ فَلَمْ يَهْنَأْ حَسِيَّانِ !  
 وَلِي عَلَيْكَ وَلَوْ حُجِبَتْ عَيْنَانِ !  
 خَدَائِعُ نَتَتْ فِي بَعْضِ عِيدَانِ  
 صَدَى تَرْحُفِ أَشْبَاحٍ وَأَكْفَانِ !

خَفَّفْ عُنُوكَ وَأَغْسِلْ قَلْبَكَ الْجَانِي  
 عَرْشُ الْعَتِيٍّ عَلَى بُرْكَانٍ مُنْكَرِهِ  
 مَا كَانَ سُلْطَانُ هَذَا الشَّعْبِ سَيِّدُهُ ،  
 هَذِي الرِّعْيَةُ ، مَهْمَا تَطْعَ ، نَافِرَةٌ  
 تَعْصِي ضَمِيرَكَ وَالدُّنْيَا تُنَاطُ بِهِ  
 فَأَخْلَعْ وَبَدِّلْ ، لَكَ الْحِرْبَاءُ قَاعِدَةٌ ،  
 مَنْ أَنْتَ ؟ أَنْتَ يَدُ سُودَاءٍ مَا أَرْتَفَعَتْ  
 مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ مِنَ الْفَحْشَاءِ ! لَوْ شَعَرَتْ  
 مَنْ جَاءَ نَابِكَ ؟ حُمُقُ الشَّعْبِ ، يَامَلِكِي  
 لَقَدْ بَطَرْتَ فَلَمْ تُسْتَرْ مُخْدَرَةٌ ،  
 لَكَ الْحُسَامُ عَلَى رَأْسِي تُسَرِّحُهُ ،  
 لَمْ يَبْقَ غَيْرُ ثِمَارٍ مِنْكَ فَانِيَّةٌ ،  
 أَمَا سَمِعْتَ هُبُوبَ الرِّيحِ ؟ إِنَّ لَهُ

\* \*

عَلَيْهِ أَشْبَاحُ غِيلَانٍ وَحِيتَانِ  
 الْحَمْرَاءُ مِنْ شَهْوَةٍ لِلْأَحْمَرِ الْقَانِي  
 فَلَإِي لِسَانٍ عَلَيْهِ الْمَوْتُ حَدَانِ  
 أَقْضِي غَدًا أَوْ أَمُوتُ الْيَوْمَ سَيَّانِ  
 دَعْنِي أَكْمَلُ دِفَاعِي أَيُّهَا الْجَانِي !

فَدَمْدَمَ الْحَاكِمُ الْعُضْبَانَ ، وَأَرْتَسَمَتْ  
 وَأَصْدَرَتْ نَفْسُهُ مَا فِي قَذَارَتِهَا  
 وَصَاحَ : إِنَّ يَكُ ذَا حَدٍّ لِسَانُكَ بِي  
 فَحَمَلْتُ الْحُرَّ فِي الْعَانِي ، وَقَالَ لَهُ :  
 فَكُلْ مَا أَبْتَغِي أَنْ لَا تُقَاطِعَنِي !

## فيلكس فارس

تُذَكِّرُنِي ، وَحَقَّكَ مَا نَسِيتُ وَهَلْ أَنْسَى شُجُونَكَ مَا حَيَّتُ  
أَحْسُكَ فِي الْحَرَارَةِ مِنْ حَنِينِي كَأَنَّكَ فِي غَلِيلِ دَمِي تَبَيْتُ  
وَأَسْمَعُ مِنْكَ مَا أَسْمَعْتَ قَلْبِي وَقَدْ غَدَرَ الْحَيِّبُ الْمُسْتَمِيتُ  
يُغْرِقُ مِنْ عِيُونِكَ فِي عِيُونِي هَوَى سَاهٍ وَوَجْدَانُ شَتِيتُ  
تَقُولُ: «أَرَى عَلَى وَقْفِكَ خَمْرًا إِذَا وَصِفَتْ تَنَكَّرَتْ النَّعُوتُ  
أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ دَمِهَا فَلَانِي بَذَلْتُ لَهَا الْحَيَاةَ وَمَا رَوَيْتُ  
هَوَاكَ هَوَايَ، قَلْبَكَ مِثْلُ قَلْبِي كَمَا تَهْوَى عَلَى مَضَضِ هَوَيْتُ  
سَلَكْنَا مُعْضِلَ الدُّنْيَا» — وَلَكِنْ تُرَابُ الْقَبْرِ أَسْلَمُ مِنْ فِرَاشِ  
رَأَيْتِكَ تَمَلُّ الدُّنْيَا ضِيَاءً وَفِي عَيْنَيْكَ تَحْتَرِقُ الزُّيُوتُ  
وَتَفْنَى فِي الْمَحَبَّةِ وَهِيَ بِكْرٌ وَيَسْمَنُ حَوْلَكَ الْبُغْضُ الْمَقِيتُ

وَقَلْبُ الْحُرِّ آفَتُهُ هَوَاهُ      وَآفَةُ وَحْيِهِ الْأَدَبُ النَّحِيتُ  
فَفِيهِ يُحَقِّقُ الْخَزْرُ الْمُوشَى      وَيُكْرِمُ فِي سِوَاهُ الْعَنْكَبُوتُ

\* \*

تَكَلَّمْ يَا فليَكْسُ فَتَحْنُ صَرَغِي      وَفِي أَعْمَاقِنَا حُلْمٌ يَمُوتُ  
وَعَلِمٌ كَيْفَ تُكْتَسَبُ الْمَرَاقِي      وَكَيْفَ تُشَادُّ لِلْأُمَمِ الْيُوتُ  
وَكَيْفَ صَوَاعِقُ الْأَفْكَارِ تَهْوِي      وَكَيْفَ يُجَلِّجُلُ الشَّعْبُ الصَّمُوتُ  
أَفْتَشُ فِي سُكُوتِكَ عَنْ يَبَانِي      فَيُخْرِسُهُ بِرَوْعَتِهِ السَّكُوتُ  
وَأَبْحَثُ عَنْ شُعَاعِكَ فِي سِرَاجِي      وَلِي مِنْ زَيْنِكَ الْعُلُويُّ قُوتُ

\* \*

سَمِعْتُ الْمُنِيرَ الْمَحْزُونِ يَشْكُو      فَتَتَضَعُ الْأَرَائِكُ وَالتَّحُوتُ  
يَقُولُ: «رُزِقْتُهُ أَشْهَى طَعَامِي      وَلَمَّا أَشَدَّ سَاعِدُهُ قَوِيْتُ  
أَبْرُ الْوُلْدِ بِالْآبَاءِ خُلُقًا      وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيَّ إِذَا زُهَيْتُ  
عَلَى عُرْيِي نَمًا أَمَلًا وَلَمَّا      أَظَلَّتْنِي ذِرَاعَاهُ كُسَيْتُ  
وَكَانَ وَكُنْتُ صَمْصَامًا وَغَمْدًا      تُجَلِّلُنِي الْبُرُوقُ إِذَا عَرِيْتُ  
يَلْفُ وَتَيْنُهُ خَشْبِي فَيَحْيَا      وَيَنْبُضُ لِي بِهِ شَرَفٌ وَصِيْتُ  
وَكُنْتُ أَوْدُ لَوْ ذُوبْتُ نَوْطًا      لَهُ وَإِلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيْتُ  
وَنَوْطُ الْبَعْضِ تُحْرِمُهُ الْأَعَالِي      وَيُمْنَحُهُ الزَّبَانِيَةُ التَّحُوتُ  
سَمِعْتُ عَرُوسَ شِعْرِكَ فِي خَيَالِي      تَقُولُ: «عَشِيقَتُهُ حَتَّى أَشْتَهَيْتُ  
فَقِي عَيْنِهِ ذُوبُ السَّحْرِ يُرْغِي      وَفِي أَهْدَابِهِ الْمِسْكُ الْفَتِيْتُ

بَذَلْتُ لَهُ الْخَطَايَا مِنْ عُرُوقِي وَحِينَ لَمَسْتُ مِرْشَقَهُ نَقِيتُ  
وَأَطْلَقْتُ الرَّوِيَّ لَهُ جَوَارِي، قِيَانُ فِي مَزَاهِرِهَا رَبِيتُ

\* \*

سَمِعْتُ بِلَادَكَ الشُّكْلَى تُنَادِي: «لِيَ الْغَطْرِيفُ وَالرَّجُلُ الثَّيِّتُ  
لِيَ الْأَنْوَارُ فِي عَنَتِ اللَّيَالِي إِذَا مَا رَاغَتِ الدُّنْيَا الْعَنُوتُ  
لِيَ الْفُصْحَى عَلَى أَدَبٍ بَلِغٍ وَمِنْ أَلْبَانِ ثَدْيَيْهَا سُقِيتُ  
وَلَيْسَ لِيَ الضُّوَارِي فِي خُدُورِي تَسَرَّتْنِي وَكَالَسَّلَعِ أَقْتَنِيتُ  
يُقَعِّقِعُ فِي مَشَافِرِهَا سَمِيجُ وَأَدْرَدُ أَشْنَعُ الدَّعْوَى هَرِيتُ  
عَذِيرِي مِنْ مَمَالِيكَ مَوَالٍ لَهُمْ خُطَطٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سُمُوتُ»

\* \*

سَمِعْتُ الْقَبَرَ يَنْفُثُ مِنْ دُجَاهُ حَدِيثًا فِيهِ أَشْجَانِي الْخُفُوتُ  
يَقُولُ: «إِلَيَّ يَأْتِي كُلُّ حَيٍّ وَيَبْقَى فِي تُرَابِي مَا بَقِيتُ  
يُقِيمُ اثْنَانِ فِي دُنْيَا سَكُونِي فَتَى يَفْنَى وَآخِرُ لَا يَمُوتُ»

## بشر بن عوانة

أَتَجْهَلُ قَدْرَ بَشْرٍ؟ إِنَّ بَشْرًا  
نَمَّا يَبْنِي الْأَبَاعِرَ فِي الْبَرَارِي  
وَلَكِنْ حَلٌّ فِي بُرْدِيهِ وَحْيٌ  
وَهَلْ فِي بُرْدَتِكَ سِوَى دَعِيٍّ  
لَأَرْفَعُ مِنْكَ فِي النَّاسُوتِ قَدْرًا  
وَعِيرَ الْكَهْفِ لَمْ يَعْرِفْ مَقْرًا  
كَفَاكَ تَفَاخُرًا وَكَفَاهُ فَخْرًا  
تَسْوَدُ فِي الْقَبِيلَةِ حِينَ أَثْرَى؟

\* \*

رَأَتْ بَشْرًا عَجُوزَ ذَاتِ يَوْمٍ  
فَقَالَتْ: «أَنْتَ تَبْحَثُ عَنْ عُرُوسٍ  
فَقَالَ لَهَا: «وَهَلْ هِيَ ذَاتُ حُسْنٍ؟»  
لَهَا شَعْرٌ كَانَ اللَّيْلَ مِنْهُ  
كَأَنَّ ذُؤَابَتِيهِ حِبَالُ أُسْرِ  
فَخَفَ لِعَمِّهِ نَشْوَانَ جَذَلًا  
فَقَالَ لَهُ: «أَبَيْتَ اللَّعْنَ، قُلْ لِي  
وَقَدْ حَزَرْتُ بِهِ وَطَرًا وَأَمْرًا  
وَبَابَتِ عَمَّكَ الْمِضْيَافُ أُخْرَى.»  
فَقَالَتْ: «إِنَّهَا فِي الْحُسْنِ بُشْرَى  
تَمَنَّى الْبَدْرُ فِيهِ أَنْ يَمُرَّ  
تُشَدَّ بِهَا قُلُوبُ الْعَرَبِ أُسْرَى.»  
وَكَاشَفَهُ ، فَلَاقَى مِنْهُ زَجْرًا  
أَفَاطِمَةُ لِغَيْرِ دَمِي تُسْرَى؟

أَتَابَاهَا عَلَيَّ وَمِنْ ذِرَاعِي لَأَمَالِ الْقَبِيلِ عَمِلْتُ جِسْرًا؟  
فَمَنْ لَكَ فِي الرَّعِيَةِ غَيْرُ بَشِيرٍ يَرُدُّ غَوَائِلَ الْغَزَوَاتِ حُمْرًا؟  
وَكَمْ يَكُرُّ وَهْبُكَ مِنْ دِمَائِي وَتَابِي، يَا ظَلُومُ، عَلَيَّ يَكْرًا.»

\* \*

وَهَامَ مُشَعَّتِ الْأَحْلَامِ غَيْظًا يُحَرِّبُ تَارَةً وَيَعُجُّ أُخْرَى  
وَنَارَ عَلَى قَبِيلَتِهِ بِضُرٍّ فَكَانَ الذَّنْبُ فَتْكَأُ أَوْ أَضْرًا  
فَضَحَّ بَنُو الرَّعِيَةِ مِنْ أَذَاهُ وَأَوْجَسَ عَمَّهُ خَوْفًا وَذُعْرًا  
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ تَحَرَّى وَقَالَ لَهُ: «إِذَا مَا كُنْتَ شَهْمًا  
فَدَبَّتْ سُورَةُ الْعَرَبِيِّ فِيهِ وَأَسْرَجَ مُهْرُهُ حَتَّى يَكُرًّا  
وَجَنَّبَ فِي حِمَالَتِهِ جُرَازًا لَهَيْبُ الْمَوْتِ يَنْفُثُ مِنْهُ جَمْرًا  
وَكَانَ النُّجُومُ مُرْبِدًا رَهِيْبًا كَانَتْ مِنَ الْجَحِيمِ عَلَيْهِ سِتْرًا  
فَسَامَرُهُ حَفِيفُ الْغَابِ حِينًا وَحِينًا سَامَرَتُهُ طُيُوفُ ذِكْرَى  
وَفِيمَا بَشِيرٌ يَطْوِي الْبِيدَ طَيًّا وَيَنْشُرُهَا عَلَى الْأَمَالِ نَشْرًا  
إِذَا بِالْمُهْرِ أَجْفَلَ وَأَعْتَرَاهُ جُمُودُ دُمَى وَأَحْجَمَ وَأَقْشَعْرًا  
فَأَغْمَدَ فِي الدِّيَاجِي نَاطِرِيهِ فَابْصَرَ فِي ثَنَائِبَاهَا هِزْبَرًا  
وَفَاضَتْ نَشْوَةٌ مِنْ مُقْلَتِيهِ مُشَعَّعَةٌ فَقَالَ: «عُقِرْتَ مُهْرًا.»  
وَحِينَ جَذَا انْتَضَى السَّيْفَ الْمُرَوَّى وَثَبَّتْ فَلَانَكَ لَنْ تَقِرًّا  
فَلَسْتُ بِرَاجِعٍ يَا لَيْثُ حَتَّى يَصِرَّ بِكَ الذَّبَابُ الْغَثَّ صَرًّا.»

\* \*



وَأَقْدَمَ مُنِيتَ الْأَبْصَارِ فِيهِ وَكَانَ اللَّيْثُ يَقْرُقُ مِنْهُ طَوْرًا  
وَفِي الْحَاطِظِ لَهَبٌ غَضُوبٌ يَنْشُ بِشِدْقِهِ زَبَدٌ حَرُورٌ  
وَضَجَّ الْغَابُ فَالْدُّنْيَا صِرَاعٌ وَحِينَ رَأَاهُ أَرْسَخَ مِنْهُ بَاسًا  
وَأَطْلَقَ بَشْرٌ مُنْصَلَهُ عَلَيْهِ وَثَارَ الْكَوْنُ ثَوْرَتَهُ فَالْتَقَى  
وَأَسْكَرَ مَشْهُدُ الضَّرْعَامِ بِشْرًا فَقَدْ قَمِصَهُ عَنْهُ وَأَمْلَى  
«أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتَ بَيْطَنَ خَبْتِ وَكَانَ الْيَثُوبُ تَارَةً لِلْيُثُوبِ ظَفَرًا  
يُرَاشِقُهُ بِهِ شَفْعًا وَوَتْرًا وَيَنْفُثُ صَدْرُهُ حُمَمًا أَحْرًا  
تُفَجِّرُ فِي رُواقِ اللَّيْلِ شَرًّا تَذَابُ وَالْغَضَنْفَرُ كَانَ حُرًّا  
«فَقَدْ لَهُ مِنْ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا.»  
عَلَى اللَّيْلِ الْحُسَامُ فِدَارَ فَجْرًا وَكَمْ شَرِبَ الدَّمُ الْمُهْرَاقَ خَمْرًا  
عَلَيْهِ بِالدَّمِ الْمَطْلُولِ شِعْرًا: وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاكَ بِشْرًا.»

\* \*

وَوَالِي سَيْرِهِ يَمْتَلِ فِيهِ وَأَنْدَاءُ الصَّبَاحِ تَفُوحٌ طَبِيبًا  
وَفِيمَا الْحُبُّ يَنْهَبُهُ عَرَاهُ وَأَبْصَرَ حَيَّةً طَلَعَتْ عَلَيْهِ  
أَذَابَ الصُّبْحِ خَمْرَتَهُ عَلَيْهَا وَشَعَتْ كَالزُّجَاجِ وَقَدْ تَلَوَتْ  
قَالَ: «أَخَوُكَ كَانَ عَلَيَّ وَقْرًا فَهَلْ بُعِثَتْ بِهِ رُوحٌ تَرَدَّتْ  
لِيَبْلُغَ مَأْرَبًا قَدْ كَانَ وَعْرًا وَيَسْكُبُهَا النَّسِيمُ عَلَيْهِ عِطْرًا  
فَحِيحُ مَرٍّ فِي أُذُنِهِ مَرًّا مِنَ الْأَدْغَالِ مِثْلَ الثَّرْبِ سَمْرًا  
فَمَالَتْ مِنْ خُمُورِ الصُّبْحِ سَكْرِي عَلَى أَعْشَابِهَا بَطْنًا وَظَهْرًا  
وَلَكِنْ أَنْتِ أَثْقَلُ مِنْهُ وَقْرًا بِجِلْدِ الْأَفْعَوَانِ تَرُومُ ثَارًا؟»

وَلَا قَاهَا بِصَدْرِ رَاضٍ صَبْرًا وَلَا قَتْهُ بِصَدْرِ ضَاقٍ صَبْرًا  
فَكَانَتْ تَنْشِي عَنْهُ اِغْتِيَالًا وَتُنْشِبُ رَأْسَهَا لِلْفَرَسِ عُدْرًا

\* \*

«تُرَى مَاذَا يَحُلُّ بِنَا إِذَا مَا  
فَيْشُرُ مَرْجِعُ الْفُرْسَانِ فِينَا  
بَعَثْتُ بِهِ إِلَى حَتَفِ ذَمِيمٍ  
فَإِنْ يَسْلَمْ مِنَ الْأَسَدِ ابْنِ دَاذَا  
وَشَمَّرَ لِلْحَاقِ بِهِ، وَكَانَتْ  
عَلَى فَرَسٍ كَانَ الْجَنُّ تَعْدُو  
وَلَمَّا أَدْرَكَ ابْنَ أَخِيهِ حَيًّا  
وَقَالَ: اَعْدِلْ عَنِ الْأَفْعَى فَإِنِّي  
لَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ أُمَرَاءِ قَوْمِي  
فَاللَّهَبِ الْحَمَاسَةُ كَفَّ بِشِرِّ  
وَأَطْعَمَ خَصْمَهُ يُسْرِى يَدِيهِ  
فَقَبَّلَ عَمُّهُ يَدَهُ بِحُبٍّ  
أَلَا عُدِّي إِلَى حَيْثُ السَّرَايَا  
فَقَدْ شَهِدْتُ صُخُورُ الْغَابِ يَا ابْنِي  
أُصِيبَ بِنَكْبَةٍ ؟ اللَّهُ أَذْرَى  
وَحَامِينَا إِذَا الْجَوُّ أَكْفَهَرَا  
كَأَنِّي لِلْقَيْلِ حَفَرْتُ قَبْرًا  
فَلَنْ يَنْجُو مِنَ الْأَفْعَى طِمْرًا.»  
دِمَاهُ تُشِيرُهُ وَالْعَيْنُ شُكْرَى  
بِرِجْلَيْهَا فَتَخْتَفِيَانِ سِحْرًا  
يُرْوِغُ الْوَحْشُ مِنْهُ جَذَا وَخَرًّا  
رَأَيْتُكَ أَرْحَبَ الْأَعْرَابِ صَدْرًا  
بِفَاطِمَةٍ فَكُنْ لِي ابْنًا وَصِهْرًا.»  
فَصَعَّدَ سَيْفُهُ الْمَصْدُورُ جَمْرًا  
وَأَجْرَى الْمَوْتَ مِنْ يُمْنَاهُ نَهْرًا  
وَقَالَ: «أَتَيْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ عُذْرًا  
تُقِيمُ لِعُرْسِكَ السَّيَوْمَ الْأَعْرَا  
بِأَنَّكَ فَارِسُ الْأَعْرَابِ طُرًا.»

\* \*

وَعَادَا وَالْغُصُونُ تَمِيلُ تَيْهًا كَانَ بِهَا لِمَا شَهِدَتْهُ سُكْرًا

وَتَعْطِفُ فِي الطَّرِيقِ عَلَى يَدَيْهِ  
وَإِذَا كَانَا يَجُوبَانِ الْبَرَارِي  
إِذَا بِمُلْتَمَسِ الْعَيْنَيْنِ نَجْدٍ  
وَقَالَ: «كَفَاكَ تَفَخُّرٌ يَا عِصَاماً  
قَتَلْتَ بِهِمَةَ وَقَتَلْتَ سُوساً  
فَقَالَ: «وَمَنْ تَكُونُ؟ فَقَالَ: «إِنِّي  
أَنَا دَهْرٌ وَأَيَّامِي سَعِيرٌ  
وَفِي غَضَبٍ تَبَدَّى الْمَوْتُ فِيهِ  
أَصَابَ مُلْتَمَسُ الْعَيْنَيْنِ بِشِراً  
وَصَاحَ بِهِ: «أَبَيْتَ اللَّعْنَ فَارْفَعْ  
فَقَالَ الْخَصْمُ، وَهُوَ يُمِيطُ سِتْرًا:  
فَعَاوَدَ بِشَرٍّ تَذْكَارَاتُ عَهْدٍ  
وَقَبْلَهُ وَقَالَ: «أَرَاكَ يَا ابْنِي  
تَقْبَلُ مِنْهَا يُمْنِي وَيُسْرِي  
وَيَنْشُرُ بِشَرُّ آيِ الْفَخْرِ نَثْرًا  
تَعَرَّضُ فِي الطَّرِيقِ لَهُ مُصْرًا  
فَفَخْرُكَ مَرٌّ فِي أُذُنِي فَجْرًا  
وَتَمَلُّ مَا ضَعَيْكَ قَدَى وَنُكْرًا؟  
نَذِيرُ الْمَوْتِ جِئْتُ إِلَيْكَ جَهْرًا  
إِذَا نَازَلْتَنِي نَازَلْتَ دَهْرًا!  
عَلَى سَيْفَيْهِمَا كَرًّا وَفَرًّا  
فَأَحْجَمَ عَنْهُ إِخْفَاقًا وَقَسْرًا  
لِشَامِكَ لَا تَظَلَّ عَلَيَّ سِرًّا.  
«أَنَا ابْنُكَ فَانْظُرِ الْوَلَدَ الْأَبْرَأَ.  
تَصَرَّمَ تَارِكًا فِي الصَّدْرِ ذِكْرِي  
بِفَاطِمَةَ ابْنَةِ الْأَعْمَامِ أُخْرَى.»

## الحجر الحي

أمام تمثال فوزي المملوك

أُطْبِقْ جَنَاحَيْكَ مَعْقُوداً لَكَ الظَّفَرُ  
مَا ضَرَّ وَكَرَّ أَنْ تَأْتِيَهُ مُنْطَفِئاً  
أَلَيْسَ مِنْ رِيَشِكَ الْمَحْبُورِ مُطَرَفُهُ  
تَرَكْتَهَا وَعَلَى أَكْتَافِهَا زَعْبُ  
هَذِي الْبَوَاكِرُ مَا أَوْرَدَتْ سُحْرَتَهَا  
قَذَائِفُ لَنْ يُرَى فَجْرُ النَّسُورِ عَلَى  
أَتَيْتُهُ فِي النَّحَاسِ الْحَيِّ طَيِّبَةً  
عَيْنَاكَ فِي الْحَجَرِ الْمَصْبُوبِ سَاهِرَةً  
تُوَاجِهُهُ اللَّيْلُ هَوْلَ الرِّيحِ صَاحِبَةً  
نِيرَانُ عَبَقَرٍ فِي عَيْنِكَ إِنْ مَرَدَتْ  
مَهْمَا طَغَى اللَّيْلُ لَا تُشْفِيكَ زَوْبَعَةٌ  
صُلْبٌ عَلَى الدَّهْرِ لَا تَهْوِي صَوَاعِقُهُ

فَقَدْ وَصَلَتْ وَشَوَّطُ الْمَجْدِ مُخْتَصَرُ  
مَا دَامَ قَلْبُكَ فِي جَنِيِّهِ يَسْتَعِرُ  
هَذِي الْفِرَاحُ عَلَيْهَا الْأَبْرَدُ الْحَبْرُ  
وَجِثَّتْهَا وَعَلَى أَبْدَانِهَا أَزُرُ  
إِلَّا لِيُخْصِبَ فِي آصَالِهَا الصَّدْرُ  
أَحْلَامُهَا الْبَيْضُ إِلَّا حِينَ تَنْفَجِرُ  
عَلَيْهِ مِنْ رُوحِكَ الْأَعْرَاقُ وَالسُّرُرُ  
يَقْظَانَةُ فِيهَا أَحْلَامُكَ الْغُرُرُ  
مَا ضَرَّكَ الذُّبُّ جُوعَانًا أَوْ النَّمِرُ  
هَزَجُ الدَّجَى فَعَلَى عَيْنِكَ تَنْصَهَرُ  
وَلَا يُجَهَّمُ فِي أَجْفَانِكَ الْحَوْرُ  
إِلَّا عَلَى جَانِبِي وَقَيْكَ تَسْجَرُ

يَقْظَانُ وَالنَّاسُ عُمِيٌّ فِي مَرَاقِدِهِمْ      سَيَّانٍ نَامُوا عَلَى ذُلٍّ أَمْ أَحْتَضِرُوا  
عَارٌ عَلَيْنَا نَنَامُ اللَّيْلَ هَانَتْ      عُيُونُنَا، وَعُبابُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ

\* \*

لَمْ يَبْقَ مِنْ رُومَةٍ إِلَّا صَغَائِرُهَا      وَمِنْ قِيَاصِهَا إِلَّا دُمِيٌّ كِسِرٌ  
وَتَشْهَدُ الصُّبْحُ عُرْسَ الصُّبْحِ مُنْعَقِدًا      عَلَى جَبِينِكَ نُورٌ مِنْهُ يَنْضَفِرُ  
وَلَا تُبْقِ لَكَ تَرْجِي، مِنْ مَوَائِدِهَا      الْعِطْرُ وَالتَّوَرُّ وَالْأَلْحَانُ وَالصُّورُ  
وَالشَّمْسُ بِالْجَفَنَةِ الْخَضْرَاءِ عَاشِقَةٌ      مِنْ مِرْشَفِهَا دَمُ الْعُنُقُودِ يَخْتَمِرُ  
وَالدُّلْبُ - كِنَارَةُ الْأَنْسَامِ - مُرْتَعِشٌ      فِيهِ لِكُلِّ نَسِيمٍ عَابِرٍ وَتَرٌ  
تَشْدُ جَفْنَيْكَ رُؤْيَا لَا قَرَارَ لَهَا      كَأَنَّهَا الْغَيْبُ فِي عَيْنِكَ مُنْحَصِرُ  
عَيْنُ الْعَظِيمِ ضِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا      مَرَّ الْجَحِيمِ وَلَمْ يُطْرَفْ لَهَا بَصَرُ  
رَفَعَتْ عَنْكَ سِتَارَ النَّاسِ مُنْتَفِضًا      أَيَحْجُبُ الْخُلْدُ مَنْ يَبْلَى وَيَنْدَثِرُ  
هَذِي السَّتَارَةُ كَانَتْ فِي تَشْدِيدِهَا      عَلَيْكَ آخِرَ قَيْدٍ شَدَّهُ الْبَشَرُ  
كَأَنَّهَا، وَهِيَ تُنْضَى، خِلْعَةٌ كَذَبَتْ      مِنَ الْفَنَاءِ لِحَاءٌ عَنْكَ يُقْتَرَرُ  
مُنْذُ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَكْفَانُ هَاوِيَةٌ      عَنِ النَّبُوغِ وَصَخْرُ الْقَبْرِ مُنْحَلِرُ  
كَمْ فِي بِلَادِكَ مِنْ نَفْسٍ تَوَدُّ عَلَى      وَقَاحِ عَوْرَتِهَا أَنْ تُسَدَلَ السُّتُرُ

\* \*

جَاءَتْ عَرُوسُكَ فِي حُلْمِي تُخَاطِبُنِي      يَصُونُهَا الْمَلَكَانِ : الْحُبُّ وَالْخَفَرُ  
شَبَابُهَا قَبْلُ الْأَجْيَالِ فِي دَمِهِ      كَأَنَّهُ بِجَمَالِ اللَّهِ مُؤْتَزِرُ  
فِي مُقْلَتَيْهَا نُجُومٌ لِلْهَوَى جُدُّ      وَفِي يَدَيْهَا نُجُومٌ لِلْعُلَى أُخْرُ

مِنْ جَنَّةِ الْحُبِّ غَرْسُ الْخَيْرِ مَا نَبَتَ  
 قَالَتْ: ثِمَارِي لَمْ تُبْدَلْ لِغَيْرِ فَتَى  
 كَمْ شَاعِرٍ نَوَّرَتْ فِي رُوحِهِ قُبْلِي  
 وَلَمْ أَطَأْ قَلْبَهُ إِلَّا عَلَى زَهْرٍ  
 وَكَمْ فَتَى بَطِرَ الْإِلْهَامُ فِي دَمِهِ  
 أَطْعَمْتُهُ شَفَتِي حِينًا فَسَاوَمَ بِي  
 لَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ مِعْطَنِي خَجَلًا  
 -لَوْ ذَاقْتَ الْأَرْضُ مِنْ أُمَامِرِهِ- سَقَرُ  
 جَرَتْ بِهِ الدَّعَةُ الْخَضِرَاءُ وَالْكِبَرُ  
 فَكُلُّ قُبْلَةٍ حُبٍّ مِنْ فَمِي قَمَرُ  
 وَسَادَتِي وَفَرَاشِي قَلْبُهُ الْعَطَرُ  
 فَقَامَ يَعْصِبُنِي فِي شِعْرِهِ الْبَطَرُ  
 كَأَنِّي سَلَعَةٌ تُشْرَى وَتُحْتَكَّرُ  
 صَارَ الْحُطَيْتَةُ فِي أَحْقَادِهِ عُمُرُ

\* \*

أَبَا النَّسْرِ، سَقَيْتَ الْمَوْتَ خَمْرَتَهُ  
 مَا ضَرَّ نَسْرَكَ لَمْ يُعْقِبْ وَقَدْ نُسِلَتْ  
 لِرُبٍّ حَيٍّ غَدَا فِي قَوْمِهِ حَجَرًا  
 فَصَلْبُكَ الْمُصْطَفَى لِلْخُلْدِ مُدْخَرُ  
 مِنْهُ النَّجُومُ، فَفَوَزِي وَحْدَهُ أُسْرُ  
 وَرُبَّ مَيِّتٍ غَدَا حَيًّا بِهِ الْحَجَرُ

## شاعر الليالي

إلى روح الياس فياض

مُلِّيَ النُّورَ قَبْلَ عَهْدِ الْبُدُورِ      فَهُوَ شَطَرٌ مِنْ الضِّيَاءِ الْكَبِيرِ  
أَطْلَعَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ رِجَالاً      غَمَرُوا لُجَّةَ الظَّلَامِ بِنُورِ  
هُمْ بُدُورُ الْأَجْيَالِ، هُمْ شُعْرَاءُ الـ      أَرْضِ هُمْ كَهْرَبَاءُ هَذَا الْأَثِيرِ  
كُلَّمَا ذَرَّ شَاعِرٌ فِي سَمَاءِ      شَعَرَ اللَّيْلُ بِأَنْقِلَابٍ خَطِيرِ  
إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْحَقِيقِيُّ يَشْقَى      بِمُجَاجَاتِ زَيْتِهِ الْمَسْدُورِ  
كَالْمَنَارَاتِ تَبْعَثُ النُّورَ فِي اللَّيْلِ      لِي وَتَشْقَى فِي الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ  
أَوْ دُخَانَ مِنَ الْمَجَامِرِ يَرْقَى      حَامِلاً لِلنَّفُوسِ عِطَرَ الْبُخُورِ  
هُوَ مِنْ نَزْوَةِ التُّبُوغِ أَذَانُ      أَنْ يَرَى الْبُؤْسُ شُعْلَةً فِي الصَّدُورِ  
وَقَضَاءُ لِلْعَبَقَرِيَّةِ إِلَّا      يَنْسِمُ الْمَجْدُ فِي جَنَاحِ التَّسْوِيرِ  
هَكَذَا الْحِكْمَةُ الْخَفِيَّةُ شَاءَتْ      فَهِيَ تُخْفِي أَقْبَاسَهَا فِي الضَّمِيرِ  
تَمْنَعُ النُّورَ عَنْ عَيُونِ السَّلَاطِ      بَيْنَ وَتُعْطِيهِ لِلْمَعْرِي الضَّرِيرِ

\* \*

أَوْحَشَ الرُّوضُ فِي الْخَرِيفِ فَلَا تَسُدُّ  
وَالزُّهُورُ الَّتِي تَنْشَقَّتْ رَيًّا  
وَسُقُوطُ الْأوراقِ يَسْلُخُ فِي الْفَجْدِ  
أَيْنَ تِلْكَ الزُّهُورُ يَنْفِرُطُ الصَّبِّ  
يَذْبُلُ الزَّهْرُ فِي الْخَرِيفِ وَيُتْنِي  
هَكَذَا الشَّاعِرُ الْمُحَلِّقُ إِذْ يَمْدُ  
مَعَ فِيهِ أَغْرُودَةٌ لِلطُّيُورِ  
هَا تَخَلَّتْ عَنْ خَدْرِهَا لِلصُّخُورِ  
رِ بَقَايَا الْأَمَالِ فِي الْمَصْدُورِ  
حُ عَلَيْنَهَا بِاللُّوْلُو الْمَنْشُورِ  
لِبُذُورِ الرَّبِيعِ بَعْضَ عُطُورِ  
ضِي وَتَبْقَى آثَارُهُ لِلدُّهُورِ

\* \*

لَمْ يَمُتْ شَاعِرُ «الْيَالِي» فَعَيْنَا  
رُبَّ سِفْرِ أَضَاءَ هَيْكَلِ نُورٍ  
رُبَّ سِفْرِ مَحَا قُصُورِ الدِّهَانِ  
لَا يَمُوتُ «الْفَيَاضُ» وَالشَّعْرُ حَيٌّ  
وَعَلَى مَحْجَرِ الْيَتِيمِ مِنَ الْقَلْبِ  
وَقُلُوبُ الشَّبَابِ تَنْبِضُ لِلْحُبِّ  
هُ تَشْعَانِ فِي «الْكِتَابِ الصَّغِيرِ»  
خَلَدَتْ فِيهِ مُقْلَتَا شِكْسِيرِ  
نِ وَأَعْلَى بِالْمَجْدِ كُوخَ الْفَقِيرِ  
وَعَلَى الْبُؤْسِ بَسْمَةً لِلشُّغُورِ  
دِمَاءُ مَحْمُومَةٍ بِالزَّفِيرِ  
بَّ وَتَأْوِي إِلَى عَذَارَى الْخُدُورِ

\* \*

لَا يَمُوتُ الْفَيَاضُ مَا دَامَتْ الْأَرْ  
وَجَالُ الْأَفْكَارِ مِنْ مُحَرِّقَاتِ الْ  
وَالسَّمَاعُ الطَّافِي عَلَى وَتَرِ الشَّعْرِ  
بَا خَيْالاً فِي الصُّبْحِ خَدَّرَ أَجْفَا  
قُلْ لَهُمْ: أَسْتَرِيحُ فِي قَصْرِ الْمَمِّ  
وَاحُ تَهْتَزُّ لاختِلَاجِ الصَّرِيرِ  
قَلْبُ يَمْتَدُّ فِي شُعَاعِ طَهُورِ  
رِ يُشِيرُ الْهَوَى بِمُرْدٍ وَحُورِ  
نِي وَنُوراً فِي اللَّيْلِ كَانَ سَمِيرِ  
لُوكِ مِنْ بُؤْسِ بَيْتِي الْمَاجُورِ



رَبِّحَ السَّيْفُ فَاِنِّيَا الْقَضَايَا وَمَلَكَتُ الْعُلَى يَبْعُضِ سَطُورِ  
 مَلِكٌ فِي دُجُتِي يَتَمَنَّى مَبْسَمُ الْفَجْرِ لَوْ يَكُونُ سَفِيرِي  
 دَوْلَتِي بِالْخُلُودِ نِيْطُ لَأَنِّي لَمْ أَشِدْهَا بِالْعَاجِ وَالْبَرْفِيرِ

\* \*

قُلْ لَهُمْ: نِمْتُ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الشَّوْ لِكَ مِرَاراً وَمَرَّةً فِي سَرِيرِي  
 إِنَّ مَوْتِي عَلَى الرَّبَابِ رُقَادٌ يَنْتَهِي بِي إِلَى صَبَاحٍ مُنِيرِ  
 يَرْقُدُ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ مِرَاراً إِنَّمَا السَّرُّ فِي الرَّقَادِ الْأَخِيرِ

\* \*

قُلْ لَهُمْ: تَحْطِمُونَ فِي الْأَرْضِ كَأْسِي وَبِمَوْتِي تُقَدِّسُونَ خُمُورِي  
 عَقَّ زَهْرِي الْوَرَى وَقَدْ يَتَمَنَّى قَطْرَةً لِلنُّفُوسِ مِنْ إِكْسِيرِي  
 زَهْرُ الْمَجْدِ لَا يُفْتَحُ لِلشَّاعِرِ إِلَّا عَلَى ضِفَافِ الْقُبُورِ

\* \*

نَمْ قَرِيراً فَسَوْفَ يَأْتِي صَبَاحٌ يَمْهَدُ الرُّوحَ لَانْقِلَابِ كَبِيرِ  
 وَغُصُونُ الْخَرِيفِ لَا بُدَّ أَنْ تُمَدَّ سِي غُصُونِ الرَّبِيعِ بَعْدَ شُهُورِ

## عودة جبران

خَلَعْتَ عَنِ الرُّوحِ ثَوْبَ الْمَدَرِ  
وَأَقْبَلْتَ ، فَالْقَمَرُ الْمُسْتَهَامُ  
وَهَذِي بِلَادُكَ — مَهْدُ الزَّمَانِ —  
وَهَذَا التَّسِيمُ كَمَا كَانَ أَمْسِ  
وَهَذِي الْكُهُوفُ بِصُلْبِ الصَّخُورِ  
وَهَذِي عَذَارَاكَ يَا ابْنَ الرَّبِيعِ  
وَصَيِّتُنُ مَا زَالَ جَارَ السَّمَاءِ  
وَلِنْ تَكُ تُبْصِرُ فِي سَفْحِهَا  
فَرُوحُ بِلَادِكَ لَمَّا يَزَلُ  
تَبْدَلُ مِنْهُ الْإِطَارُ الْهَزِيلُ  
فَخَفَّ الْعَذَابُ وَطَابَ السَّفَرُ  
— أَخُوكَ — يُنَاجِيكَ خَلْفَ الشَّجَرِ  
يَهْزُ بِهَا الشَّوْقُ حَتَّى الْحَجَرِ  
وَهَذِي الْجِبَالُ ، وَهَذَا الْحَوْرُ  
جَلَالُ الْقُرُونِ عَلَيْهَا أَنْتَشَرَ  
تُسَادِيكَ مِنْ شَرَفَاتِ الْقَمَرِ  
وَمَا زَالَتِ الْهَضْبَاتُ الْأُخْرَى  
سَوَاعِدَ دَقَّتْ وَخُلُقًا ضَمَرُ  
وَلِنْ رَاغَ مِنْهُ صِبَاغُ الطُّرُرِ  
وَهَلْ يَتَبَدَّلُ إِلَّا الْخَبَرُ؟

\* \*

حَكِيمَ الزَّمَانِ وَقِيْثَارَهُ  
هُنَا الْحَوْرُ فَارْقُدْ قَرِيرًا فَمَا  
وَمَهْدَ الْهَوَى وَالْحَنَانِ الْأَبَرَّ  
أَحَبَّ وَأَقْدَسَ هَذَا الْمَقَرَّ

هَـنَا الْأَنْبِيَاءُ الْأَلَى قَبْلُوكَ  
هَـنَا طَهَّرَ الشَّعْرُ فِي شَفَتَيْكَ  
سَمِعْتُ عَرُوسَكَ مِنْذُ لَيَالٍ  
وَفِي يَدَيْهَا خَشَبَاتُ رَبَابٍ  
وَأَبْصَرْتُ وَجْهَكَ هَذَا الصَّبَاحَ  
فَيَغْمُرُهُ بِبَخُورِ الْحَنَانِ  
وَيَعْقُدُ فِي شَفَرَاتِ جُفُونِكَ  
كَأَنَّ عَرَائِسَكَ الْخَالِدَاتِ  
أَتَيْتُكَ تَوَدُّعُ هَذَا الْجَمَالِ

\* \*

عَرُوسَكَ عَذْرَاءَ مِنْ عَبْقَرٍ  
تُذِيبُ عَلَيْكَ رُؤَى الْأَنْبِيَاءِ  
مِنْ السَّحْرِ فِي مُقَلَّتَيْهَا رَشَاشُ  
فَدَغْدَغَتْهَا فِي خُدُورِ الرَّبِيعِ  
عَزَلَتْ لَهَا حُوءَ فِي الْجُفُونِ  
وَعَمَسَتْ رِيَشَةَ وَحْيِكَ فِي  
مَشَاهِدُ أَدْمَيْتَ قَلْبِكَ فِيهَا  
تَبَارَكَ قَلْبُ تُفَيْضُ رُسُومَكَ  
وَجِئْتَ الْوَرَى بِأَنَاشِيدِ حُبٍّ  
أَنَاشِيدَ مَا صَعِدَتْ قَبْلَ عَهْدِكَ  
أَنَاشِيدَ كَانَتْ عَلَى شَفَتَيْكَ  
حَلَمْتَ بِأَنَاجِمِهَا فِي الصَّبِيِّ

## رشيد نخلة

عَذِيرُكَ مِنْ مُسْتَلْهِمِينَ تَصَدَّرُوا  
وَلَبْنَانُ فَجَرُ اللَّهِ، أَصْدَقُ مَا بِهِ  
وَمِنْ عَيْنِهِ نُورٌ وَمِنْ قَلْبِهِ هَوًى  
وَلَبْنَانُ مِنْ عَدَنِ جَبِينٍ وَمُهْجَةٍ  
وَأَعَذَبُ مَنْ غَنَى بِلَبْنَانٍ بُلْبُلٌ  
يُنْثَرُ مِنْ حُلُقُومِهِ ذَهَبُ الرَّبِّى  
وَأَكْرَمُ مَنْ غَنَى بِلَبْنَانٍ شَاعِرٌ  
يَضُنُّ، عَلَى جَرْعَى الْكَرَامَةِ، عِزَّةً  
مَحَطُّ الْقَوَافِي وَالرَّوَاءِ الْمُعْطَرُ  
وَأَثَبْتُ مَا فِيهِ الْجَمَالُ الْمُبَكَّرُ  
فَرُبُّكَ فِي لَبْنَانٍ يَهْوَى وَيَنْظُرُ  
جَرَى كَوْنُهُ فِيهِ وَأَزْهَرَ عَبَقُهُ  
عَلَى شَفَتَيْهِ قَامَ لِلْحُبِّ مِنْبَرٌ  
وَلَبْنَانُ أَغْنَى الْأَرْضَ نُورًا وَأَطْهَرَ  
عَرَائِسُهُ دُونَ الْقَوَامِيسِ حُضْرُ  
وَيَمْرَحُ فِي مَرَعَى الْجَمَالِ يُبْذَرُ

\* \*

رَأَى حَوَارِيَّ الْقَرِيضِ فَقَالَ لِي:  
أَعْلَمُ عَشَوَاءَ الْهَوَى كَيْفَ تَهْتَدِي  
وَقَالَ لِي الْأَجْدَادُ مِنْ مَسْقَطِ الْعُلَى  
أَتَانِي هُدًى مِنْهُ فَقَمْتُ أَبْشَرُ  
وَمَنْ مُسَّ فِي أَعْرَاقِهِ كَيْفَ يَشْعُرُ  
كَبَرْنَا بِهِ، وَالْفَضْلُ بِالْفَضْلِ يَكْبُرُ

وَأَوْلَادُنَا مُسْتَوْدَعٌ لِبُذُورِنَا  
وَقَالَتْ لِيَ الْفُصْحَى غَبَطْتُ لِسَانَهُ  
وَأِنْ ضَاقَ هَذَا الشَّعْرُ وَهُوَ مُحَرَّرٌ  
نَمَا فِي مَجَارِي الشَّمْسِ عَذْبُ يَبَانِهِ  
وَمَرَّ بِهِ لُبَانٌ أَخْضَرَ كَالْهَوَى  
أَمِنْ سَادِجِ الْأَرْيَافِ أَقْبَلَ وَادِعٌ  
نُكْرُمٌ أَوْ نُخْزَى بِهِمْ حِينَ نَبْدُرُ  
فَمِنْ «لَعْوَةٍ» لِلشَّعْرِ هُذْبٌ عُنْصُرُ  
فَمَا ضَرَّهُ، إِنَّ الْكَرِيمَ مُحَرَّرُ  
فَمَنْطِقُهُ الْفَوْرِيُّ كَالشَّمْسِ نِيرُ  
فَالْهَامَةُ كَالْحُبِّ رَيَّانُ أَخْضَرُ  
وَعَنْ بُلْغَاءِ الْعَصْرِ قَامَ يُكْفَرُ؟

\* \*

وَقَالَ لِيَ «الْبَارُوكُ»: مَرَّ بِشَعْرِهِ  
زُلَالِي مَعْقُودٌ بِسُكَّرٍ لَفْظُهُ  
أَرَانِي فِيهِ، فَالنَّسِيمُ نَقِيَّةٌ  
وَاللِّشُوفُ أَرْوَاحُ تُرْفُ كَرِيمَةٌ  
وَفِي كُلِّ مَرْعَى ضَمَهُ «الشُّوفُ» وَائِلُ  
وَفِي كُلِّ مَفْتُولٍ إِبَاءٌ مُخْتَدِقُ  
وَقَالَ أَبُو سَعْدَى: حَيْثُ بِشَعْرِهِ  
وَأَعْجَبُ مَنْ لُبَانٌ يَطْرَى جَبِينُهُ  
وَنَحْنُ مَوَالِيدُ الْجَمَالِ وَجُنْدُهُ  
وَأِنْ عَرَبَتْ مِنْ مَرَمَرِ الْأَمْسِ دَارَتِي  
عَبْرِي، فَمِسْكٌ مَا نَشَقْتُ وَعَبْرُ  
وَطِيبِي مَعْجُونٌ عَلَيْهِ مُخَمَّرُ  
مَعَابِرُهُ، وَالْبُطْمُ نَدْيَانُ مُزْهِرُ  
عَلَى وَحْيِهِ، وَالْوَحْيُ لِلرُّوحِ مَعْبَرُ  
وَفِي كُلِّ كُوخٍ ضَمَهُ الشُّوفُ جَعْفَرُ  
وَفِي كُلِّ مَكْحُولٍ عَفَافٌ مُسَوَّرُ  
كَأَنِّي فِيهِ مَا أَزَالُ أَزْمَجِرُ  
وَمَا كَانَ إِلَّا الْحَقُّ فِينَا يُؤَمَّرُ  
فَمَا عِنْدَنَا إِلَّا الْجَمَالُ مُسَيِّطَرُ  
فَفِي الْخُلُقِ الْمَوْرُوثِ عَاجٌ وَمَرْمَرُ

\* \*

تَعَيْتَ وَلَمْ تَقْنُطْ وَمِثْلَكَ يُرْتَجَى  
فَمِنْ جَبَلٍ وَعَرٍ إِلَى صَخِرٍ شَاطِئِي  
وَشِعْرَكَ فِي الدُّنْيَا الْحَمَامُ الْمُطِيرُ  
وَمَنْ حَمَلَ الْأَمَالَ لَا يَتَكَسَّرُ

## الثورة العظمى

هَذِي الرِّوَاثُ مِنْ ذَاكَ اللَّطَى خُلِقُ مَا أَضْعَفَ السَّيْفَ حِينَ الْخُلُقُ يُمْتَشَقُ  
مَا فِي الْحَدِيدِ وَلَا فِي النَّارِ مُنْتَصِرُ كِلَاهُمَا فِي لَهَبِ الْحَقِّ يَحْتَرِقُ  
اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ فِي الْفِكْرِ مِنْ شَعْلٍ حَذَارٍ فِي ظُلْمِهِ أَنْ يَبْرُقَ الْحَدَقُ  
إِذَا الضَّمِيرُ وَنَى فِي رَدْعٍ مُنْكَرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا فَهَنَّاكَ الْحَبْرُ وَالْوَرَقُ  
لَوْ يُسْتَشَارُ حَكِيمٌ لَمْ يَكُنْ زَعْلُ وَلَمْ يَكُنْ ظَالِمٌ لَوْ يُسْبَرُ الْعُمُقُ

\* \*

مَعَابِرَ الْفِكْرَةِ الْحَمْرَاءُ كَيْفَ نَمَا عَلَى ثَرَاكِ شَبَاباً ذَلِكَ الْعِرْقُ  
سَبْعٌ وَعِشْرُونَ لَمْ يُفْجَعْ بِهَا أَدَبُ وَلَمْ يُحَيِّمْ عَلَى فِتْيَانِهَا نَزَقُ  
مَشَى الشَّبَابُ بِهَا طَوَعَ الضَّمِيرُ فَمَا فِي السَّلَامِ بَاغٍ وَلَا فِي الْحَرْبِ مُرْتَقُ  
هَذَا الشَّبَابُ رِضَاعُ الْحَقِّ فِي دَمِهِ فَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ فِي عِرْقِهِ رَنَقُ  
لَمْ تَبْرَحِ الثَّوْرَةُ الْعُظْمَى تُرَاوِدُهُ ثَدْيُهَا الْحُمُرُ فِي عَيْنَيْهِ تَنْدَلِقُ  
مَضَى إِلَى الْمَجْدِ لَمْ يُشْهَدْ لَهُ مَثَلُ وَلَمْ تُشَقَّ لِأَنْسٍ مِثْلُهُ طَرُقُ

فِي كُلِّ صَرْخَةٍ عَذَاءٍ جَرَى أَمَلٌ  
 بِطُولَةٍ حَارَتْ الدُّنْيَا بِرَوْعَتِهَا  
 هُمُ الصَّعَالِكُ، أَقْصَى الْمُسْتَحِيلِ لَهُمْ  
 فِي كُلِّ جَبْهَةٍ صُعُوكِ بَدَا مَلِكٌ  
 وَكُلُّ وَثْبَةٍ جُنْدِيٍّ مَشَتْ فِرْقُ  
 أَسْكُورَةٍ هِيَ فِي النِّيرَانِ أَمْ شَبَقُ  
 فَلَوْ أَقَامَ بِأَحْلَاقِ الرِّدَى مَرَقُوا  
 وَكُلُّ أُمْنِيَّةٍ مِنْهُ بَدَا شَفَقُ

\* \*

لِنِينُ، أَحْلَامُكَ الْغَرَاءُ قَدْ صَدَقَتْ  
 لَمْ يَبْقَ مِنْ شُرْعَةِ الدُّنْيَا سِوَى رَمَقٍ  
 بُورِكَتِ يَا نَهْضَةً لِلشَّعْبِ نَائِرَةٌ  
 إِنَّ الْبَقَاءَ عَلَى الْإِيمَانِ مُرْتَكِزٌ،  
 فَانْقُضْ تُرَابَكَ، يَكْفِي ذَلِكَ الْغَرَقُ  
 وَالْمُسْتَرِدُّونَ بَاقٍ مِنْهُمْ رَمَقُ  
 هَذِي الرِّوَائِعُ مِنْ إِيْمَانِهَا عَبَقُ  
 الْأَقْوِيَاءُ مَضُوا وَالْمُؤْمِنُونَ بَقُوا

## عودة الطيار

إلى روح فوزي المعلوف

بَلَدٌ فِي مَجَاهِلِ الْأَبْعَادِ  
مَاتَ فِيهِ فَتَى الزَّمَنِ  
فَأَمْتَطِي الرِّيحَ يَا طُيُورَ بِلَادِي  
وَأَحْمِلِيهِ إِلَى الْوَطَنِ

\* \*

عَشِيقَ الْمَجْدِ مُنْذُ سُحْرَةِ عُمُرِهِ      فَعَزَا سِرَّهُ بِأَسْرَارِ شِعْرِهِ  
شَاعِرٌ يَسْحَرُ الدُّمَى بِأَغَانِهِ      فَتَجْرِي فِيهَا الْحَيَاةُ بِسِحْرِهِ  
لَوْ أَصَاخَ الْمَاضِي الْبَعِيدُ إِلَيْهِ      لَتَمَنَّى لَوْ كَانَ أَذْنًا لِعَصْرِهِ  
وَلَوْ أَنَّ الزُّهُورَ شَمَّتْ شَذَاهُ      لَتَمَنَّتْ لَوْ خَبَّاتْ بَعْضَ عِطْرِهِ  
وَلَوْ أَنَّ الْخَيَالَ جَارَاهُ فِي الرِّيدِ      حِجْرَ لَصَلَّ الْخَيَالُ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ  
وَلَوْ أَنَّ النَّسُورَ خَبَّرَنَ عَنْهُ      لَتَمَنَّيْنِ لَوْ دَرَجْنَ بِوَكْرِهِ



طَارَ فِي عَالَمِ النُّجُومِ يُدِيبُ الـ رُوحَ فِي عَالَمِ النُّجُومِ بِأَسْرِهِ  
يَا لَهُ فِي الْعُلَى جَنَاحًا كَأَنَّ الطَّيْرَ غَارَتْ مِنْهُ فَهَمَّتْ بِكُسْرِهِ

اهْجُرِ الْأَرْضَ وَأَبْنِ جُدرانَ عَشِّكَ  
فِي الْخُلُودِ — عَلَى ذُرَاكَ  
طِرْ وَدَعْنِي أَحْلِلْ أَخْشَابَ نَعَشِكَ  
بِنَشِيدِي — لِكَيِّ أَرَاكَ

\* \*

لَيْسَ لِلشَّاعِرِ الْمُسَجِّى عَلَى الْأَحْـ لَامِ نَعَشٌ مِنْ الْجُدُوعِ حِجَابُهُ  
إِنَّ نَعَشًا تَغْلَغَلُ الْخُلْدُ فِيهِ عَالَمٌ ضَاقَ بِالشُّمُوسِ رِحَابُهُ  
الْمَسَامِيرُ فِيهِ مِنْ مَنْجَمِ النَّوْرِ وَمِنْ جَنَّةِ الرَّؤْيِ أَخْشَابُهُ  
عَالَمٌ أَفْقُهُ الْخَيَالُ الْإِلَهِيَّ وَنُورُ الْمُخَيَّلَاتِ سَحَابُهُ  
الشَّعُورُ النَّقِيُّ كَوْنُهُ الْمُنْدُ سَابُ وَالنَّدُّ وَالْبَخُورُ تُرَابُهُ  
عَالَمٌ قُوَّتُهُ ثِمَارٌ مِنَ الْحُبِّ وَخَمَرٌ مِنَ السَّلَامِ شَرَابُهُ  
نَسَمَاتُ الْغُفْرَانِ هَبَّتْ عَلَيْهِ فَتَلَاشَتْ أَتْعَابُهُ وَعَذَابُهُ  
عَالَمُ الْخُلْدِ لَيْسَ يُفْتَحُ إِلَّا لِمُلُوكِ الْخَيَالِ وَالْحُبِّ بَابُهُ

\* \*

يَا عُرُوسَ الْخَيَالِ قُودِي خَيَالِي  
وَأَرْفَعِيهِ — عَنِ الْوُجُودِ .

وَدَعِينِي أَسْمَعُ نَشِيدَ الْجَمَالِ  
إِنَّ فِيهِ — مَعْنَى الْخُلُودِ

\* \*

فَبَحَّ النَّعْشُ لِي فَأَبْصَرْتُ قَصْرَ الـ رُوحِ قَامَتْ عَلَى قُلُوبِ عِمَادِهِ  
وَرَأَيْتُ الْفَجَرَ الْمُدْهَبَ بِالنُّورِ أَحَاطَتْ بِعَرْشِهِ أَجْنَادُهُ  
وَتَرَأَى لِي الْأَنْبِيَاءُ يَلُوكُونَ الـ عَاجِ يَقْتَاتُ بِالشُّعُورِ جَمَادُهُ  
وَنُجُومٌ تَمُوجُ فِيهَا حَيَاةٌ كُلُّ نَجْمٍ مِنْهَا يَسِيلُ قُوَادُهُ  
وَالْأَعَاصِيرُ وَالصَّوَاعِقُ فِي زِيٍّ حَمَامٍ، وَاللَّيْلُ ذَابَ سَوَادُهُ  
وَرَأَيْتُ الْخَيَالَ فِي ثَوْبِ مَلِكٍ تَتَنَزَّى مِنَ الرُّؤْيِ قُوَادُهُ  
وَرَأَيْتُ الْفِكْرَ الصَّرِيحَ إِلَهَا لَا يُسْرِ غُلَّهُ وَلَا جَلَادُهُ  
كَانَ عِيدٌ فِي ذَلِكَ النَّعْشِ لَوْ أَصْغَى إِلَيْهِ الْوَرَى لَزَالَ حِدَادُهُ

\* \*

وَإِذَا بِي أَرَى مَلَكَ عَلَى عَالِيهِ  
تَتَشَرَّدُ — رُؤْيِ دَمِيهِ  
فَاضَ دَوْبُ الشُّعُورِ مِنْ رِثْيَتِهِ  
وَتَجَمَّدُ — عَلَى فَمِهِ

\* \*

فِي يَدَيْهِ رَبَابَةٌ، وَعَلَى جَفِّ نَيْهِ كُحْلٌ تَحَارُّ فِي أَلْوَانِهِ  
إِنَّ كُحْلًا تَرَاهُ فِي مَقْلَةِ الشَّاعِرِ تَحْنِيطُ حُبِّهِ وَحَنَانِهِ

هُوَ «فَوْزِي» أَتَى إِلَى الْخُلْدِ لَا يَحْ حِلُّ إِلَّا الْعَفَافَ مِنْ لُبَانِهِ  
 وَسَوَى آلَةِ الشَّقَا فِي يَدَيْهِ وَجَفَافِ الدَّمُوعِ فِي أَجْفَانِهِ  
 فَأَحَاطَتْ بِهِ مِنَ التَّوْرِ هَالَا تٌ صَبَاحٌ كَأَنَّهَا مِنْ بَيَانِهِ  
 وَأَتَتْهُ النُّجُومُ فِي زَوْرَقِ الْحُبِّ لِتُضْغِي سَكَرَى إِلَى الْحَانَةِ  
 وَإِذَا أَبْلُونُ يَأْخُذُ تَاجاً لُؤْلُؤِي الإِطَارِ مِنْ تَيْسَجَانِهِ  
 وَبِذَوْبِ اللَّبَانِ يَمْسَحُ صُدْعَيْهِ وَعِطْرُ الْخُلُودِ مِنْ أَدْهَانِهِ

\* \*

وَتَمَشَّى فِي عَالَمِ الشَّعْرَاءِ  
 صَوْتُ مَاتَمٍ — هَالِ السَّمَاءِ  
 حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ رِيحُ الْفَنَاءِ  
 أَيَّ سَلَمٍ — يَرْقَى الْفَنَاءِ!

\* \*

قَالَ لِلزُّهْرِ أَبْلُونُ: أَطْلِي  
 أَيَّ صَوْتٍ أَتَى يَذُرُّ عَلَيْنَا  
 مَا سَمِعْنَا مِنْ قَبْلُ نَدْباً كَهَذَا  
 وَرِيحاً كَهَذِهِ مَحْمُومَةً!  
 فَاطْلُتْ كَوَاكِبُ الْخُلْدِ حَيْرَى  
 ثُمَّ قَالَتْ بِمُهْجَةٍ مَكْلُومَةٍ:  
 «... يَزْعُمُونَ السَّمَاءَ قَدْ ظَلَمْتَهُمْ  
 فَغَرَّتْ شَعْبَهُمْ وَأَرَدَتْ نَدِيمَةً!»  
 ثُمَّ سَادَتْ سَكِينَةٌ عَقِبَتْهَا  
 خَلَجَاتٌ مِنَ الْحُصُونِ الْعَظِيمَةِ  
 وَرَأَيْتُ الْخُلُودَ يُضْغِي وَشَاهَدْتُ  
 عَذَارَاهُ خُشْعاً وَنُجُومَهُ

تَتَلَقَّى طَوَالَ أَرْوَاقَةِ الْأَوْلَمِبِ الْفَافِظُ أَبْلُونُ الْحَكِيمَةِ

\* \*

وَدَوَى صَوْتُ أَبْلُونُ يَقُولُ:  
لِيَمَجِّدْ — فَوْزِي الْحَبِيبُ  
أَغْلِقُوا الْقَصْرَ فَالْخُلُودُ الْجَمِيلُ  
مَا تَعَوَّدَ — هَذَا النَّعِيبُ

\* \*

أَيَّ شَأْنٍ لِلنَّاسِ بِالشَّاعِرِ الْمُدِّ هَمَّ لَا شَأْنَ لِلتَّرَابِ بِنَفْسِهِ  
«هُوَ مِنْ عَالَمِ الْخُلُودِ» فِي عَيْنِ سَيِّهِ نُورٌ مِنْ «الْخُلُودِ وَقُدْسِهِ»  
أَطْلَقَتْهُ الْأَرْضُ الَّتِي قَبِدَتْهُ فَأَنْشَى عَائِدًا لِمَسْقَطِ رَأْسِهِ  
نَحْنُ أَوَّلَى بِهِ فَهَمْ ظَلَمُوهُ يَوْمَ دَسَّوْا سُمًّا بِخَمْرَةٍ كَأْسِهِ  
يَوْمَ رَاحُوا يُكَدِّرُونَ نَدَى الْوَحْ جِي عَلَيْهِ وَيَشْتُمُونَ بِيُوسِهِ  
أَزْعَجُوهُ عَهْدَ الشَّقَاءِ، وَلَمَّا زُفَّ لِلْخُلْدِ أَرْعَجُوهُ بِعُرْسِهِ  
وَإِذَا بِالْخُلُودِ يُغْلَقُ فِي وَجْ هِي فَاهْوِي إِلَى الْفَنَاءِ وَيَأْسِهِ  
وَبِقَلْبِي مِمَّا سَمِعْتُ نَشِيدَ لَمْ أَزَلْ مُضْغِيًّا لِرِقَّةِ هَمْسِهِ!

الفهرس



## القيثارة

٥٩	دائماً مرغريت	٢٧	أرفع قيثارتي هذه إلى روح والدي
٦١	وطوى الزمانُ كتابه	٢٩	ما نجيبُ الأبناءَ إنْ سألونا
٦٣	الحرية	٣٢	ليس عن ضعف قعودي
٦٥	ابنةُ الأجيال	٣٣	العاملُ الشائر
٦٧	الفتاةُ الغادرة	٣٦	القلبُ لا يُشرى
٧١	في صائدة سمك حسناء	٣٧	أغنيةُ المجد
٧٣	أودُّكِ ميتة	٣٩	ولما تقيسون الصلاة؟
٧٥	ألو! ألو!	٤٢	ما بعد منتصف الليل
٧٩	بين الماسونية والإكليريكية	٤٤	تذكارَات وآلام
٨٠	وربَّ كبير بلبانِه! ..	٤٦	يا بلادي!
٨٢	يا سمير الأبراج	٤٩	العُرَاقَة!
٨٥	المصدورة	٥٣	يا بنتَ لبنان
٩٤	ولما كبرتُ	٥٥	القضاءُ المفتون
٩٧	الشَّبلُ الرابض	٥٧	الحزنُ والجمال

١٥٠	الحسون السجين	١٠٠	أمام مهد سعاد
١٥٤	جرس الحزن	١٠٢	قبل الرحيل
١٥٥	حديث الزهرة الذابلة	١٠٦	بعيداً عن هذا العالم
١٥٦	الى شاعرٍ حزين	١٠٨	الفضيلة
١٥٧	لا تعطِ الحبَّ	١١٠	إلى شاعر القطرين
١٥٩	يا أرغنَ الوادي	١١٢	لي عاشق
١٦٠	أنشودة العمال	١١٣	ضَيَّعَ القلب !
١٦٢	ماذا أودُّ لكِ	١١٤	دعيني أموت !
١٦٣	لا ترحم !	١١٥	ذكرى الآلام
١٦٤	مناجاة بلبل	١١٧	أجدُ الشباب يلوح متعشاً
١٦٦	ما لي جلد	١١٩	رثاء سنيان البستاني
١٦٧	إنتسيه ، فهو مذنب	١٢٢	دمعة على عذراء
١٦٩	لبنِ نفسك مَقَرّاً شريفاً	١٢٣	ليس في كسروان سلاح
١٧١	الدمعات الثلاث	١٢٤	مات حسونها
١٧٦	أيها القلب	١٢٦	نرجيلتي
١٧٧	قلب الملاك حجر	١٢٨	إنزعوا قلبي فأستريح !
١٧٨	أغنية الموت	١٣٠	ما أنتِ من تراب !
١٧٩	يا ليلُ العمر متى غده	١٣٢	وإني فتى حرّ !
١٨٠	ميروبا في الصيف	١٣٥	فوق المقبرة
١٨١	تذكري	١٣٧	الى لورانس
١٨٣	والعين بحيرة أحلام	١٣٨	الى الشيخ الباكي
١٨٥	رسالة	١٤٠	الى مصر
١٨٨	أمام جثة البستاني	١٤٢	الفقير
١٩٠	رقاد القلم	١٤٤	المجدلية والمسيح
١٩٢	معارضة قصيدة شوقي	١٤٧	الى فيلكس فارس
		١٤٨	الى بدوية جميلة



## المريض الصامت

٢٠٤	هذيان في الظلام	١٩٧	مقدمة المريض الصامت
٢٠٥	أمام الفجر	١٩٩	الملك الصامت
٢٠٦	رعشة في الظلمة	٢٠٠	المريض العاشق
٢٠٧	ليلة عصية	٢٠١	أم المريض
٢٠٨	على القبر	٢٠٢	أخت المريض
		٢٠٣	رؤيا في حلم

## أفاعي الفردوس

٢٣٦	عهدان	٢١١	في حديث الشعر
٢٣٨	الشهوة الحمراء	٢٢٠	شمشون
٢٤٢	شهوة الموت	٢٢٤	القاذورة
٢٤٣	حديث في الكوخ	٢٢٧	الأفعى
٢٤٦	الصلاة الحمراء	٢٢٩	في هيكل الشهوات
٢٥١	الدينونة	٢٣٢	سدوم
٢٥٥	الطرح	٢٣٥	الخيال التي

## الألحان

٢٧٥	الفلاح	٢٥٩	الحصادون
٢٧٧	نهر الصليب	٢٦١	ألحان الشتاء
٢٧٩	المساء في الجبال	٢٦٤	ألحان الربيع
٢٨١	عرس في القرية	٢٦٦	ألحان الصيف
٢٨٤	عيد في القرية	٢٦٨	ألحان القرية
٢٨٦	صلاة المغيب	٢٧١	ألحان الطيور
٢٨٨	يا بلادي	٢٧٣	المعصرة

## نداء القلب

٣٠٧	أرض الميعاد	٢٩٣	الإناء
٣٠٨	أُحِبُّكَ	٢٩٥	عودة الحبّ
٣٠٩	العذابُ الحيّ	٢٩٧	أعذبُ الشّعْر
٣١١	ليل الصيف	٢٩٨	الشاعران
٣١٣	إستغراق	٢٩٩	لولاكِ
٣١٤	إلا ليالينا	٣٠٠	الناسكة
٣١٦	أنت أم أنا؟	٣٠٢	الشاعر
٣١٧	النّاسك	٣٠٣	أنتِ لي
٣١٨	الثالوث البكر	٣٠٤	يَدُ كَرِيمَةٍ
٣٢٠	هذه خمري	٣٠٥	كأسان
		٣٠٦	العفافُ المغوي

## إلى الأبد

٣٢٧	العام الأول	٣٢٣	صلاة
٣٣٥	العام الثاني	٣٢٥	الرسول
٣٤٣	العام الثالث		الحلم الجميل :

## غلواء

٣٦٨	عذاب الضمير		العهد الأول :
	العهد الثالث :	٣٥١	المريضة
٣٨٢	التجليّ	٣٥٥	القصة
	العهد الرابع :	٣٦٦	الرؤيا
٣٩٣	الغفران		العهد الثاني :

## من صعيد الآلهة

٤٣٢	الحجر الحي	٤٠٥	من صعيد الآلهة
٤٣٥	شاعر الليالي	٤٠٦	أسطورة
٤٣٨	عودة جبران	٤١٤	اليتيم
٤٤٠	رشيد نخلة	٤١٧	شوقي وحافظ
٤٤٢	الثورة العظمى	٤٢١	الحرّ
٤٤٤	عودة الطيار	٤٢٤	فليكس فارس
		٤٢٧	بشر بن عوانة

مؤسّسة خَليفة للطبّاعة  
بولفار الدّورة - البوشر  
للغون: ٨٩٦٨٣٧